الشرق الأوسط الديمقراطي

فصلية فكرية تحليلية تعنى بشؤون الشرق الأوسط

العدد 58 - أيلول / سبتمبر 2022م

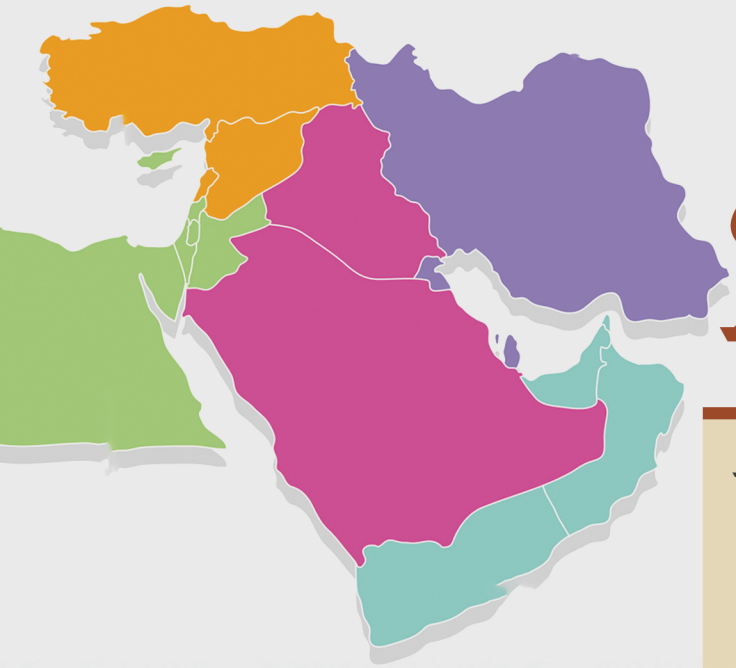

المحور الأول:

الصراعات في الشرق الأوسط

- اهم الصراعات الأثنية في الشرق الأوسط
- دورُ جمعيّة الاتّحاد والتَّرقّي في ترسيخِ القوميّةِ البدَائيّةِ فَي الشَّرقِ الأوسطِ
- النَّقشبنديّة.. تطوّرها وصراعاتها وانقسامها بين الانتماء الدّينيّ والقوميّ

المحور الثاني:

التنافس العالميّ على الشرق الأوسط

- الاتفاقيات الروسية التركية و تأثيرها على استقرار الشرق الأوسط
- أزمة حضارة أم أزمة قوى الهيمنة
- أزمة المياه في منطقة الشرق الأوسط

المحور الثالث:

قضايا عالميّة وتأثيراتها على الشرق الأوسط

- الناتو الشرق أوسطي ماين بين المساعي الأمريكية والواقع الجيو سياسي
- الذكاء الاصطناعي و الثورة الصناعية الخامسة وملامحها
- هجرة الشباب السوري

الشرق الأوسط الديمقراطي

مجلة فصلية فكرية تحليلية تعنى بشؤون الشرق الأوسط

العدد ٥٨ أيلول/ سبتمبر ٢٠٢٢م

إدارة المجلة

مجلس الإدارة

الاشراف العام

زياد محمد

رئيس التحرير

صلاح الدين مسلم

هيئة التحرير

روشن مسلم

عواس علي

أحمد دالي

مصطفى شيخ مسلم

اسماعيل خالد محمد

الهيئة الاستشارية

السيد عبدالفتاح السيد

حسن ظاظا

جاسم الهويدي

ياسر شوحان

هزار شكر

الإخراج الفني

كليستان كوسا

الآراء المنشورة تعبر عن رأي أصحابها وليس بالضرورة أن تعبر عن رأي المجلة

وسائل التواصل

يمكنكم متابعتنا والإدلاء بآرائكم ومقترحاتكم وإرسال مساهماتكم عبر وسائل التواصل التالية:

http://www.alawset.info

serqalawset@gmail.com

@AlawsetMagazine

@KovaraAlewset

@/alawsetmagazine

رقم الاعتماد
لدى نقابة الصحفيين العراقيين
١٤٨
رقم الإيداع
دار الكتب والوثائق ببغداد
٨٦٨ لسنة ٢٠٠٥

لدى وزارة الثقافة المصرية
دار الكتب والوثائق في القاهرة
رقم ٢٤٢١٧

مكتب القاهرة:
18 شارع ضريح سعد - القاهرة
ت: 27907104 / 01554349602

محتويات العدد

العدد: 58 ـ أيلول ـ 2022

كلـــمة العـــدد	رئيس التحرير	٣

الصراعات في الشرق الاوسط

دورُ جمعيّةِ الاتِّحادِ والتَّرقيّ في ترسيخِ القوميّةِ البدائيّةِ في الشَّرقِ الأوسط	صلاح الدين مسلم	٤ - ٩
النَّقشبنديّة.. تطوّرها وصراعاتها وانقسامها بين الانتماء الدّينيّ والقوميّ	جميل رشيد	١٠ - ٢٥
الصراع القومي في الشرق الأوسط	أحمد دالي	٢٦ - ٣٢
الصراع الكُرْدي - التركي	مصطفى شيخ مسلم	٣٣ - ٤٠
اهم الصراعات الاثنية في الشرق الأوسط	عواس علي	٤١ - ٥٠

التنافس العالمي على الشرق الاوسط

أزمة المياه في منطقة الشرق الأوسط	د. محمد عنبر	٥١ -٦٢
الاتفاقيات الروسية التركية و تأثيرها على استقرار شرق الأوسط	إسماعيل خالد	٦٣ - ٧٢
أزمة حضارة أم أزمة قوى الهيمنة؟	فوزي سليمان	٧٣ - ٧٦

قضايا عالمية وتأثيراتها على الشرق الاوسط

هجرة الشباب السوري	جيهان عبدو	٧٧ - ٨٢
الذكاء الاصطناعي و الثورة الصناعية الخامسة وملامحها	مصطفى السيد قنصوة	٨٣-٨٩
الناتو الشرق أوسطي مابين المساعي الامريكية والواقع الجيو سياسي	أحمد العناني	٩٠- ٩١

مواضيع متنوعة

العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل منذ ١٩٥٨ حتى ٢٠٢٠	حميدي المنصوري	٩٢ - ١٠٩
المنطقة الآمنة شمال سوريا... توافقات ومقايضات	أفين يوسف	١١٠ -١١٣
الشرق الأوسط وأزمة المواطنة	زيرين محمد خير	١١٤ -١١٧
في الحديث عن الهوية الكردية..نحو مشروع سياسي جديد	روشن مسلم	١١٨ - ١٢١
العلاقات الكردية العربيّة (٥)	عبد الله شكاكي	١٢٢ -١٣٦

كلمة العدد ٥٨

هيئة التحرير

كان العقد الاجتماعيّ منذ أوّل تجمّع بشريّ عاقل عبارة عن عقد طبيعيّ بين أفراد المجتمع لتسيير أموره، منذ بداية المجتمع الطبيعيّ حتّى الآن، ونقصد بالمجتمعات الطبيعيّة الآن هي المجتمعات التي تتحرّك خارج نطاق الدولة، أيّ المجتمعات القبليّة والعشائريّة، لكنّ الدولة ومنذ نشوئها قبل خمسة آلاف عام حتّى الآن صادرت العقد الاجتماعيّ، وجعلته حكراً عليها، عبر منظومة الدستور الدولتيّ، فاختلفت الدساتير ما بين دولة وأخرى، حسب اقتراب هذا الدستور من العقد الاجتماعيّ أو ابتعاده، أي أنّ الدولة التي تقترب من الديمقراطيّة تراعي فيها الديمقراطيّة المجتمعيّة إلى حدّ ما.

فأضحت المجتمعات المتطلّعة إلى الحرّيّة تحاول أن ترسّخ العقد الاجتماعي كمواد أوّليّة رئيسة في الدستور، ولمّا آلت الأمور إلى الحداثة الرأسماليّة والتي صارت الشركات الرأسماليّة العملاقة تريد أن تضمن حقوقها في الدساتير؛ لتضمن مصالحها فوق مصالح الشعوب، أضحى الصراع على أشدّه ما بين المجتمعات التي تريد أن تحقّق مصالحها وبين النظام الرأسماليّ، لذلك بات البحث عن عقد اجتماعيّ ضرورة حياتيّة للمجتمع، وإن تنازلت عن بعض حقوقها لصالح تغوّل الشركات العملاقة.

وتجربة شمال وشرق سوريا واضحة للعيان في صياغة العقد الاجتماعيّ الطبيعيّ وتطبيقه على الواقع أمراً ممكناً، وتجربة ناجحة إلى حدّ ما، فهذا العقد الاجتماعيّ يضمن حقوق المكونات الأثنيّة – العرقيّة والدينيّة، وحقوق المرأة المقموعة عبر سيطرة الذهنيّة الذكوريّة على مدى آلاف الأعوام، عبر مجالس وكومينات، وآليات الإدارة الناجحة البعيدة عن السلطة والتسلّط، فارتأينا في هذا العدد أن نعالج مواضيع تتعلّق بالعقد الاجتماعيّ، عبر أقلام كتّاب المجلّة الأعزّاء.

وقد كانت الحرب الضروس ما بين المجتمعات والسلطات تؤدّي إلى تهوّرات الدول عبر حروب فظيعة شرسة، وبدأت الحرب العالميّة الثالثة في بداية الألفيّة الثالثة، عبر خلق عدوّ جديد وهو الإرهاب، ونعت أيّ خارج عن المنظومة بالإرهابيّ، وخلق أجواء إرهابيّة في الشرق الأوسط لتسيير التدخّل المباشر للمنظومة العالميّة المهيمنة، وكلّها حروب هيمنة للسيطرة على مقدّرات الشعوب، وإركاعها، لتنصاع لهذه الحداثة الرأسماليّة المتهوّرة.

بالمقابل عالجنا مواضيع تتعلّق بالشرق الأوسط والعالم، أو علاقة العالم الغربيّ المهيمن على القرار العالميّ عبر منظومة اتّحاد الدول في هيكليّة تحاول أن تدير العالم في الأمم المتّحدة، فبات العالم بأسره يحتاج إلى صيغ قانونيّة لتستطيع أن تحافظ على وجودها ضدّ الحروب، والهيمنات العالميّة لدول النظام العالميّ المهيمن، ومشكلات الأمن الغذائيّ.

ولا بدّ لنا من طرح مواضيع منوَّعة في البحث عن حلول مجتمعيّة، تهتمّ بحقوق الأثنيات، وترسيخ مبدأ التعايش السلمي بين شعوب الشرق الأوسط، والعالم، ونبش التاريخ المخفي الذي وضعته الدول والممالك والإمبراطوريّات لطمس حقائق الشعوب التي لم تنخرط في صفوف الدولة، والتي صاغت عقدها الاجتماعيّ بعيداً عن دساتير الدول.

نشكر كلّ من ساهم في نجاح هذا العدد، وكلّنا أمل أن نكون قادرين على إيصال مشروعنا السلمي والديمقراطيّ للشرق الأوسط، ونتمنّى لقرّائنا الأعزّاء متعة القراءة، والمساهمة الفعّالة في تطوّر مجلّتنا.

دورُ جمعيّةِ الاتِّحادِ والتَّرقيّ في ترسيخِ القوميّةِ البدائيّةِ في الشَّرقِ الأوسطِ

صلاح الدين مسلم

سوريا

بدأ القرن العشرون بحروب في العالم بأسره، ولم تنطفئ نيرانها إلّا بعد أن رُسمت الحدود بالدِّماء، وبعد أن تقدّست تلك الحدود وصارت تقترب من الألوهيّة، ففكرة الوطن المحدّد بسياجٍ باتت الشغل الشاغل لمنظّري الحروب وتجّارها، وصارت الشّعوب تحتار في أمرِ هذه الدُّول التي لا تَشبع من الدّماء. كان الشّرق الأوسط أيضاً ضحيّة فكرة الدَّولة القوميّة التي ابتدعتها الحداثة الرَّأسماليّة لتضع أركانها، وتثبّت وجودها، فاندلعت الحروب في العراق وسوريّا وأفغانستان وإسرائيل – فلسطين، وتركيّا، وإيران، ومصر وغيرها من دول الشّرق الأوسط، وعقدت المؤتمرات ووعود إنشاء دول، وإزالة شعوب، لتُقام، وعلى مَرِّ التّاريخ، تحالفاتٌ ضدّ إرادة الشّعوب، وتَمّ إضفاء الطابع الميثولوجيّ والتأليهيّ لرموز القوميّة، فصار القادة آلهة القرن العشرين؛ أمثال مصطفى كمال أتاتورك، وجمال عبد النّاصر وصدّام حُسين وغيرهم من المنادين بألوهيّة اللّغة والعرق والدَّولة، وصارت القوميّة الأيديولوجيّة الرَّسميّة لأيّ دولة ناشئة، وصارت عُصبة الأمم حقيقةً راسخةً في توطيد نظام الدَّولة القوميّة، ولسان حال الأمم، فكأنّ هذه الدّول هي حقيقة قائمة معبِّرة عن الأمم، شاءت الأمم أم رفضت، وكأنّها صارت قانوناً إلهيّاً.

كانت بدايات القرن العشرين حافلةً بالتغييرات الجيوسياسيّة، الفكريّة، السّياسيّة والاجتماعيّة، وخاصَّةً بعد الحرب العالميّة الأولى، واتّسمت أعوام ما بعد ١٩١٨ بتسارعٍ كبيرٍ في رَسمِ معالِمِ تفتيت منطقة الشَّرق الأوسط، إضافةً إلى نشوء الفكر القوميّ، وهو الفكر الجديد المُختَلَق الذي كان طارئاً على سيرورة التّاريخ الشَّرقيّ الفكريّ والاجتماعيّ والسّياسيّ والثّقافيّ، وهذا ما جعل المفكّرين المتأثّرين باللّيبراليّة الغربيّة وأفكار الثّورة الفرنسيّة وخاصَّةً في مصر التي كانت في علاقات مفتوحة مع فرنسا منذ استلام مُحمَّد علي باشا الحكم في بدايات القرن التّاسع عشر.

كانت مبادئ القوميّين برّاقة في تبنّيهم أفكار الحُرّيّة والعدالة والمساواة، في شَدِّ المجتمعات إلى هذه الأفكار الطوباويّة في ظِلِّ الحكم الديكتاتوريّ للإمبراطوريّة العثمانيّة التي كانت في أوج قمعها مع استلام السُّلطان عبد الحميد الثّاني الحكم، وتغلغل جمعيّة الاتّحاد والترقيّ في مفاصل الدَّولة، لا سيَّما وُلاة الشَّرق الأوسط العثمانيّين المُنخرطين في صفوف هذه الجمعيّة الفاشيّة.

كان السُّلطان عبد الحميد الثّاني آخر سلطانٍ فعليٍّ للإمبراطوريّة العثمانيّة، لأنَّ من تلاهُ كان مُجرَّداً من القوَّة السّياسيّة. وقد تميَّزَ العهد الحميديّ بالمجازر الدَّمويّة حيث ارتكبت المذابح الأرمنيّة، من جهة، وازدادت المطامع الصهيونيّة بأرض فلسطين، من جهة أخرى.

لقد تحَوَّلَ نظام الحكم في الدَّولة العثمانيّة من المَلكيّ المُطلق إلى المَلكيّ الدُّستوريّ، وأُعيد العمل بالدُّستور العُثمانيّ سنة ١٩٠٨م، فسيطر حزب الاتّحاد والترقيّ على أغلب مقاعد البرلمان، وكان لصعود هذا الحزب الفاشي تأثيرٌ كبيرٌ على فشل الدَّولة العثمانيّة، وانهيارها، بسبب رفضه لتطلّعات جميع الشُّعوب غير التُّركيّة، وكذلك رفض معظم الشَّعب التُّركيّ المُسلم هذه اللُّغة القوميّة الفاشيّة الجديدة، تلك اللّيبراليّة الغربيّة الغريبة عن النَّمط الشَّرقيّ الذي كان سائداً في الإمبراطوريّة العثمانيّة.

كانت تصرُّفات الوالي المنتمي لحزب الاتّحاد والترقيّ؛ جمال باشا السفّاح غريبةً وشاذَّةً وغير متداولة عندما كان والياً على العراق، وقد دامت ولايته لبغداد حوالي سنة تقريباً، وكان لا يهتمُّ بالمظاهر الدّينيّة، فكان يحضر الحفلات الرّاقصة التي كانت تقيمها الجالية الأوروبيّة التي كانت تسكن بغداد حينها، فلم يكن المجتمع الشَّرقيّ آنذاك قد أَلِفَ هذا الأمر من قبل في زمن أيِّ والٍ عثمانيٍّ سابقٍ.

بَقِيَ النِّظام الملكيّ الدّستوريّ، حتّى انهارت الدَّولة العثمانيّة بعد عشر سنوات، إثر مشاركتها في الحرب العالميّة الأولى إلى جانب الإمبراطوريّة الألمانيّة التي خسرت الحرب، وخسر العثمانيّون معها.

استسلمت السَّلطنة العثمانيّة لِلحُلفاء سنة ١٩١٨م، وانتهت الدَّولة العثمانيّة بصفتها السّياسيّة بتاريخ ١ نوفمبر/ تشرين الثّاني سنة ١٩٢٢م، وأزيلت بوصفها دولة قائمة بحكم القانون في ٢٤ يوليو/ تمّوز سنة ١٩٢٣م، بعد توقيعها على معاهدة لوزان، وزالت نهائيّاً في ٢٩ أكتوبر/ تشرين الأوَّل من نفس السَّنة عند قيام الجمهوريّة التُّركيّة، التي تعتبر حاليّاً الوريث الشَّرعيّ للدَّولة العثمانيّة، فبدأت الحقبة الجديدة للإمبراطوريّة العثمانيّة، مع ترسيخ بُنية الدَّولة عبر سيول من الدِّماء والمجازر، من خلال تطعيم هذا الشَّرق بهذا اللَّون الجديد الغريب عن تاريخه، وما زالت إلى هذه اللَّحظة تعيش الشُّعوب في تركيّا في أزمات وقضايا مستعصيّة، والحَلُّ الوحيد الذي تنتهجه الدَّولة التُّركيّة هي سياسة القمع والقتل والمؤامرات والدَّسائس والمناورات والكذب والنِّفاق.

في الذِّكرى المئة للثَّورة الفرنسيّة عام ١٨٨٩؛ شُكِّلت جمعيّة سُرّيّة سمّيت "جمعيّة الاتّحاد والترقيّ» على أيدي طلّاب المدرسة الحربيّة والمدرسة الطبيّة العسكريّة وكان هدفها الوحيد

هو عزل السُّلطان عبد الحميد الثّاني، وإعادة الحياة الدّستوريّة للدّولة. وكان وراء التشكيل ماسونيٌّ ألبانيٌّ يدعى "إبراهيم تيمو" أو «أدهم». كما يدعى أحياناً. أخذت أفكار هذه الجمعية تنتشر بين طلّاب المدارس العُليا في العاصمة، وانتشرت خارج البلاد بين المنفيّين الأتراك في باريس وجنيف والقاهرة، وأصدرت مجلة "عثمانلي" في جنيف لبَثِّ أفكارها والترويج لها.

أخذت الحركة تتطوَّر بشكل سريع داخل الدَّولة وخارجها، فقامت الدّول الأوروبيّة والمنظَّمات الماسونيّة واليهوديّة باحتضانها، وفق رأي بعض المؤرِّخين. في ذاك التَّوقيت؛ بدأ الصهاينة بالتحرّك لخلع السُّلطان عبد الحميد، وكان للسَّفارات الخارجيّة الدَّور الأكبر في دخول الصحف والمنشورات المعادية للسُّلطان داخل صفوف ومؤسَّسات الدَّولة وتوزَّع على التشكيلات الدّاخليّة بسُرّيّة.

اكتُشِفت هذه الجماعة في ١٨٩٧، فتَمَّ نفي الكثير من أعضائها وفَرَّ بعضهم إلى باريس، فأرسل السُّلطان مدير الأمن العام الفريق الأوّل «أحمد جلال الدّين باشا» لاستمالتهم للعودة، فأقنع أكثرهم ومنحهم مناصب كبيرة في الدَّولة، إلا أنَّ "أحمد رضا بك" أصَرَّ على البقاء في باريس مع حفنة من مؤيّديه، ولم يترك السُّلطان المحاولة في استمالة هؤلاء، فأمر سفرائه في الدّول الأجنبيّة بالضغط على الحكومات التي تساعد المنظَّمة، وأرسل أناساً لها بهدف عمل الانقسامات الدّاخليّة بين صفوفها. انضَمَّ "داماد محمود جلال الدّين باشا" صهر السُّلطان هو وابنيه «صباح الدّين" (الذي أشيع اسمه لاحقاً بلقب "السُّلطان الأحمر" الذي قاتل الأرمن مع السُّلطان عبد الحميد وسَرَّب المعلومات للصحافة الأوروبيّة مع ابنه "لطف الله» .[1]

انتشرت الجمعيّة في ولايات الدَّولة، منها مصر التي كانت بريطانيا قد احتلّتها في وقت سابق، وأصبحت ملاذاً لأفرادها الهاربين. إلا أنَّ مدينة "سالونيك»، الموجودة في اليونان الآن، ظَلَّت المركز الأساسيّ لنشاطات الجمعيّة السِّياسيّة والعسكريّة. أثارت شعارات الاتّحاديّين عن "الحُرّيّة، العدالة، والمساواة" بعض الجماعات العربيّة وساعدتهم على قلب نظام الحكم. فما بين ٤ إلى ٩ فبراير/ شباط ١٩٠٢ م أقيم في مدينة باريس «مؤتمر العثمانيّين الأحرار"، وحضره جميع المناهضين ضُدَّ حكم عبد الحميد وعلى رأسهم جمعيّة الاتّحاد والترقيّ. خلال تلك الأيّام اتّخذوا العديد من القرارات، أبرزها: تقسيم الإمبراطوريّة إلى حكومات مستقلّة استقلالاً ذاتيّاً وعلى أساس قوميّ. رفض "أحمد رضا بك" هذه الفكرة، إلا أنَّ الأغلبيّة أيَّدت القرار، كما رفض «أحمد رضا بك» رئيس المؤتمر و»علي حيدر بك بن مدحت باشا» قرارات المؤتمر ولم يوقّعا عليها. بعد ذلك انقسمت المعارضة، وقرَّرَ الاتّحاديّون العمل وحدهم في «مقدونيا» والحصول على تأييد الجيش الثالث المرابط هناك. ترك هؤلاء باريس كونها مركزهم السّابق، وأسَّسوا مركزاً

"بدأ القرن العشرون بحروب في العالم بأسره، ولم تنطفئ نيرانها إلا بعد أن رُسِمت الحدود بالدِّماء، وبعد أن تقدّست تلك الحدود وصارت تقترب من الألوهية، ففكرة الوطن المحدّد بسياجٍ باتت الشغل الشاغل لمنظّري الحروب وتجارها، وصارت الشُعوب تحتار في أمر هذه الدُول التي لا تشبع من الدِّماء، فقد كان الشرق الأوسط أيضاً ضحية فكرة الدّولة القومية التي ابتدعتها الحداثة الرأسماليّة لتثبيت وجودها."

١ ويكيبيديا — الموسوعة الحرّة - بتصرّف

صغيراً في «سالونيك»، وتبعته شعبة في «مناسطر»، ومع مرور الوقت انضَمَّ الكثير من المدنيّين للجمعيّة، وتبعهم أشخاص ذوي مراكز عليا.

لقد أدّى سقوط الدَّولة العُثمانيَّة إلى ولادة مُعظم دُول الشَّرق الأوسط المُعاصرة، بعد أن اقتسمت المملكة المتّحدة وفرنسا التَّرِكَة العُثمانيَّة في العراق وبلاد الشّام، بعد أن انتزعت منها سابقاً مصر وبلاد المغرب.[٢]

كان الحاكم الفعليّ للإمبراطوريّة العثمانيّة هو حزب الاتّحاد والتَّرقيّ الفاشي، فقد سيطر على الحكم عام ١٩٠٨، فبدأ العثمانيّون حينها بارتكاب مجازرهم ضُدَّ الأرمن. ومع اندلاع الحرب العالميّة الأولى، وتحديداً في إبريل/ نيسان ١٩١٥ بدأت المجازر الأرمنيّة، وضُدَّ الآشوريّين والسُّريان والكلدان، وقُدِّرَ عدد القتلى الأرمن بمليون ونصف وعدد القتلى السُّريان والآشور بنصف مليون.

ويذكر الكاتب العفرينيّ «عبد الله قره مان» في كتابه «وطن الشَّمس»: « كانت النُّواة الأولى لجمعيّة الاتّحاد والتَّرقيّ مجموعة بيروقراطيّة تركيّة موالية لألمانيا، وقد تحالفت مع عدد من المستثمرين اليهود وشكّلت جمعيّة الاتّحاد والتَّرقيّ، حيث كان معظم مؤسّسي الاتّحاد والتَّرقيّ ينحدرون من أصول مختلفة غير تركيّة، ويعيشون تحت سُلطة الدَّولة العثمانية، أمثال: مُحمَّد رشيد بك (شركسي)، إبراهيم تمّو (ألباني)، إسحق سكوتي (كُرديّ – آمدي)، عبد الله جودت (كُرديّ – ملطي)، علي حسين زادة (آزري)"[٣]

لقد كانت وعود جمعيّة الاتّحاد والتَّرقيّ برّاقة كما هي عادة التيّارات القوميّة البدائيّة، في تبنّي شعارات الثَّورة الفرنسيّة، ما لفت الانتباه إلى أنَّ شعارات القوميّين متشابهة، وكُلّها مستمدَّة من مصدر واحد ألا وهو الثَّورة الفرنسية، (الحُرّيّة، العدالة، والمساواة)، وهي أيديولوجيّة مُستمدَّة من حركة التَّنوير الأوروبيّ، وقد رفع أغلب رجال النَّهضة شعارات الثَّورة الفرنسيّة، كما تأثَّروا تأثراً بالغاً بفلاسفة عصر التَّنوير الأوروبيّ. فقد عارضت جمعيّة الاتّحاد والترقيّ السُّلطة المركزيّة للدَّولة العثمانية، وهذا ما أثّر على حركة التَّنوير العربيّة، فقد عارضت هي أيضاً المركزيّة، ولعلَّ كتاب «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد»، للكاتب «عبد الرَّحمن الكواكبيّ»، أهَمَّ كتاب سياسيّ – اجتماعيّ معارِض، تمّ تأليفه في تلك المرحلة.

رفض مصطفى كمال أتاتورك والجمعيّة الوطنيّة بنود معاهدة «سيفر»، التي تنصّ في إحدى بنودها على قيام حكومة كُرديّة في الولايات الشَّرقيّة والجنوبيّة، إذ طالبت أكثريّة الكُرد بها بعد سنة من المعاهدة، وكان هناك بند آخر يقول بتشكيل لجان تحقيق في جرائم القتل والتَّهجير.[٤]

بالمقابل تسلَّم «ونستون تشرشل» رئاسة مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١، وكان حينها وزير دولة لشؤون المستعمرات، وكانت الغاية من المؤتمر مناقشة مستقبل العراق ومستقبل العرب والكُرد وإقامة دولة لليهود، ومحاولة تخفيف الإنفاق على المستعمرات البريطانيّة في الشَّرق الأوسط، ورسم سياسة لشعوب الشَّرق الأوسط من خلال تطعيمها بالأفكار القوميّة، وترسيخ الدَّولة القوميّة، وتحويل الاستعمار القديم إلى شكل جديد أقلَّ كُلفةً من الاستعمار المباشر.

لقد لخّص «ونستون تشرشل» النِّقاش حول الكُرد في المؤتمر بقوله: "إنّ حكومة عربيّة في المستقبل العراقيّ، ومن ورائها جيش عربيّ، ستتجاهل طموحات وأماني الشَّعب الكُرديّ وستضطّهده كأقلّيّة؛ إن لم يُتَحْ للشَّعب الكُرديّ المجال ليحكموا أنفسهم بأنفسهم،

٢ المصدر السابق

٣ وطن الشمس – تاريخ كردستان بين سنوات (١٨٤٧-١٩٤٧) – الكاتب: عبد الله خليل قره مان – دار شلير – القامشلي – الطبعة الثانية ٢٠٢٠

٤ موقف التيار الإسلاميّ والتيّار العلماني في تركيا من القضيّة الكرديّة – د. وليد رضوان – دار النهج – حلب – الطبعة الأولى ٢٠٠٨

وإذا صيرَ إلى إلحاقهم بالدَّولة العربيّة الجديدة (العراق)؛ فإنَّ أيَّ أميرٍ شريفيٍّ مهما بدا ديمقراطيّاً ومتّسماً بروح الحياد، وما إن يَجِدُ نفسه أصبح في موضع قوَّةٍ؛ ليس ببعيدٍ أن يقف في سبيل الطموح القوميّ للشَّعب الكُرديّ ومصالح الكُرد كأقلّيّة عنصريّة. ولذلك يبدو ألّا سبيل توفيقيّاً للمصلحة البريطانيّة إلّا لإقامة دولة كُرديّة مستقلّة عازلة بين العراق الجديد وتركيّا الحديثة".[٥]

لقد استتبَّ الحكم لجمعيّة الاتّحاد والتَّرقيّ ومصطفى كمال أتاتورك وحزبه الفاشي الدّيكتاتوريّ بإلغاء السَّلطنة العثمانيّة عام ١٩٢٢ وإعلان الجمهوريّة عام ١٩٢٣ وإلغاء الخلافة الإسلاميّة عام ١٩٢٤. "فكانت الأنظمة السِّياسيّة التي تألّفت في أوروبا بعد الحرب العالميّة الأولى نتيجة الزَّعامة الفرديّة هي حكومة الحزب الواحد ووحدة الدَّولة والحزب. وقد أصبحت تلك النَّماذج الأوروبيّة المثال الذي احتذت به الحركة الكماليّة حتّى نهاية الحرب العالميّة الثانيّة".[٦]

وللمفكّر الثّائر عبد الله أوج آلان رأي آخر في مصطفى كمال أتاتورك، فيراه ضحيّة هذه التَّحالفات، وكانت القيادة الفعليّة بيد يهود «الدونما»، والصَّهاينة والبريطانيّين، و»عصمت إينونو»، و»فوزي جاقماق» وغيرهم من قيادات جمعيّة الاتّحاد والترقيّ الذين أضفوا الطابع الميثولوجيّ على «مصطفى كمال»، وجعلوه إلهاً، رفعوه إلى السَّماء ليمارسوا دورهم في ترسيخ القوميّة الفاشيّة، فيقول في هذا الصدد: "فالحملةُ التي قادَها مصطفى كمال باشا في ظلِّ هذه الظروف، كانت مثيرةً وبالغةَ الأهميّةِ في آنٍ معاً. إذ من المعلومِ أنَّه أُقصِيَ من قِبَلِ كوادرِ السُّلطةِ الاتّحاديّين. ومن العسيرِ

> **"انتشرت الجمعية في ولايات الدولة، منها مصر التي كانت بريطانيا قد احتلتها في وقت سابق، وأصبحت ملاذاً لأفرادها الهاربين. إلا أن مدينة "سالونيك"، الموجودة في اليونان الآن، ظلت المركز الأساسيّ لنشاطات الجمعية السياسية والعسكرية. أثارت شعارات الاتحاديين عن "الحرية، العدالة، والمساواة" بعض الجماعات العربية وساعدتهم على قلب نظام الحكم. ففي ١٩٠٢ أقيم في باريس "مؤتمر العثمانيين الأحرار".**

كونُه مُوالياً للإنكليز، بسببِ وضعِه المُتمرِّد. بالتّالي، فوضعُه أَشبَهُ بحالِ «روبسبيير» أكثر منه بنابليون في الثَّورةِ الفرنسيّة.. وكان مصطفى كمال قد تحدَّثَ في الاجتماعِ الصحفيِّ الذي عقدَه في «إزميت» مطلعَ عامِ ١٩٢٤ عن أوسعِ آفاقِ "الاستقلالِ الذّاتيّ"، أي عن شبهِ الاستقلالِ الدّيمقراطيّ غيرِ المستندِ إلى الحدود، كنموذجِ حلٍّ معنيٍّ بالكُرد. لكن، وفي الفترةِ التي شهدَت الوفاقَ مع الإنكليز ضمن نطاقِ الميثاقِ المللّيِّ حول كردستان العراقِ الرّاهنة، بدأَ خطوُ الخطواتِ على سياقِ أخطرِ المؤامراتِ المُستهدِفةِ للكُرد. وثنائيّةُ "إمّا الجمهورية أو الموصل وكركوك"، التي فرضَها الإنكليزُ على رئاسةِ مصطفى كمال؛ إنَّما كانت تُشَكِّلُ المبادرةَ السِّياسيّة الكامنةَ وراء تلك المؤامرة».[٧]

وبالنِّسبة للشَّعب الكرديّ؛ فقد كان ضحّيّة

٥ القضيّة الكرديّة في مؤتمر القاهرة ١٩٢١ (الإشكاليّة والأبعاد) — الكاتب: سيهانوك ديبو — دار شلير — القامشلي — الطبعة الثانية ٢٠٢١ — الصفحة ١٢٤

٦ أكراد تركيا — الكاتب: د. إبراهيم الداقوقي — دار المدى — بيروت — الطبعة الأولى ٢٠٠٣ — الصفحة ١٨٦

٧ مانيفستو الحضارة الديمقراطيّة — الجزء الخامس — الكاتب: عبد الله أوج آلان — ترجمة: زاخو شيار — مطبعة آزادي — القامشلي — نيسان ٢٠١٣ الصفحة 451

ترسيخ هذه السّياسات الإقصائيّة للهيمنة البريطانيّة واليهوديّة والتّحالف مع رموز القوميّة البرجوازيّة المحلّيّة التي ارتأت مصالحها ومنافعها الشّخصيّة في ترسيخ مبادئ الإبادة والصهر والتّطهير العرقيّ، وفرض نظام الدّولة القوميّة المتحالفة مع الرّأسماليّة العالميّة، والتي جعل من الدّول القوميّة حقيقةً راسخةً كلّ الرّسوخ.

وكان الشّعب الكرديّ ضحّيّة وساطته بين الدّول والمجتمعات، وَصِلَة الوصل ما بين مجتمعات المنطقة، حيث يخبرنا التّاريخ والحاضر بوجود علاقات مجتمعيّة مترسّخة ما بين الشّعب الكُرديّ والشّعوب «العربيّة، التّركيّة، الفارسيّة، الأرمنيّة، السّريانيّة"، فإقصاء الكُرد عن السّاحة السّياسيّة يعني ضرب العلاقات المجتمعيّة، وتشتيتها، لسهولة السّيطرة على تلك المجتمعات والشّعوب، كما أنّها تُرسّخ مبادئ المواطنة الصارمة. ويقول المفكّر عبد الله أوج آلان في هذا الصدد: "إنّ الحِراكَ الكُرديّ القائمَ في الفترة ما بين عامَي ١٩٢٥ و١٩٤٠، والذي سُعِيَ إلى الحُكمِ عليه ووصمِه بالتمرُّدِ الرّجعيّ على نظامِ الجمهوريّة؛ هو حِراكٌ يهدفُ من حيث المضمونِ إلى الحفاظِ على الوجودِ الذّاتيّ في وجهِ الفاشيةِ التُّركيّةِ البيضاء، وإلى التصدّي لحملةِ تصفيةِ الهُويّةِ الكُرديّة. فالكُردُ كشَعبٍ كانوا قد ساهموا من الصميمِ في حربِ التّحريرِ الوطنيّةِ وفي تشييدِ صرحِ الجمهوريّةِ، على حدٍّ سواء. وكونُهم ساهموا كعناصر أصليّين، هو أمرٌ منصوصٌ عليه في وثائقِ جميعِ الاجتماعاتِ المُهِمَّة، ومعاهدةِ «أماسيا»، ووثائقِ مؤتمَري «أرزروم وسيواس»، والعديدِ من قوانينِ البرلمانِ التُّركيّ، بل وحتّى في دستورِ تركيّا الأساسيِّ لعامِ ١٩٢١. فما يُشَكِّلُه التحرُّرُ الوطنيُّ بالنسبةِ للشَّعبِ التُّركيّ، إنّما يحملُ معانيَ مشابهةٍ بالنّسبةِ للشَّعبِ الكُرديِّ أيضاً. حيث لَم تُؤَسَّسْ الجمهوريّةُ باعتبارِها جمهوريّةَ الأثنيّةِ التُّركيّةِ الخالصة، بل كانت شُيِّدَت اعتماداً على البنى الأثنيّةِ التعدّديّةِ وفي مقدّمَتِها الكُرد، وكانت أُضفِيَت عليها مثلُ هذه المعاني. علاوةً على أنَّ هُويَّةَ الكادحين وهُويَّةَ الأمَّةِ الإسلاميّةِ كانتا تُعتَبَران هُويَّتَين مؤسِّستَين. هذا وكان الدَّعمُ السّوفييتيُّ علنيّاً. لكن، وعندما تَمَّ تبنّي التيّارِ التُّركيّاتيِّ للتّقاليدِ الاتّحاديّة، والذي يرتكزُ إلى مفهومِ الأثنيّةِ الواحدةِ كأيديولوجيّةٍ رسميّة؛ أُقصِيَت جميعُ العناصرِ الأخرى كأمرٍ لا مهرب منه. وأدّت أبسطُ مطالبةٍ لهم بحقوقِهم إلى الإبادة".[٨]

ويمكننا إنهاء هذه المقالة بقول للمفكّر الثّائر عبد الله أوج آلان: "لقد كانت ثوراتُ الأمّةِ الدّيمقراطيّةِ المتناميةُ في بلادِ الأناضولِ وميزوبوتاميا فيما بين عامَي ١٩١٩ – ١٩٢٢ ثمرةً من ثمارِ نضال الشُّعوبِ بالفعل. وخالفُ الشُّعوبِ هو الذي كان كَلَّلَ تلك الثَّوراتِ بالنَّصرِ المؤزَّر. وكافَّةُ التَّصريحاتِ التي أدلى بها حينذاك قائدُ هذه الثَّوراتِ مصطفى كمال، إنَّما تُشيدُ بهذه الحقيقة. لقد كان الشَّعبان التُّركيّ والكُرديُّ يُشَكِّلان العنصرَين الأصليَّين المُكَوِّنَين للثَّورةِ الوطنيّة. وعلى الصعيدَين الأيديولوجيِّ والسياسيِّ أيضاً، كانت التيّاراتُ التُّركيّةُ والكُرديّةُ واليهوديّةُ (حركة الدونما) والشركسيّةُ الوطنيّةُ من جهة، والتيّارات القوميّةُ الإسلاميّةُ والشّيوعيّةُ من الجهةِ الأخرى ضمن تحالفٍ فيما بينها. بالتّالي، فالنَّصرُ المُحرَزُ بهذا التّحالف، كان عبارة عن ثورةٍ وطنيّةٍ ديمقراطيّةٍ ضدَّ الإمبرياليّةِ وأزلامِها المتواطئين معها".[٩]

٨ المصدر السابق - الصفحة ٢٧٤

٩ المصدر السابق - الصفحة ٥٠٨

النَّقشبنديّة..

تطوّرها وصراعاتها وانقسامها بين الانتماء الدّينيّ والقوميّ

جميل رشيد

سوريا

تمهيد:

يحفل تاريخ الشَّرق بالحركات الدّينيّة التي ألقت بتأثيراتها على المجتمعات، وغيَّرت ثقافاتها وتركت بصماتها على مراحل معيّنة من تاريخها، لتشكّلَ نقطة تحوّل نقلتها على أعتاب دخول عصر جديد، بكُلِّ ما تحمله من آلام ومخاضات، مثلما حدث للحركة «الكالفنيّة» في بداية القرن الخامس عشر، وتحوَّلت فيما بعد إلى المذهب البروتستانتيّ، وأشعل حروباً دينيّة في أوروبا المسيحيّة، لم تنطفئ نيرانها إلى بعد توقيع جميع الأفرقاء المتحاربين على وقف الاقتتال الدّينيّ في معاهدة فيستفاليا عام 1648.

ومنطقة الشرق الأوسط، وباعتبارها مَهْدَاً للأديان السَّماويّة والفِرَق والنِّحَل المنبثقة منها، شهدت ولادة حركات ومذاهب دينيّة وطرق صوفيّة عديدة، منها باطنية، وأخرى ظاهريّة، لتتحوّل في فترة لاحقة إلى أعداء متخاصمين، تتقاتل فيما بينها على الانتماء المذهبيّ والطائفيّ، أكثر ممّا تختلف على أمور العقيدة والدّين، فكان في أغلب مفاصل التّاريخ الدّينيّ والمذاهب المتشعِّبة منها السَّيف هو الحكم بينها، دون الأخذ بأسباب موضوعيّة وفكريّة وعقيديّة لخلافاتها مع المذهب والطَّريقة الأخرى.

كانت القطيعة وتكفير المذاهب والطرق الأخرى حاضرة في صلواتهم ودعواتهم وفي كُلِّ طقوسهم الدّينيّة، ولم تعش فترة وئام بينها، ما أحدث شرخاً مجتمعيّاً كبيراً وبَوْناً بين الأفراد، زاد اتِّساعاً مع تَسَيُّد شيوخ المذاهب والطرائق الدّينيّة لزعاماتهم، وإصدارهم فتاوى تُحلِّل وتُحرّم وفق مشيئتهم، ليرسِّخوا حالة عداء مستعصية على الحَلّ، أسبغت بها مجمل مناحي الحياة، في الزَّواج والعادات والتَّقاليد والأعراف العامّة، حتّى في الفصل بين الأحياء التي يقيم فيها المذهب المخالف له، واستمرّت تلك الحالة بكُلِّ مساوئها وسلبيّاتها إلى يومنا هذا، وبكُلِّ أسفٍ.

إنَّ دراسة الحركات الدّينيّة والمذاهب والطرق المتفرِّعة عنها، ليست بتلك السُّهولة التي يتوقّعها البعض، وتتطلَّب سبراً في أعماقها وكُنهِها، واتّخاذ الموضوعيّة والحياد في الاستنتاجات، وكشف مَواطن الضعف والخلل فيها، طالما كانت السَّبب في تشابكها، وبالتّالي الإلمام بقدرٍ كافٍ من الدِقّةِ في إطلاق الأحكام عليها.

ينبغي في البداية الإقرار بأنَّ تلك الحركات والطرق الدّينيّة لعبت في فترة تاريخيّة ما، على الأقلّ إبّان نشوئها، دوراً هامّاً في تحديد ورسم مستقبل الشُّعوب والمجتمعات، رغم حالة الانغلاق العامّة على نفسها التي اتّسمت بها، وتحوّل قسمٍ منها إلى حركات وطرق باطنيّة خفيّة، لا تُظهر ما تُبطنه، وتقع في مغالطات عقيديّة وفكريّة فجَّة، حوَّلتها من حركة تنويريّة إلى مضادَّةٍ لها، ولتعيش حالة التقمُّص والانكفاء عن الحياة العامّة، وتَسجُنَ نفسها ضمن أسوار صنعتها هي بنفسها ولنفسها، وتغدو مع مرور الزمن حركات رجعيّة كابحة لتطوّر المتجمعات وعقبة أمام الفكر والتنوير، بل انبرت لتحاربه بكُلِّ الوسائل والطرق التي برَّرتها لنفسها من خلال سيل من فتاوى التَّكفير.

سنحاول في دراستنا هذه دراسة الحركة النَّقشبنديّة، وتاريخيّة نشوئها، وامتدادها في عدَّة مناطق وبلدان، والتطرُّق إلى أهمّ الأدوار التي قامت بها في المجتمعات الشَّرقيّة، وكيف تَمَّ استغلالها فيما بعد من قبل السُّلطات الحاكمة، لتتحوّل إلى حركة مضادَّةٍ لأيِّ تطوّر علميّ وفكريّ خارج إطار المنظومة الدّينيّة التي آمنت بها. وكذلك سنحاول أن نبحث في صراعاتها مع الحركات الدّينيّة الأخرى والطرق المخالفة لها، وكيف اختصرت الدّين والمجتمع في طريقتها، إلى أن وصل بها الأمر إلى إصدار أحكامها وفتاويها المستندة إلى توجُّهات ورؤى متزمّتة لشيوخها أحدثت شروخاً في المجتمعات التي انتشرت فيها، لتدخل مع بداية القرن التّاسع عشر والعشرين في الصراعات السِّياسيّة وتستغلّها الطبقة السِّياسيّة في خدمة مصالحها واستدامة سلطتها، وخاصَّةً أثناء الانتخابات.

سنركِّز على دور الحركة النَّقشبنديّة في تاريخ الشَّعب الكُرديّ، ونحاول كشف سلبيّات وإيجابيّات دورها وانعكاسه على القضيّة الكُرديّة سابقاً وحاضراً، وكيف تحوّلت إلى مذهب دينيّ – سياسيّ؛ تتّكِئ عليها بعض الحركات والأحزاب الكُردستانيّة لتكوين حاضنة مجتمعيّة لها، إلى جانب تبيان التراتبيّة

الدّينيّة في الطَّريقة، وكيفيّة إصدار الأوامر والقرارات، خاصَّةً داخل كردستان، باعتبارها الموطن الأوّل لنشوئها، وكذلك سبر أهَمّ المنعطفات التّاريخيّة التي مرَّت بها الحركة، ومعرفة خصومها وأعدائها، إلى جانب استعراض الطقوس الدّينيّة والطرائقيّة التي تُميّزها عن غيرها من الطرق الدّينيّة المنتشرة في كردستان والشَّرق الأوسط.

النشأة التّاريخيّة للحركة النَّقشبنديّة:

حسب المصادر التّاريخيّة؛ تعود الجذور الأولى لنشأة الحركة النَّقشبنديّة إلى القرن الثّامن الهجري، وأسَّسها «مُحمَّد بهاء الدّين النقشبند» في قرية «قصر هندوان»، من قرى بخارى «أوزبكستان» حاليّاً.

وفي رواية أخرى، يَعتبر مؤرّخون أتراك أنَّ النَّقشبنديّة مشتقَّة من الحركة «اليَسويّة»، حيث أنّ «أحمد يسوي» أسَّس الحركة اليَسويّة، وانتشرت بشكل واسع بين الأتراك في أواسط القرن الثّاني عشر الميلاديّ. وهي أوّل طريقة صوفيّة سعت لنشر الإسلام بين الأتراك، خاصَّةً عندما ربط «أحمد يسوي» بين طريقته الصوفيّة والإسلام، فلاقت تعاليمه رواجاً كبيراً بين الأتراك.

أثَّرت الحركة اليَسويّة بشكل عميق في النَّقشبنديّة، من خلال صلة شيوخها بـ»أحمد يسوي»، حيث تؤكّد عدّة مصادر تاريخيّة أنَّ الشّيخ النَّقشبنديّ «بهاء الدّين نقشبند» نالَ تعاليمه الطرائقيّة على يد كُلٍّ من الشّيخين «قاسم وخليل آتا»، وهما من أبرز شيوخ اليَسويّة. وعن طريق «اليَسويّة» انتشرت النَّقشبنديّة بين أتراك تركستان، وفق مؤرّخي التراث الدّينيّ.

في فترة زمنيّة لاحقة؛ اندمجت اليَسويّة بالنَّقشبنديّة، لتذوب في تعاليمها وطرائقها، ولتحقّق انتشاراً واسعاً في بلدان الشَّرق

> **”ينبغي الإقرار بأن تلك الحركات والطرق الدّينية لعبت في فترة تاريخيّة ما، على الأقل إبان نشوئها، دوراً هاماً في تحديد ورسم مستقبل الشعوب والمجتمعات، رغم حالة الانغلاق العامة على نفسها التي اتسمت بها، وتحول قسم منها إلى حركات وطرق باطنيةً خفية، لا تظهر ما تبطنه، وتقع في مغالطات عقيدية وفكرية فجة، حولتها من حركة تنويريّة إلى مضادةٍ لها.“**

والقفقاس، حتّى أطلق عليها مريدوها اسم ”السّياحة الدّينيّة“، نظراً لكثرة المريدين المنضمّين إليها.

ومن حيث الطقوس والعقائد؛ للحركتين ذات المنهج الصوفيّ والعقيديّ، ولهذا السَّبب لم يتأخَّر اتّحادهما واندماجهما معاً.

يمكن القول بأنَّ النَّقشبنديّة تشبه إلى حَدٍّ كبير ”الطَّريقة البكتاشيّة“، لجهة قدرتها على احتواء عدد من الطرق الصوفيّة، وكذلك – وهذا هو الأهَمّ – من حيث أنَّهما حركتان باطنيّتان تعملان في الخفاء وفي العلن معاً، طبقاً للطقوس والعقائد المحدّدة لكُلّ طريقة.

ويورد الكاتب التُّركيّ ”فؤاد كوبرولي“ في كتابه ”قيام الدَّولة العثمانيّة“ رواية مغايرة عن جميع مؤرّخي الحركات والطرائق الدّينيّة، حيث يعتقد أنَّ النَّقشبنديّة انبثقت عن ”اليَسويّة“، ويذهب إلى حَدِّ القول ”حملت

النَّقشبنديّة واليَسويّة ما حملت من التَّشابه في عاداتها وعقائدها ومراسيمها وطقوسها؛ بل لنا أن نقول إنَّها تأسَّست على قواعد وأصول اليَسويّة". وينعته باحثون دينيّون بأنَّه يقدِّم قراءة قوميّة للطريقة اليَسويّة، وأنَّ فهمه اقتصر على أخذ جانب واحد من الطَّريقة دون الإلمام بجميع أبعادها المجتمعيّة والفلسفيّة والإيديولوجيّة.

لقد راجت النَّقشبنديّة في تركيّا بعد اندماج اليَسويّة، وفرضت نفسها كبديل لها، لما لها من عمقٍ دينيّ وقوَّة في أداء الطقوس والعقائد، ما أدّى إلى انتقالها إلى خراسان وخوارزم. ويؤكّد "كوبرولي" "اتّساع رقعة نفوذ شيوخ النَّقشبنديّة في آسيا الوسطى خلال القرنين التّاسع والعاشر الميلادي". ويضيف "سلالة تيمور أولت الطَّريقة النَّقشبنديّة بالغ الأهميّة، وكُلّ الأمراء إبّان حكم الشيبانيّين في القرن السّادس عشر الميلاديّ عاشوا في كنف شيوخ النَّقشبنديّة وأصبحوا مريدين لهم"، وهذا يشير إلى الانتشار الواسع للنَّقشبنديّة.

تنتشر الطَّريقة النَّقشبنديّة في كردستان وإيران ومصر وعدد من دول القفقاس مثل أوزبكستان وأذربيجان، كما أنَّها تعتبر واحدة من أكبر الطرق الصوفيّة، وهي الطَّريقة الوحيدة التي تدّعي نسبها للسلاسة المباشرة من نبيِّ الإسلام "مُحمَّد" من خلال "أبو بكر الصدّيق". فيما بعض المؤرِّخين ينسبونها إلى "علي بن أبي طالب" عن طريق "جعفر الصّادق".

إلا أنَّ تركيّا هي أكثر ما انتشرت فيها الطَّريقة النَّقشبنديّة من حيث عدد المنضمّين إليها، وأضحت مذهباً سياسيّاً دينيّاً تدين بالولاء للأنظمة المتعاقبة، وتعتمد عليها القوى والأحزاب السِّياسيّة في تشكيل تكتلات وتحالفات عريضة، لتدخل مستندة إليها في معترك الحياة السِّياسيّة والانتخابات. وتشير المصادر التُّركيّة أنَّ النَّقشبنديّة "تتَّخذ من جامع إسكندر باشا بحيّ مُحمَّد الفاتح في مدينة إسطنبول مركزاً رئيسيّاً لها" ويترأسّها "محمود أسعد جوسشان"، فيما تتبع لها جماعات وفرق أخرى مثل: "جماعة إسماعيل آغا، جماعة يحيالي، جماعة أران كوي، وأوقاف المرادي". كما أسَّست لاحقاً أحزاب سياسيّة – دينيّة لها أمثال "حزب الإنقاذ الوطنيّ" عام ١٩٧٠، الذي أسَّسه وأشرف عليه الدّاعية الإسلاميّ ورئيس الوزراء التُّركيّ السّابق "نجم الدّين أربكان"، فيما رئيس "حزب الفضيلة" الدّينيّ "رجائي قوطان" أيضاً له صلة قوية بالطَّريقة النَّقشبنديّة.

يذكر الكاتب الصحفي التُّركيّ "مُحمَّد علي بيرانت" في صحيفة "٢٠٠٠" أنَّه كان للطَّريقة النَّقشبنديّة دور كبير في إقناع الشَّعب التُّركيّ في التَّصويت على دستور عام ١٩٨٢، عقب انقلاب ١٢ سبتمبر/ أيلول بقيادة رئيس هيئة الأركان آنذاك الجنرال "كنعان إيفرين".

تطوّر الطَّريقة النَّقشبنديّة عبر التّاريخ وانتشارها:

مَرَّت الطَّريقة النَّقشبنديّة منذ تأسيسها بثلاث مراحل رئيسيّة، استطاع الشّيوخ القائمين عليها تطويرها وإضافة طقوس جديدة عليها، حتّى غدت المرجعيّة الدّينيّة لعدد من السَّلاطين العثمانيّين، يأخذون مشورة شيوخها في قضايا تَهُمُّ الإمبراطوريّة، فأصبحت للشّيوخ حظوة لدى السَّلاطين.

فإن كانت المرحلة الأولى (النشأة) قد تميَّزت باندماج الطَّريقة «اليَسويّة» معها؛ وتحقيقها انتشاراً لها في عدَّةِ بلدان؛ فإنَّ المرحلة الثّانية في التطوّر التّاريخيّ للنَّقشبنديّة اتَّسم بالعلاقة مع الطَّريقة "الملاميّة"، وهي طريقة صوفيّة انتشرت في عهد السُّلطان بايزيد الثّاني، وكذلك في عهد سليمان القانونيّ.

وتذكر المصادر العثمانيّة أنَّ السُّلطان مُحمَّد الفاتح "أولى أتباع النَّقشبنديّة بالغ اهتمامه حينما كانوا يعيشون بعيداً عن مناطق حكمه، فقام بدعوة كبار شيوخهم من أمثال "نور الدّين عبد الرَّحمن الجامي" و"عبيد الله أحرار"، وأمر بحمايتهم، وتولّى رعايتهم ليعاونوه ضُدَّ التَّهديد الشّيعيّ من جانب الإيرانيّين، والحَدّ من نشر عقائدهم بين التُّرك أهل السُنّة".

فالنَّزعة التُّركيّة "السُنّية" لدى الإمبراطوريّة العثمانيّة، والتي دخلت في وقتٍ مبكّرٍ في صراعات مع الإمبراطوريّة الصفويّة "الشّيعيّة"، سعت إلى استخدام النَّقشبنديّة في تحصين نفسها ضُدَّ التمدّد الشّيعيّ، فكان لفتاوى شيوخ النَّقشبنديّة بالغ الأثر في تكوين حاضنة "سُنيّة" تتواءم مع تطلُّعات الإمبراطوريّة العثمانيّة، بل وتنفِّذ مطالبها وتطلّعاتها للتمدّد في المنطقة. فكان شيوخ النَّقشبنديّة بمثابة مستشارين لدى السُّلطان العثمانيّ ومن جلسائه ونُدمائه.

ويؤكّدُ الكاتب التُّركيّ أكرم إيشن في مؤلّفه "عثمان بابا ولايت نامه سي" أنَّ النَّقشبنديّة لم تكن تتجاوز حدود العاصمة العثمانيّة إسطنبول في أوّل نشأتها حتّي ظهور الخالديين.

والمرحلة الثالثة، وهي الأهم في تاريخ النَّقشبنديّة، هو المرحلة "الخالديّة".

> **"النزعة التركية "السنية" لدى الإمبراطُوريّة العثمانيّة، والتي دخلت في وقتٍ مبكرٍ في صراعات مع الإمبراطورية الصفَوية "الشيعية"، سعت إلى استخدام النقشبنديّة في تحصين نفسها ضد التَّمدد الشّيعيّ، فكان لفتاوى شيوخ النقشبندية بالغ الأثر في تكوين حاضنة "سنّية" تتواءم مع تطلعات الإمبراطُوريّة العثمانية، بل وتنفيذ مطالبها وتطلعاتها للتمدد في المنطقة. فكان شيوخ النقشبندية بمثابة مستشارين لدى السلطان العثمانيّ ومن جلسائه وُندمائه.**

الطَّريقة النَّقشبنديّة الخالديّة وولادتها في كردستان:

تبدأ هذه المرحلة المفصليّة من تاريخ الطَّريقة، مع الشّيخ الكُرديّ "ضياء الدّين خالد حسين" المعروف باسم "مولانا خالد النَّقشبنديّ" والذي ينحدر من قرية "قره داغ/ Çiyayê Reş/ الجبل الأسود» في «سهل شهرزور» التّابعة لمدينة «السُّليمانيّة» الكُرديّة، وهي تقع في إقليم كردستان العراق الآن. ويُعَدُّ «مولانا الشّيخ خالد» مؤسّس الطَّريقة النَّقشبنديّة بداية من عام ١٨٠٨. وتقول بعض المصادر التّاريخيّة أنَّ «الشّيخ خالد» يتّصل نسبه إلى الإمام «علي بن أبي طالب». ودخلت منذ بداية نشأتها في صراع مع أتباع الطَّريقة «القادريّة» المنسوبة إلى الشّيخ الكُرديّ «عبد القادر الجيلاني». لكن النَّقشبنديّة استطاعت أن تفرض نفسها. ومن العائلات والعشائر البارزة التي يتولّى أفرادها مشيخة الطَّريقة في كردستان: «شمدين، تافيلي، والبرزانيّ».

توجَّه «الشّيخ خالد» إلى الهند إبّان الاحتلال الإنكليزيّ لها، ونهل من علوم الشّيخ «عبد الله الدهلوي» شيخ الطَّريقة النَّقشبنديّة في الهند، فتوسَّعت معرفته بعقائد وطقوس الطَّريقة أكثر، وأسَّس فيما بعد ما أطلق عليه اسم «العلم الصوفيّ» في الطَّريقة النَّقشبنديّة.

أضاف «الشّيخ خالد» طقساً جديداً على الطَّريقة، غيَّرَ من توجُّهاتها، حيث كانت طقوس الطَّريقة تُمارَس قبله بشكل علنيّ «جهوريّ»، إلا أنَّ «الشّيخ خالد» جعلها سُرّيّةً «باطنيّةً» مثلما هي لدى طائفة الموحّدين الدّروز والعديد من الطرائق البكتاشيّة الباطنيّة، وتكوَّن لها مجلس خاص بها، يناقش فيه أمور الدّين والرَّعيّة، في معزل عنها، وهذا حسب اعتقاد بعض المؤرّخين مكمن قوَّتها وخطورتها في ذات الوقت، فدائماً الحركات الباطنيّة شكّلت تهديداً للكيانات السّياسيّة، خاصَّة بعد أن ظهر ما يُسمّى بـ»الإسلام السّياسيّ» في فترة لاحقة، ولم تكن النَّقشبنديّة بعيدة عن ذاك التَّفكير.

فالسُّلطة الدّينيّة لشيوخ الطَّريقة في المناطق المنتشرة فيها، كانت في ذات الوقت متناغمة مع السُّلطات السّياسيّة للبلاد، بل جزءاً مكمّلاً لها، ولا تعارُضَ بينها، مثلما حصل مع الشّيخ «سعيد النَّورسيّ/ بديع الزَّمان» النَّقشبنديّ في كردستان وتركيّا إبّان انتشارها في بدايات القرن الماضي، حيث لم تعارضها السُّلطات العثمانيّة، وكذلك سلطات الجمهوريّة التُّركيّة الحديثة التي أسَّسها كمال أتاتورك، رغم أنَّه تعرَّضَ للاعتقال مَرَّاتٍ عديدة، ونفي إلى المناطق الباردة في روسيّا، لكنَّه من حيث منهج التَّفكير؛ لم يعارض العثمانيّين ولا الجمهوريّين، بل على العكس من ذلك؛ يورد بعض الثُّقاة في كتابة تاريخ «سعيد النَّورسيّ» بأنَّه وقف ضُدَّ ثورة «الشّيخ سعيد» في عام ١٩٢٥ المطالبة بالحقوق الكُرديّة، وقد نعت في رسائله التي كتبها «رسائل النّور» الثَّورة بأنّها «مخالفة لتعاليم الدّين الإسلاميّ، ويجب ألا تتمرَّد على سلطة الجمهوريّة»، فلم يطالب في رسائله بالحقوق المشروعة للكُرد، بل غرق في تفاسير القرآن والأحاديث الدّينيّة، إلى جانب مالأته لأتاتورك في العديد من المواقف.

اتَّخذَ «الشّيخ خالد» طريقة فلسفيّة جديدة في التَّعبير عن فهمه للدّين والطَّريقة النَّقشبنديّة، خاصَّةً بعد عودته من الهند مُحمَّلاً بالكثير من العلوم الدّينيّة ومعارفها، حتّى أنَّه هو من أدخل طريقة قراءة الآيات القرآنيّة بشكل سُرّيٍّ، دون الجهر بها. «فهم لا يُصرِّحون بحقيقة اتّجاههم الدّينيّ؛ لئلا يتدخَّلَ في شؤونهم الآخرين».

كما أنَّ «الشّيخ خالد» ومن خلال مذهبه الجديد في الطَّريقة النَّقشبنديّة الصوفيّة، ابتدع طريقة الغناء الدّينيّ، وهذه الطَّريقة لا تزال منتشرة بكثرة في معظم مناطق كردستان، حيث ينشد أتباعه بعض «الإلهيّات» والتي يطلق عليها الكُرد اسم «الأبيات»، وهي «نمط من الشِّعر الدّينيّ يناجون فيه المولى عزَّ وجلّ، يؤدّيها منشدوهم بأداء يَهُزُّ القلوب ويُحرّك المشاعر ويقع في النَّفس موقعا حسناً، غير عازفين بأيٍّ من آلات الطرب، ويحبّذون ارتداء ملابسهم التَّقليديّة التي أصبحت عرفاً لديهم وتدلُّ على زهدهم في الحياة»، ويقيم مريدو الطَّريقة حفلات الذِّكرِ في السّاحات العامّة في المدن ويتجوّلون في القرى، وأضافوا عليها فيما بعد استخدام «الدّف»، وكذلك الضرب بالسّيخ، وغالباً ما تنتهي حفلاتهم الدّينيّة بالأدعية الدّينيّة والمواعظ، فيهرع النّاس إلى التبرُّع لهم بالأموال، وهذه الطَّريقة شائعة كثيراً في مناطق كردستان.

إلا أنَّ النِّظام الاجتماعيّ والسِّياسيّ الذي أسَّسهُ «الشّيخ خالد» في مناطق كردستان، ساهمَ إلى حَدٍّ كبير في فرض الأمن والاستقرار، فانخفضت نسبة السَّرقات وجرائم القتل، وشاع بين النّاس الأمن والأمان، والصدق والثِّقة المتبادلة، فاستطاع خلق حاضنة شعبيّة واسعة له في أوساط الفقراء وكذلك بين الطبقة المالكة «الإقطاعيّة»، ويفرض قوانينه الخاصَّة النّاظمة للمجتمع.

برز الدَّور السِّياسيّ للنَّقشبنديّة في وقت مبكّرٍ، فوقفت مع الإمبراطوريّة العثمانيّة

في قمع الثّورات التي كانت تندلع ضُدَّها في أوقات ومراحل مختلفة من تاريخ الإمبراطوريّة العثمانيّة؛ مُبرِّرَةً موقفها بأنَّها «تدافع عن المذهب السُنّيّ».

فتذكر كتب التّاريخ بأنَّه «كان للنَّقشبنديّة دور في إخماد الحركة الوهّابيّة في بداية نشوئها في الحجاز التي تمثّل الفكر السلفيّ». ويؤكِّدُ بعض الباحثين في تاريخ الحركة النَّقشبنديّة أنَّ «الدّولة العثمانيّة استغلَّت التَّنافر الدّينيّ بين الوهّابيّة والنَّقشبنديّة، وحرَّضت الشّيخ خالد ضُدَّ الوهّابيّين».

إنَّ وجود /٦٥/ تكيّة نقشبنديّة في إسطنبول وحدها إبّان الفترة العثمانيّة؛ يؤكِّد حقيقة الخدمات التي قدَّمتها الطَّريقة النَّقشبنديّة لـ»الثَّقافة التُّركيّة»، حتّى أنَّها أصبحت جزءاً من موروثها الأدبيّ والشَّعبيّ الشِّفاهيّ والمكتوب أيضاً.

النَّقشبنديّة «الكُرديّة» والتحوّلات التّاريخيّة التي طرأت عليها:

تكثر التكايا النَّقشبنديّة في عموم أجزاء كردستان، لكن جنوب كردستان يَضُمُّ أكبر عدد منها، بتأثير مباشر من «الشّيخ خالد» وانتشار تعاليمه فيها، حتّى أنَّه كوّن فلسفة وإيديولوجيّة خاصَّةً به، عدا عن مفاهيمه المختلفة عن بقيّة الطرق الصوفيّة الأخرى، فهو استطاع أن يُضعف «الطَّريقة القادريّة» إلى حَدٍّ ما، حيث انضمَّ معظم مريدو «القادريّة» إلى النَّقشبنديّة، بعد أن سَهَّلَ ممارسة طقوسها، واتَّخذ منهجاً جديداً في التَّفكير الباطنيّ والظاهريّ (المجاهرة) أيضاً.

وكنوع من الارتباط الجمعيّ بالنَّقشبنديّة؛ تُطلقُ في قرية «بريفكا» بجنوب كردستان عبارة «الشّيخ» على جميع أفرادها النَّقشبنديّين، دون أيّ اعتبار لعمر الشَّخص، حتّى لو كان يافعاً. وتعتبر القرية مركزاً لتكيّة الشّيخ «نور الدّين البريفكاني»، وهي موجودة منذ عام ١٦٢٠، في عهد الدّولة العثمانيّة، ومؤسِّسها الشّيخ «شمس الدّين الأخلاطيّ». وتقام حلقات الذِّكر علناً في القرية، وداخل المنازل ويشارك فيها بالعادة الجميع.

«يرتاد أتباع الطَّريقة النَّقشبنديّة في قرية بريفكا في أيّام محدَّدة من الأسبوع، لأداء ما يُعرف، حسب منهج الطَّريقة، بـ «الذِّكر»، حيث يتحلَّق المريدون على شكل دائرة مغلقة، يتوسّطُها قارعٌ للطبل وناقِرٌ للدفِّ، وتتعالى الأصوات بالأذكار الدّينيّة المختلفة حسب رأي الطَّريقة».

وتحتوي التكيّة البريفكانيّة على مكتبة مخطوطات إسلاميّة قديمة نادرة، نقلت بعضها إلى دار المخطوطات في بغداد.

وتقول المصادر الكُرديّة؛ بأنَّه لا توجد أيّ إحصائيّة دقيقة حول عدد التكايا في جنوب كردستان، إلا أنّه وبحسب أرقام وزارة الأوقاف في إقليم كردستان العراق، هناك في كردستان فقط /١٥٧/ تكيّة، هي لأتباع الطَّريقة القادريّة والنَّقشبنديّة، فيما ليست هناك إحصائيّة حول عدد مريدي تلك الطرق.

وتعتبر الطَّريقة النَّقشبنديّة ثاني أكبر الطرق الصوفيّة في كردستان، بعد «القادريّة»، ولها مركز دينيّ كبير في عاصمة إقليم جنوب كردستان «هولير/ أربيل»، ويرأسها الشّيخ «رشيد شيخ كاكا».

يؤكِّد الباحث الكُرديّ «حسين جمّو» في دراسة له بعنوان «النَّقشبنديّة الكُرديّة في ظِلِّ الجمهوريّة.. من «كردستان للكُرد» إلى «كُلُّنا مسلمون» نشرها المركز الكُرديّ للدّراسات، بأنَّه «وبينما كانت النَّقشبنديّة الكُرديّة على خصومة مع السُّلطة زمن

> **مرحلة الانفصال بين القومية الكُردية والنَّقشبندية · الكُردية" بدأت عقب فشل ثورة · الشّيخ سعيد" عام ١٩٢٥، واستمر هذا التّناقض في المسيرة اللاّحقة للقوميّة الكُردية حتّى نهاية عام ١٩٢٥ الذي يمكن، بدون جدال، اعتباره بداية تاريخ انفصال الدّين (النّقشبنديّة) عن القوميّة الكُرديّة**

السُّلطان عبد الحميد، فقد ازداد النُّفور منها في عهد الاتّحاديّين»، ما يدلّل على تراجع نفوذ النَّقشبنديّة بعد تأسيس الجمهوريّة التُّركيّة.

ويعتبر «جمّو » أنَّ مرحلة الانفصال بين القوميّة الكُرديّة والنَّقشبنديّة «الكُرديّة» بدأت عقب فشل ثورة «الشّيخ سعيد» عام ١٩٢٥، ويقول «استمرَّ هذا التّناقض في المسيرة اللّاحقة للقوميّة الكُرديّة حتّى نهاية عام ١٩٢٥ الذي يمكن، بدون جدال، اعتباره بداية تاريخ انفصال الدّين (النَّقشبنديّة) عن القوميّة الكُرديّة. ويضيف «جمّو» قائلاً «هذا الخطّان: «النَّقشبنديّ والأميريّ» عَمِلا سويّاً حتّى عام ١٩٢٥، وفي الوقت نفسه تركا ثغرات كبيرة للسُّلطات التُّركيّة أو القوى الأجنبيّة بإفساد الكثير ممّا كان يمكن تحقيقه. ووصل الأمر إلى الخلاف على «خرائط كردستان» بحسب ما إذا كانت تشمل مناطق القادة السّياسيّين أم لا. وهناك عامل آخر قلّلَ من التأثير الفعليّ للتيّارين الدّينيّ (النَّقشبنديّ) والأميريّ (البدرخانيّ)، وهو عودة زعماء الإقطاع كقوّة أكثر ارتباطاً بالمكان مقارنة بالآخرين».

وهنا يطرح سؤال في غاية الأهميّة نفسه، ويتعلّق بمرجعيّة الثّورات والانتفاضات الكُرديّة: هل كانت ثورة الشّيخ سعيد وغيرها من الثّورات الكُرديّة ذات طابع إسلاميّ (نقشبنديّ)، وهل وصلت إلى مرحلة الوطنيّة، وكذلك ثورة أيلول التي أطلقها الملّا مصطفى البارزانيّ في جنوب كردستان؟

ربَّما من الصعبِ تقديم إجابة قطعيّة على هذا التّساؤل، نظراً لتداخل العامل الدّينيّ مع الوطنيّ في أغلب الثّورات الكُرديّة. فقراءة أوّليّة سريعة لمسارها وقادتها تفيد بأنّها «دينيّة صرفة»، فأغلب قادتها كانوا «شيوخاً»، ولكن في ذات الوقت لا يمكن تجاهل أنَّ دوافعها كانت «وطنيّة».

ونظراً للشَّعبيّة الكبيرة التي كان يحظى بها رجال الدّين ومشايخ الطرق الصوفيّة في كردستان، فقد استغلّت القيادات السّياسيّة الكُرديّة هذا الدَّور إبّان الثّورات والانتفاضات الكُرديّة، فيذكر الباحث «حسين جمّو» في دراسته «أنَّ تسليم راية قيادة الثّورة للشّيخ سعيد بيران لا يعدو كونه تكتيكاً من الزُّعماء القوميّين، المدنيّين والعسكريّين، في سبيل حشد التأييد. لم يكن الضُبّاط العسكريّون يمتلكون التّأثير الشّعبيّ الذي يوازي شيوخ الدّين ولا يتحدّثون بلغة خطاب عامّة السُكّان».

لكنَّه في ذات الوقت يؤكّد على الدّور السّلبيّ لانتماء واعتناق «الشّيخ سعيد» للنَّقشبنديّة في فشل انتفاضته «أعاقت طبيعة القيادة النَّقشبنديّة للثّورة تلقّي المساعدات الإقليميّة. وهناك حالة واحدة موثّقة تشير إلى ما هو أكثر من ذلك، فقد رفض الشّيخ سعيد بحزم مساعدات سخيّة «قدَّمها الأرمن والمسيحيّون في حلب وأرضروم».

ويذكر "جمّو» في دراسته بأنَّ شيوخ النَّقشبنديّة انقسموا على أنفسهم إبّان الحرب العالميّة الأولى، خاصَّةً بعد أن تقلَّصَ نفوذهم داخل المجتمع الكُرديّ، ويَسرُد قصّة واقعيّة جرت آنذاك، بأن "أرسل القوميّون الكُرد وبعض زعماء العشائر الرُسُلَ إلى الشّيوخ، ومن بينهم الشّيخ "مُحمَّد زوقيدي" النَّقشبنديّ الذي رَدَّ على جميل جتّو (وهو آغا من غرزان) بالقول: "والله يا جميل قد بلغتُ الـ٧٠ عاماً، ولم يَعُدْ باستطاعتي أن أجلبَ جيش الرّوس على شرف المسلمين. لكن لأنَّكم تريدون تأسيس دولة لكم، فافعلوا. لكنَّني لن أتدخَّلَ بأمركم".

هذه الحادثة تُدلِّل، بشكل واضح، عدم إيلاء شيوخ النَّقشبنديّة أيَّ أهميّة لحَلِّ القضيّة الكُرديّة ونيل الكُرد حقوقهم أو تشكيل دولة خاصَّة بهم، ما يدعو إلى الاعتقاد بأنَّهم عارضوا ضمنيّاً أيَّ محاولة لنشوء دولة كُرديّة، ولو في الخفاء، وعلى هذه الطَّريقة عمل "سعيد النَّورسيّ/ بديع الزَّمان" أيضاً. فاتّخاذ شيوخ الطَّريقة "الحياد" حيال الثَّورات الكُرديّة، يغدو سلبيّاً ومُعوِّقاً لها، وأحياناً كثيرة عارضوها ووقفوا بالضِّدِّ منها، كما في ثورة الشّيخ "سعيد بيران" و"سعيد النَّورسيّ".

اصطدمت النَّقشبنديّة مع بريطانيا في جنوب كردستان، ما ولَّد غضباً لدى الأخيرة، فغارات قبيلة "السُّروجي"، والتي تتحرّك بأوامر من المَشيخة النَّقشبنديّة، ضُدَّ البريطانيّين في العراق وكردستان، كانت القشَّة التي غيَّرت الموقف البريطانيّ في تشكيل دولة كُرديّة، وقبلها اتّهمت بريطانيا الشّيخ "أحمد البارزانيّ" وأتباعه بأنَّهم يُمثِّلون "الرَّجعيّة الدّينيّة"، فيما استرسلت سكرتيرة المندوب البريطانيّ في العراق "غرترود بيل" في مؤتمر القاهرة الأوَّل عام ١٩٢١، في وصف الكُرد بـ"البدو" وأنَّهم "لا يستحقّون دولةً خاصَّةً بهم"، واتَّهمتهم بالوقوف مع تركيّا، وأنَّهم يسعون للاتّحاد معها لضرب المصالح البريطانيّة في العراق.

ويشرح "جمّو» الانقلاب في موقف النَّقشبنديّة حيال القضيّة الكُرديّة، لتأخذ صبغة قوميّة «خلال فترة الغموض السِّياسيّ في تركيّا بعد ١٩١٨، ويسرد بالقول "خرجت النَّقشبنديّة الكُرديّة في شمال كردستان من "التكيّة"؛ واندمجت مع الحركة القوميّة الكُرديّة بشكل غير مسبوق. حتّى السيّد "طه النَّهريّ" الذي استمرَّ في موقعه الدّينيّ؛ فقد اضطرَّ في النِّهاية إلى تبنّي المطالب القوميّة الكُرديّة – وإن كان ذلك بطابعٍ إسلاميٍّ – من مقرِّه في "راوندوز"، غير أنَّه لم يتحالف مع النُّخبة السِّياسيّة الدّينيّة التي كان يقودها عَمَّهُ السيّد "عبد القادر"، والأمراء بقيادة "آل بدرخان وشريف باشا".

لم تكن النَّقشبنديّة بمنأى عن التَّأثيرات المذهبيّة الضيّقة، فيذكر الباحث "جمّو» في دراسته أنَّ «الشّيخ سعيد بيران" الكُرديّ النَّقشبنديّ، ورغم أنَّه كان "شخصاً مقبولاً وذا صيتٍ جيّد لدى جيرانه العلويّين الكُرد، غير أنَّ مقامه الدّينيّ وصفته النَّقشبنديّة كانتا كافيتين ليرفض زعماء عشيرتي «هورماك ولولان» العلويتين من الاشتراك في ثورته، خصوصاً بسبب ثارات كبيرة لهما مع قبيلة "جبران" الذين كانوا القادة الفعليّين للثّورة. وكان العلويّون الكُرد قد تعرَّضوا لمقتلَةٍ كبيرة على يد الأتراك في ثورة كوجكري بين خريف ١٩٢٠ وربيع ١٩٢١، بدون أيّ مساندة من العشائر السُنّيّة وشيوخ النَّقشبنديّة. وفضلاً عن ذلك، من الصَّعب أن ينخرِطَ الكُرد العلويّون في ثورة ترفع شعار كردستان وتربطها بعودة الخلافة". وهذا يشير بكُلِّ جلاء أنَّ أحد أهداف ثورة الشّيخ سعيد هو إعادة إحياء الخلافة الإسلاميّة، وهذا ليس اتّهام، بل حقيقة تؤكِّدُها العديد من الوقائع والمصادر التّاريخيّة الكُرديّة.

يُفكِّكُ "جمّو" العلاقة الوثيقة بين النَّقشبنديّة والحركة القوميّة الكُرديّة في شمال كردستان،

وكيف أنَّ فشل ثورة "الشّيخ سعيد بيران" عام ١٩٢٥ "كرّست الانفصال بين الحركة النَّقشبنديّة والحركة القوميّة في كردستان الشَّماليّة. وهذا الانفصال أسفر عن فقدان النَّقشبنديّة طابعها الكُرديّ الذي لازمها منذ التأسيس الأوّل للطريقة في كردستان عام ١٨١١ بجهود مولانا خالد". غير أنَّ بعض المؤرّخين يشير إلى استمرار تأثير النَّقشبنديّة في الحركة القوميّة الكُرديّة، وتجلّت في الثَّورة التي قادها الملّا مصطفى البارزانيّ في جنوب كردستان، حيث ألقت بتأثيرها على مفاصل هامَّة من مسيرتها، ودفعت أكلافاً باهظة بسبب هذا الانتماء، بعد أن غلَّبت الانتماء للطريقة النقشبندية على الانتماء القوميّ الكُرديّ.

ويورد الكاتب السيّد "فريد أسَسَرد" القياديّ في الاتّحاد الوطنيّ الكُردستانيّ ومدير مركز كردستان للدّراسات الإستراتيجيّة في السُّليمانيّة، عندما فتح ملفّ (الجذور التّاريخيّة لأصول العقائد البارزانيّة)، أنَّ "العمامة الحمراء" التي يعتمرها أبناء قبيلة "البارزانيّ" هي للدَّلالة على انتمائهم للنَّقشبنديّة، ويؤكّد أنَّ عهد البارزانيّين في قيادة الطريقة النَّقشبنديّة "يبدأ منذ العقد الثّالث من القرن التّاسع عشر، حينما سلَّم الشّيخ "طه النَّهريّ" خلافة الطَّريقة النَّقشبنديّة الى الشّيخ تاج الدّين (عبد الرَّحمن بن ملّا عبد الله البارزانيّ) في منتصف القرن التّاسع عشر". وهو يعتبر رأس عائلة الشّيوخ في بارزان.

ويشير الكاتب بأنَّ "حَدَثَين اثنين ساهما في تفعيل العقائد البارزانيّة وتعاظم دور التكيّة النَّقشبنديّة في الحياة العامّة للبارزانيّين وهما: الهزيمة التي مُنِيَ بها البارزانيّون في صراعهم ضُدَّ القبيلة "البرواريّة" وحلفائهم من المسيحيّين الجبليين (التيّاريّين) في زمن يقع ما بين ١٨٢٠ و١٨٣٠، وتجم عنها إبادة ممثّلي الأرستقراطيّة الزّراعيّة (آغوات بارزان)

> **"اصطدمت النقشبنديّة مع بريطانيا في جنوب كردستان، ما ولّد غضباً لدى الأخيرة، فغارات قبيلة "السروجي"، والتي تتحرك بأوامر من المشيخة النقشبنديّة، ضدّ البريطانيين في العراق وكردستان، كانت القشّة التي غيّرت الموقف البريطانيّ في تشكيل دولة كرديّة."**

الأوائل، الامر الذي مَهَّدَ لتولّي شيوخ الطَّريقة النَّقشبنديّة زمام الأمور. أمّا الحدث الثّاني؛ فهو الهزيمة التي لَحِقَت بالشّيخ "عبيد الله النَّهريّ" في حربه ضُدَّ الدَّولة القاجاريّة (إيران) عام ١٨٨٠، ممّا أدّى إلى توتُّر العلاقات بين الدّولتين العثمانيّة والقاجاريّة، وكان من نتائج ذلك أن نفت السُّلطات العثمانيّة الشّيخ "عبيد الله" وأسرته الى الحجاز، باعتباره من رعاياها، حيث وافته المنيّة سنة ١٨٨٣. وبسبب هذا الفراغ الذي حصل بانهيار سلطة مشيخة "نهري"؛ تطلَّعت "مشيخة بارزان" في عهد الشّيخ "مُحمَّد" المتوفّى سنة ١٩٠٢ (وهو والد الشّيخ أحمد وملّا مصطفى) إلى ممارسة دور أكبر في الحياة، اعتباراً من عام ١٨٩٥.

كما يذكر المستشرق البريطانيّ "سبنسر ترمنغهام" في كتابه "الفرق الصوفيّة في الإسلام" بأنَّه "كانت دعاية الشّيخ خالد (الجاف النَّقشبنديّ) ناجحة في جعل أعضاء العائلات "القادريّة" الهامّة في كردستان

تتحوَّل إلى النَّقشبنديّة، مع تأثير ملموس على التّاريخ اللّاحق للقوميّة الكُرديّة".

إنَّ أحد أوجه الصراع بين الطالبانيّة والبارزانيّة تمثَّلت في اختلاف الانتماء الطرائقيّ الدّينيّ لدى كُلٍّ واحد منهما، حيث تتَّبع الأولى الطَّريقة "القادريّة"، فيما الثّانية تتَّبع "النَّقشبنديّة"، وكلتا القبيلتين كانتا من طبقة "المشايخ".

وفي معرض معارضة النَّقشبنديّة لإقامة تحالفات كُرديّة مع حركات غير كُرديّة وغير إسلاميّة، يأتي دور التيّار الذي كان يقوده السيّد "طه النَّهريّ النَّقشبنديّ" في معارضة الاتّفاق الإستراتيجيّ بين جمعيّة "خويبون" الكُرديّة بقيادة "جلادت بدرخان" وحزب "الطاشناق" الأرمنيّ.

لم تتمكَّن النَّقشبنديّة الخروج من إطار الأفكار التي أسَّستها وأغلقت نفسها فيها، الأمر الذي شكَّلَ عبئاً ثقيلاً عليها، خاصَّةً في المجتمع الكُرديّ. الشّيخ "سعيد النَّورسيّ/ بديع الزَّمان" لم تغادر فكرة "العداء للأرمن" مخيّلته، وظَلَّ يُبدي مقاربات إيجابيّة من الجمهوريّة التُّركيّة والحزب الدّيمقراطيّ التُّركيّ الحاكم، وهذا ما يُفسِّر انكفاءه عن تأييد ثورة "الشّيخ سعيد بيران"، بزعم أنَّها ضُدَّ توجُّهات الجمهوريّة، حيث كان حينها على وفاق معها

> **"يؤكِّد المفكِّر والفيلسوف "أوجلان" أن كِلاً من بريطانيا وإسرائيل وألمانيا والولايات المتّحدة الأمريكية، عملت منذ بداية السبعّينات على خلق تيار دينيّ سياسيّ داخل تركيّ، يتواءم مع سياساتها ومصالحها في المنطقة، فكانت مرحلة "العدالة والتّنمية" النِّهاية والذروة التي سعوا من خلالها لتسويق نموذج ما يُسمّى بـ"الإسلام المعتدل".**

التُّركيّ «مُحمَّد زاهد كوتكو» دوراً بارزاً في استلام قيادة النَّقشبنديّة، وجعل من جامع «إسكندر باشا» في إسطنبول مقرّاً ومنطلقاً لعمله. رغم أنَّ نشاط «الأرواسي» الدَّعوي للنَّقشبنديّة ظَلَّ محصوراً في إسطنبول، حيث اعتقدت تركيّا الجمهوريّة بأنَّ النَّقشبنديّة المدينيّة يمكن ضبطها والسَّيطرة عليها، على عكس النَّقشبنديّة الرّيفيّة.

شهدت فترة السّتينات وبداية السّبعينات صراعات بين أنصار ومشايخ النَّقشبنديّة التُّركيّة المتحوِّرة عن طريقة «مولانا الشّيخ خالد»، حيث غلب عليها الطابع القوميّ التُّركيّ. فرغم أنَّ الزَّعيم السِّياسيّ الدّينيّ التُّركيّ «نجم الدّين أربكان» يُعَدُّ أحد تلامذة «مُحمَّد زاهد كوتكو»، إلا أنَّ هذا لم يمنع من ولادة الخلافات بينهما، تطوَّرت إلى صراع انتهت مع وفاة «مُحمَّد زاهد» في بداية عام ١٩٨٠.

لم يتوقَّف تأثير النَّقشبنديّة على السِّياسيّين

هزيمة النَّقشبنديّة «الكُرديّة» وتَسيُّد «التُّركيّة»:

الهزيمة التي مُنِيَتْ بها النَّقشبنديّة الكُرديّة في شمال كردستان عقب فشل سلسلة الثَّورات والانتفاضات التي قادتها في مطلع القرن العشرين؛ استغلّتها النَّقشبنديّة التُّركيّة، لتتسيّد هي قيادة الحركة والطَّريقة. فبعد موت الشّيخ «عبد الحكيم الأرواسي» الكُرديّ عام ١٩٤٣، لعب الشّيخ النَّقشبنديُّ

الأتراك. فانحاز الرّئيس التُّركيّ «تورغوت أوزال» إليها. فيما أظهر «سليمان ديميريل» تمسُّكه بالطَّريقة «القادريّة/ النُّورسيّة».

انعكس الصراع بين «زاهد وأربكان» على أتباعهما من الجيل الجديد من السّاسة. فانحاز الثُّنائيّ «غول – أردوغان» إلى شيخهم «زاهد» ووقفا ضدَّ توجّهات «أربكان» واعتبرا أنَّه خرج عن الطَّريقة. وهذا ما دفعاهما إلى تشكيل «حزب العدالة والتَّنمية» الذي جمع بين الطَّريقة النَّقشبنديّة والفكر السَّلفيّ الإخوانيّ في نسخته الحديثة المتأثّرة بأفكار مؤسِّسها «حسن البنّا» و»السيّد قطب» و»أبو الأعلى المودوديّ». ليغدو الحزب الدّينيّ الأكثر تَطرُّفاً في تركيّا؛ من خلال تحويل مؤسَّسات الدّولة إلى تكايا للطريقة. والزَجّ بأنصاره ومريديه للعمل ضمن هيئات ومؤسَّسات الدّولة. ليبسط سيطرته على الدّولة والمجتمع.

كما أنَّ «أردوغان» انقلب على أحد أهَمِّ معلِّميه. «فتح الله غولن». حيث تمسَّكَ الأخير بالسَّير على الطَّريقة «النُّورسيّة». فيما جعل «أردوغان» الطَّريقة مَطيَّةً له لتحقيق أهدافه السِّياسيّة. فرغم أنَّ حزب العدالة والتَّنمية وأردوغان وصلا إلى السُّلطة بدعمٍ من «غولن» وحركة «الخدمة» التي يقودها. إلا أنَّ أردوغان تنكَّرَ له. وجوهر الخلاف بينهما يكمن في نقطتين أساسيتين: دينيّ. وآخر سياسيّ.

تغلغلت النَّقشبنديّة في مفاصل الحركات والأحزاب السِّياسيّة التُّركيّة والمؤسَّسات العسكريّة. ويذكر الزَّعيم الكُرديّ الأسير عبد الله أوجلان في لقاء مع محاميه عام ٢٠٠٦ ما يلي: «ثَمَّةَ معلومة أخرى لديَّ؛ حيث وصلتني معلومة في عام ١٩٨٢ تفيد بأنَّ كنعان أفرين كان قد عقد لقاءات في ذلك التّاريخ في ماردين مع قسم من الشّيوخ من كُلٍّ من تركيّا وسوريّا. وكذلك مع شيوخ عائلة «الخزنوي». بل حتّى أنَّ الجنرال القائم على انقلاب ١٢ أيلول كان يذهب ويقوم بعقد اللّقاءات معهم أيضاً. لقد كانوا يتحدَّثون عن العلمانيّة وغيرها. ولكنَّهم في المقابل كانوا يدعمون ويُساندون الكيانات المتمحورة حول الدّين تجاه الشّيوعيّة الرّوسيّة. كما أنَّهم استخدموا قسماً من هؤلاء ضُدَّنا في السّنين الثّلاثين الأخيرة».

ووفق تحليل «أوجلان»؛ مَرّت النَّقشبنديّة ومعها الحركة السِّياسيّة الدّينيّة بثلاث مراحل رئيسيّة:

١ – في مرحلة الخمسينات وحتّى بداية السَّبعينات من القرن الماضي تطوَّرت على يد "مُحمَّد زاهد كوتكو". الذي وضع أسس النَّقشبنديّة التُّركيّة ودمَجَها مع القوميّة التُّركيّة.

٢ – المرحلة الثّانية. وتبدأ من سبعينات حتّى نهاية تسعينات القرن العشرين. حيث لعب "نجم الدّين أربكان" دوراً بارزاً في بلورة رؤية مختلفة عن "زاهد" من خلال تركيز جهده على التّأثير في الأوساط السِّياسيّة وخلق حاضنة شعبيّة واسعة. وطرح فلسفة جديدة لإدارة الدّولة والمجتمع.

٣ – المرحلة الثّالثة. بدأت بظهور "حزب العدالة والتَّنمية" ووصوله إلى السُّلطة.

ويؤكِّد المفكّر والفيلسوف «أوجلان» أنَّ كُلّاً من بريطانيا وإسرائيل وألمانيا والولايات المتّحدة الأمريكيّة. عملت منذ بداية السَّبعينات على خلق تيّار دينيّ سياسيّ داخل تركيّ. يتواءم مع سياساتها ومصالحها في المنطقة. فكانت مرحلة "العدالة والتّنمية" النِّهاية والذروة التي سعوا من خلالها لتسويق نموذج ما يُسمّى بـ"الإسلام المعتدل".

سعى حزب العدالة والتَّنمية ذو الجذور النَّقشبنديّة إلى إنشاء تحالفات إقليميّة مع نظرائه في التوجّه والانتماء في بلدان أخرى. ويرى العديد من الباحثين أنَّ قيادة الحزب

الدّيمقراطيّ الكُردستانيّ في جنوب كردستان المتمثّلة بمشيخة "البارزانيّ» للطريقة النَّقشبنديّة، بنت تحالفاتها مع أردوغان وحزبه وفق التوجُّه الدّينيّ الواحد لديهما، وثانيهما العامل الاقتصاديّ، حيث تُعَدُّ تركيّا الرِّئة الاقتصاديّة لإقليم جنوب كردستان للوصول إلى الأسواق العالميّة، إلى جانب غزو الشَّركات التُّركيّة لأسواق الإقليم.

في حين يجد الباحث "حسين جمّو» أنَّ النَّقشبنديّة خدمت الدّولة التُّركيّة، فيما كانت آثارها السّلبيّة كبيرة جدّاً على الشَّعب الكُرديّ، وأسَّست لحالة هجينة من الاغتراب عن القوميّة الكُرديّة والاعتداد بالانتماء إلى القوميّة التُّركيّة «هكذا اكتمل وضع النَّقشبنديّة في خدمة الدّولة التُّركيّة، عبر شيوخ كرد سخّروا أنفسهم للقوميّة التُّركيّة، وكذلك عبر ترقية النَّقشبنديّين الأتراك والأرناؤوط، وسحب مراكز النَّقشبنديّة من الأرياف الكُرديّة إلى المدن التُّركيّة الكبرى، مع الحرص على تحويلها إلى سوق للانتخابات والتأسيس للاغتراب القوميّ تحت شعار "كُلُّنا مسلمون"

الطَّريقة النَّقشبنديّة وولادة الإسلام السِّياسيّ في تركيّا:

إنَّ هزيمة العثمانيّين في العديد من المعارك مع الدّول الغربيّة المتطوِّرة فكريّاً وعسكريّاً واقتصاديّاً، ساهم في اندلاع حركات احتجاج وتمرّدات داخل الإمبراطوريّة، وأخرى دعت إلى الإصلاح الدّينيّ والتجديد. خسارة العثمانيّين أجبرتهم على حَلِّ سلك «الإنكشاريّة»، وإغلاق تكيّات الطَّريقة «البكتاشيّة»، التي حظيت بانتشار لا بأس به ضمن الإمبراطوريّة، فاستغلَّتها النَّقشبنديّة في التمدّد أكثر، لتُبديَ مقارباتٍ أكثر موضوعيّة من البيروقراطيّة العثمانيّة، الباحثة عن جهة دينيّة تشرعن لها سلطتها، فوجدت في النَّقشبنديّة خير مُعينٍ لها.

استفادت النَّقشبنديّة من تطهير الإمبراطوريّة من «البكتاشية»، كذلك شروعها في حملة إصلاحٍ شاملة ضمن صفوف الطَّريقة، أعطاها زخماً وأهميّة، وأسَّست إيديولوجية دينيّة خاصَّة بها، فأرسل تلامذته إلى مختلف أرجاء الإمبراطوريّة وكذلك إلى دول إسلاميّة أخرى، فأسَّس مدارس للطريقة في معظم مناطق الإمبراطوريّة، لتغدوَ ذات تأثير كبير على المجتمع والسّياسة العثمانيّة، والعديد من الحركات الدّينيّة استلهمت أفكارها من تعاليم الحركة، بل إن بعضها تبنّت فلسفتها وإيديولوجيّتها في بناء حركاتها السِّياسيّة.

تذكر دراسة لمعهد «هدسون» بعنوان «الطَّريقة النَّقشبنديّة الخالديّة والإسلام السِّياسيّ في تركيّا»، أنَّ "إحدى الزَّوايا المعروفة في إسطنبول "إسكندر باشا"؛ ساهمت في إنشاء حركة "رؤية الأمة/ Milli Görüş" وهي الحركة الوطنيّة التي تَمَّ إنشاؤها في منتصف السّتينات وأنتجت الأحزاب السِّياسيّة المختلفة في تركيّا، وكان يقودها "نجم الدّين أربكان" بالإضافة إلى حركات مثل "النُّورسيّة/ Nurcu" و"المنزليّة/ Menzil" (بما في ذلك جماعة فتح الله غولن) وتجمّعات "السليمانجي/ Süleymancı" و"الإشكجشي/ Işıkçı" وغيرها، جمعيها تنتمي إلى النِّظام الخالديّ "النَّقشبنديّة" نفسه".

وتؤكّد الدَّراسة أنَّ فترة ولادة الجمهوريّة التُّركيّة شهدت افتتاح المدارس ذات الطابع العلمانيّ الغربيّ، لتَحُلَّ محلَّ المدارس والتكايا والطرائق الدّينيّة، وليتراجع دور الشّيوخ ورجال الدّين، وخاصَّة شيوخ الطَّريقة النَّقشبنديّة، وتشير إلى أنَّه صدر في عام ١٩٢٤ "قانون مختصّ بتوحيد التَّعليم والذي أطلق عليه اسم (Tevhid-i tedrisat kanunu)، وبموجبه

”تنبه ·محمد زاهد“ إلى ضرورة تغلغل النقشبندية في صفوف هيئات ومؤسسات الدولة، مستفيداً من البيئة الديمقراطية الجديدة والتعددية الحزبية، فحثّ تلامذته على التحرر من ·العبودية الاقتصادية“ للغرب عن طريق تطوير الصناعة المحلية، وعارض القيم الثقافية الغربية كلياً. ضمن هذه الأجواء؛ تمكّن أتباعه من الدخول في هيئات الدولة ومؤسساتها كالبلديات، وأثروا بشكل كبير في سياساتها الاقتصادية والاجتماعية.“

ألغيت جميع المدارس التي تقدّم التّعليم الدّينيّ“. وتمضي الدّراسة بالقول ”بعد عام ١٩٢٥ وتمرّد الشّيخ سعيد في كردستان الذي كان يقوده شيخ الطّريقة النّقشبنديّة، تمّ إصدار قانون في نوفمبر/ تشرين الثّاني ١٩٢٥ تمّ بموجبه إغلاق جميع التكايا والطرق والنُزُل الدّينيّة، وبهذا انتهى الاعتراف القانونيّ بجميع الجماعات والطرق الدّينيّة. وتبع ذلك في عام ١٩٢٧ القرار بالانتقال إلى حروف الأبجديّة اللّاتينية في الكتابة للغة التُّركيّة، وهو ما زاد في تقليص نفوذ رجال الدّين على الدّولة ولا سيّما في مجال التّعليم. وهذا كُلّه لم يكن صدفة، فأتاتورك وأتباعه سعوا صراحة إلى تحييد نظم ”الأخويّات“ الدّينيّة، وعزل أعضائها عن مناطق التّأثير“.

حظر الطرق الصوفيّة في تركيّا وشَلّ تأثيرها في الدّولة والمجتمع؛ دفعها للانزواء والعمل سِرّاً، وتركّزَ عملها ونشاطها في مناطق كردستان، وهو ما يُفسّر تأخُّر الانطلاقة الفكريّة والتنويريّة فيها، حيث تحكّمت تلك الأوساط والتيّارات الدّينيّة بالحياة السّياسيّة وفرضت نمطيّتها على العلاقات الاجتماعيّة، حتّى أنّها كانت ترسم لهم طرق المأكل والمشرب، جميع الأمور الحياتيّة كانت مرتبطة بشيوخ الطّريقة ولا يستطيع أحد الخروج عنها أو التمرُّدَ عليها. والجمهوريّة التُّركيّة غضّت الطّرف عنها؛ يقيناً منها أنّها تساهم في إبقاء الشّعب الكُرديّ متخلّفاً عن ركب الحضارة. فلم تفتتح المدارس العلمانيّة في مناطق كردستان إلا في أوقات متأخّرة، ما أبقاها دائرة في فلك الطرق الصوفيّة وتعاليمها.

وتوضّح دراسة معهد ”هدسون“ أنّ إغلاق المدارس الدّينيّة في تركيّا الجمهوريّة، دفع شيوخ الطّريقة النّقشبنديّة إلى إرسال ”طلّابها للخارج، طلباً لتحصيلهم التّعليم الدّينيّ“، وأنّ ”الرّحلات التّعليميّة الدّينيّة تركّزت في المراكز الإسلاميّة مثل القاهرة وبغداد ودمشق والمدينة المنوّرة“. وتشير الدّراسة إلى أنّ ”جزءاً كبيراً من هؤلاء الطلّاب قام بإعادة توريد للفكر السّلفيّ أو فكر جماعة الإخوان المسلمين لدى عودتهم إلى تركيّا، وبشكل لا يضاهي ما كان عليه الحال في العالم العربيّ؛ أخذت وجهات نظر المتشدّدين المحافظين طريقها إلى المجتمع التُّركيّ، ووجدت تعبيراً لها عبر المشهد السّياسيّ“.

أفكار الطلبة الدّارسين في جامعة الأزهر وغيرها، انسجمت مع أفكار النّقشبنديّة، من حيث ظهور الأفكار السّلفية المتشدّدة، حيث تأثّر هؤلاء بأفكار مؤسّس الفكر السّلفيّ في مصر ”مُحمّد أحمد الفقي“، وكذلك بأفكار ”عبد الرزّاق العفيفي“، تلك الأفكار التي أسّست للفكر التكفيريّ للإخوان المسلمين، حيث يعتبرون الدّيمقراطيّة ”كفراً“، وأنّه ”لا يجوز أن يستعير أيُّ شيء من المناهج الغربيّة“. تلك الأفكار مَهّدَت لولادة حركات الإسلام السّياسيّ في تركيّا، وبقوّة.

”إغلاق المدارس الدينية في تركيا الجمهورية، دفع شيوخ الطريقة النقشبنديّة إلى إرسال طلابها للخارج، طلباً لتحصيلهم التعليم الدينيّ، والرحلات التعليمية الدينية تركزت في المراكز الإسلاميّة مثل القاهرة وبغداد ودمشق والمدينة المنورة". جزء كبير من هؤلاء الطلاب قام بإعادة توريد للفكر السلفيّ أو فكر جماعة الإخوان المسلمين لدى عودتهم إلى تركيا. وبشكل لا يضاهي ما كان عليه الحالّ في العالم العربيّ؛ أخذت وجهات نظر المتشددين المحافظين طريقها إلى المجتمع التركيّ، ووجدت تعبيراً لها عبر المشهد السياسيّ.“

تُعَدُّ الولادة الأولى للإسلام السِّياسيّ في تركيّا مرتبطة بشكل قويّ ووثيق مع الطَّريقة النَّقشبنديّة، ولعبت أدواراً بارزة في رسم مسار التطوّرات السِّياسيّة في تركيّا، خاصَّةً بعد انهيار الإمبراطوريّة العثمانيّة وتشكيل الجمهوريّة التُّركيّة، واستُخدمت أداةً لوضع الدّين في خدمة الدّولة، حتّى غدت في فترة لاحقة "دين الدّولة" الرَّسميّ، ولو بشكل غير معلن.

وتحظى دراسة هذه الفترة من تاريخ الطَّريقة النَّقشبنديّة في تاريخ تركيّا، بأهميّة بالغة، خصوصاً بعد أن غدت الطَّريقة بمثابة حزب سياسيّ له أتباعه ومريدوه.

تؤكِّد المصادر التّاريخيّة أنَّ الطرائق والمذاهب الدّينيّة لعبت دوراً مُهمّاً في السِّياسة والمجتمع التُّركيّ منذ العهد العثمانيّ. فانتشرت الطرق الصوفيّة الإسلاميّة في جميع أرجاء الإمبراطوريّة العثمانيّة، إلا أنَّ النَّقشبنديّة حظيت بالانتشار الأكبر في تركيّا، حتّى شكَّلت نظاماً خاصّاً بها، لها مرجعياتها الدّينيّة والسِّياسيّة ومراتب، وجماعات باطنيّة تنتمي إليها سُرّاً، ولا تعلن مذهبها السِّياسيّ، مثل حركة "نور" التي أسَّسها "سعيد النَّورسيّ/ بديع الزَّمان"، ولاحقاً حركة "الخدمة" التي أسَّسها الدّاعية "فتح الله غولان"، وقبله "حزب الرَّفاه الإسلاميّ" الذي أسَّسه "نجم الدّين أربكان"، ويُعدَّه البعض الأب الرّوحيّ للإسلام السِّياسيّ وللطَّريقة النَّقشبنديّة في تركيّا.

ساهمت الطرق الصوفيّة، ومنها النَّقشبنديّة في ترسيخ أسس الأنظمة الإقطاعيّة في الشَّرق، وخاصَّة ضمن مناطق سيطرة الإمبراطوريّة العثمانيّة، نظراً لتبنيها المذهب "السُنّيّ» المتوافق مع النَّقشبنديّة. إلا أنَّ رياح التنوير الغربيّ التي هبَّت على الإمبراطوريّة وانتشار مبادئ العلمانيّة الغربيّة، في أواخر القرن التّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ومن ثُمَّ انهيار الإمبراطوريّة العثمانيّة، وتَبنّي أتاتورك للمنهج العلمانيّ الغربيّ في بناء الجمهوريّة التُّركيّة؛ قوَّضَ إلى حَدٍّ كبير من تأثير نفوذ وعمل النَّقشبنديّة في المجتمع التُّركيّ، وهذا الانقلاب كانت له ارتداداته في المناطق الخارجة عن السَّيطرة العثمانيّة، مثل كردستان وبعض الدّول العربيّة.

تولَّدَ في تركيّا صراعٌ بين الحركات الدّينيّة السَّلفيّة المتأثِّرة بأفكار الإخوان المسلمين والطَّريقة النَّقشبنديّة، والتي تحوَّلت خلال تطوّرها إلى حركة دينيّة – سياسيّة، وبين التيّارات اليساريّة الاشتراكيّة والشّيوعيّة، وهو ما استغلَّته الأنظمة المتعاقبة على السُّلطة في تركيّا، لتقف مع الإسلام السِّياسيّ خشية تمدُّد نفوذ الحركات اليساريّة، ووصولها لسُدَّةِ الحكم وإلحاق تركيّا بالاتّحاد السّوفييتي. هذه الفكرة سادت أوساط الحكم التُّركيّ في الخمسينات. وعمدت الدّولة إلى مهادنة

التيّارات الإسلاميّة إلى أن وقع الانقلاب العسكريّ في ١٢ سبتمبر/ أيلول سنة ١٩٨٠ ضُدَّ المَدِّ اليساريّ الثَّوريّ في كردستان وتركيّا، ما دفع النُّخبة الحاكمة والقوميّة إلى إطلاق يد الإسلامويّين، حتّى انصهرت القوميّة التُّركيّة مع الإسلام السِّياسيّ و"السُنّيّ" تحديداً، لتشكّلَ أيديولوجيّة الدّولة و"دينها الجديد"، فيما تراجع الاهتمام بالحركة النَّقشبنديّة، وظَلَّت في الأرياف وضمن حلقات الذِّكر والموالد والحفلات الدّينيّة، وفقدت الكثير من ميّزاتها السِّياسيّة كحركة.

لعب مسجد "إسكندر باشا" دوراً كبيراً في تقوية نفوذ النَّقشبنديّة الخالديّة في تركيّا، خاصَّةً في أواسط الخمسينات وتسلّم الدّاعية الداغستانيّ الأصل "مُحمَّد زاهد كوتكو" إدارته.

تنبَّهَ "مُحمَّد زاهد" إلى ضرورة تغلغل النَّقشبنديّة في صفوف هيئات ومؤسَّسات الدّولة، مستفيداً من البيئة الدّيمقراطيّة الجديدة والتعدّديّة الحزبية، فحثَّ تلامذته على التحرّر من "العبوديّة الاقتصاديّة" للغرب عن طريق تطوير الصّناعة المحلّيّة، وعارض القيم الثَّقافيّة الغربيّة كُلّيّاً. ضمن هذه الأجواء؛ تمكَّنَ أتباعه من الدُّخول في هيئات الدّولة ومؤسَّساتها كالبلديّات، وأثّروا بشكل كبير في سياساتها الاقتصاديّة والاجتماعيّة

خاتمة:

تُعَدُّ النَّقشبنديّة جزءاً لا يُستهان به من تاريخ الحركات الدّينيّة والصوفيّة في البلاد الإسلاميّة، ولعبت أدواراً هامّة في تكوين الثَّقافة الدّينيّة الجمعيّة لمجتمعاتها، إلى جانب تحوّلها إلى حركات سياسيّة. ولكن لم تتمكّن من تجاوز حالة الانغلاق على نفسها، وهو ما استغلَّها مشايخها في فرض طاعتهم على الرَّعيّة تحت شعارات دينيّة وفتاوى تُجيزُ لهم ما هو محرَّمٌ على غيرهم، فتشكّلت مع مرور الزَّمن طبقة من الشّيوخ تحكّمت بالطريقة ووجّهتها كما تقتضي مصالحها، حتّى أنَّها فرضت نظام «التَّوريث» رغم أنَّ مؤسِّسَها «مولانا خالد» عارضَ الفكرة.

تبقى النَّقشبنديّة، رغم النَّقد الموجَّه لها جزءاً من هُويّة المنطقة الثّقافيّة، ولا يمكن غضّ النَّظر عن تأثيرها في أوساط عديدة حتّى اليوم.

المراجع:

1 – الكاتب التُّركيّ "فؤاد كوبرولي" في كتابه "قيام الدَّولة العثمانيّة".

2 – مقال للكاتب الصحفي التُّركيّ "مُحمَّد علي بيرانت" في صحيفة "2000".

3 – الكاتب التُّركيّ أكرم إيشن في مؤلّفه "عثمان بابا ولايت نامه سي".

4 – دراسة للباحث الكُرديّ "حسين جمّو" بعنوان "النَّقشبنديّة الكُرديّة في ظِلِّ الجمهوريّة.. من "كردستان للكُرد" إلى "كُلُّنا مسلمون" نشرها المركز الكُرديّ للدّراسات.

5 – الكاتب السيّد "فريد أسَسَرد" القياديّ في الاتّحاد الوطنيّ الكُردستانيّ ومدير مركز كردستان للدّراسات الإستراتيجيّة في السُّليمانيّة، كتابه (الجذور التّاريخيّة لأصول العقائد البارزانيّة).

6 – المستشرق البريطانيّ "سبنسر ترمنغهام" في كتابه "الفرق الصوفيّة في الإسلام".

7 – حديث المفكّر الكُرديّ عبد الله أوجلان في لقاء مع محاميه عام 2006.

8 – دراسة لمعهد "هدسون" الأمريكيّ بعنوان "الطَّريقة النَّقشبنديّة الخالديّة والإسلام السِّياسيّ في تركيّا».

الصراع القومي في الشرق الأوسط

«صراعات لا منتهية»

أحمد دالي

سوريا

تمهيد

سيتطلب منا البحث في عنوان عريض كهذا؛ أن نخوض بشيء من التفصيل في الصراعات الثنائية بين بعض دول الشرق الأوسط، وأسباب تلك الصراعات وتداعياتها وآفاقها، وإلى جانب صراع الدول هناك نزاعات من نوع آخر بين الدول والشعوب، تلك الشعوب التي تتميز بمقومات قومية، وتحظى بهوية موجودة وقائمة بذاتها، ولكنها ليست دولاً معترفاً بها في منظمة الأمم المتحدة.

ميادين وأشكال الصراعات في الشرق الأوسط

الصراع العربي التركي

الصراع التركي الفارسي

الصراع التركي الأرمني
الصراع العربي الفارسي

الصراع العربي الإسرائيلي

مدخل

هو ليس مجرّدَ مصطلح جغرافي أو تعبيراً عن تجمعات بشرية «الشرق الأوسط».إنه تركيب لغوي مركب من كلمتين فقط ليس إلا، لكنه في جوهره ينطوي على دلالات مكانية تحمل الكثير من التشعبات العرقية والأثنية، وعلى الرغم من أنه ـ أي الشرق الأوسط ـ يتغنّى بجملة من المدائح التاريخية والصفحات الروحية، ويتباهى بأسبقيته على أماكن وجغرافيات كثيرة من هذا العالم بمناقب ومآثر محمودة؛ إلا أنه في الوقت نفسه كان وما يزال هذا الجزء من الشرق بؤرة للصراع العالمي إن لم نقل إنه من أكثر بؤر الصراع اشتداداً واستعاراً على مرّ الزمان.

دوائر الصراع في الشرق الأوسط تكاد لا تتوقف، لأن مسارات هذا الصراع في أساسها بالغة التعقيد والتشعّب والانشطار، ولأن هذا التنوع القومي والديني والأثني ظلّ ومازال يشعل فتيل التناحر والتباعد كلما تطلب ذلك، حتى غدا هذا الجزء من الشرق بحيرة تغرق فيها العديد من الأطراف الدولية والإقليمية، نتيجة تصاعد المخاطر وتضارب المصالح وتصارع القوى. إن ردّات الفعل السلبية الناجمة عن كل هذا تصطدم بها شعوب المنطقة نفسها، فهي التي تدفع ضرائب وفواتير صراعات وحروب في غالب الأحيان ليس لها يد فيها، بل نستطيع أن نقول إنه في أغلب الأحيان قد لا تدري شعوبها بما يدور من حولها من تجاذبات وتباعدات بين القوى المهيمنة، وما يُرسم لها من أقدار وحدود اصطناعية وأقدار جبرية.

الشرق الأوسط في الوقت الراهن يحمل في جعبته حرباً تتسم بالعالمية أو ذات امتداد دولي على الإرهاب، على اعتبار أن كبريات القوى في العالم تشارك في هذه الحرب، وفي هذه البقعة من العالم بالتحديد، وعلى الرغم من أن ظاهر الأمر يوحي أن العدوّ واحد ـ وهو الإرهاب ـ إلا أن واقع الحال ليس كما يبدو من النظرة السطحية للأمور، فهذه التقاربات بين القوى العالمية الفاعلة والمؤثرة تنطوي على مصالح متناقضة فيما بينها، أو مع بعض القوى الإقليمية المؤثرة في المشهد الشرق أوسطي، حيث تتبدل المعطيات على الأرض، وهذا ما يستدعي في كل مرة التغيير في المواقف، ويحدث أن تبرز أولويات طارئة على السطح سواء عن قصد ومنهجية، أو كردّ فعل على المستجدات الطارئة، وهذا كله بطبيعته يقود إلى رسم خيارات جديدة.

لا يبدو التواجد الغربي في منطقة الشرق الأوسط حديث العهد؛ أي مع انطلاق ما يُسمى الربيع العربي وما نتج عنه من صراعات وحروب داخلية وتداعيات وإرهاصات لتدخلات خارجية، من بينها ظهور الحركات والفصائل المتطرفة على المشهد، مثل داعش والنصرة وشبيهاتهما، بل إن إعلان آلة الحرب على الإرهاب والفكر الإرهابي وزعاماته في الألفية الجديدة يعود إلى أحداث أيلول ٢٠٠١ وما تبعها من الحرب على أفغانستان، ثم الحرب على العراق، ومع كل تلك المشاهد الغارقة في الغموض والإبهام تبقى الأدوات السياسية الكفيلة بحلّ قضايا وصراعات الشرق الأوسط مغيّبة ومجهولة إلى يومنا هذا، في ظلّ تصاعد دور آلة الحرب والقتل والتدمير، ويظلّ إغفال وتهميش الشروع في تحولات ديمقراطية تكون كفيلة لحلّ القضايا والصراعات القومية العالقة سيّد الموقف.

ميادين وأشكال الصراعات في الشرق الأوسط

صراعات الشرق الأوسط مفتوحة على ميادين ومجالات غنية وثرية، فهي غير متوقفة على الصراع على الأطماع التوسعية وحروب احتلال الأراضي، وليست محصورة في خلق بؤر الأزمات وافتعالها ومن ثم تسويقها إلى خارج الحدود. إن صراعات الشرق الأوسط اللا منتهية تجد في كل مرة من ينفخ في نارها ويزيدها اشتعالاً، ويبدو أنه ثمة أرضية خصبة للتعارك والمصارعة في

منطقة غنية جداً بالأعراق والقوميات والديانات والأثنيات، إلى جانب غناها بالثروات الطبيعية السطحية والباطنية، وليس خافياً على أحد أن زمام إدارة الشرق الأوسط وتسيير أمور شعوبه المتعددة واستثمار خيراته وثرواته المتوفرة؛ ليس بأيدي حكومات وإدارات هذا الشرق في غالب الأحيان، فالقوى المتحكّمة بالعالم لا تستثني من تحكُّمِها هذه البقعة بما تحتويها ومن عليها.

بالعودة إلى ميادين الصراع والأزمات الموجودة في الشرق الأوسط، فهي صراعات قديمة حديثة في آن معاً، لأن هذه الجغرافيا لم تعرف الهدوء والسكينة والاستقرار يوماً، فأحد أشكال الصراع هو "الصراع القومي" الذي كان وما يزال كبركان نشِط لا يعرف الخمود، بفعل النزعات الإقصائية والمتطرفة التي تنكر على الآخر وجوده قبل الحديث في الحقوق أصلاً، ثم يأتي "الصراع الديني" الذي يستمدّ قوته وشرعيته من السماء، ووفق هذه الشرعية التي لا تترك لأحد مجالاً للتكلم فيها؛ فإن كل فريق يجد في فضاء شريعته أنه على الحقّ وغيره على باطل، ناهيك عن التفرعات والتشعبات والمذاهب المتصارعة المتناقضة داخل كل ديانة على حدة، من هنا وُلد ما يمكن أن يكون تسمية حاضرة وبقوة بمسمّى «الصراع الديني».

بالإضافة إلى الميادين السابقة سنجد أن الثقافات أيضاً تتخبّط وترزح تحت نوع آخر من الصراع؛ هو صراع إنكار الهوية والثقافة الخاصة بكل شعب وملّة، وصراع إلباس الآخر المختلِف ثقافةً مفضّلة ومعينة وإرغامه على ارتدائها، ومن ثم فرض لون واحد ولو بالقوة والإكراه بدلاً من ترك الأمور تجري مجراها الطبيعي في منطقة مثل الشرق الأوسط، تتميز بكل هذا الغنى الحضاري والثقافي والقومي والديني والتاريخي والروحي. بقي أن نقول إن تلك المجالات والميادين للصراعات كانت وماتزال تأخذ أشكالاً وصوراً متعددة لتطبيقها على الأرض وفرضها على البشر، وقد لا تكون آلة الحرب وحدها الوسيلة المعروفة في هذا الشأن، وإنما سنجد أن اقتطاع الأراضي

"يحمل الشرق الأوسط في الوقت الراهن في جعبته حرباً تتسم بالعالمية أو ذات امتداد دولي على الإرهاب، على اعتبار أن كبريات القوى في العالم تشارك في هذه الحرب، وفي هذه البقعة من العالم بالتحديد، وعلى الرغم من أن ظاهر الأمر يوحي أن العدو واحد ـ وهو الإرهاب ـ إلا أن واقع الحال ليس كما يبدو من النظرة السطحية للأمور"

واحتلالها، وترهيب الإنسان، وتشويه الأخلاق، والتلاعب بالبيئة والطبيعة، جميعها وسائل وأدوات وأشكال تدخل في خدمة الصراعات، ويتم توظيفها من قبل راسمي وواضعي السياسة الدولية العميقة لتبقى المنطقة دائماً على شفير الحرب واللا استقرار، ولتبقى شعوبها على صفيح ساخن من الاستسلام واليأس والهجرة.

أبرز الصراعات القومية في الشرق الأوسط

طالما أن الشرق الأوسط غني بشعوبه وقومياته، ومع غياب الحريات وتغييب الديمقراطية، وبالإضافة إلى الأسباب التي أوردناها فيما سبق؛ فإن أبواب الصراع القومي ستبقى مشرعةً، وسيكون في كل مرة هناك من يصب الزيت على النار.

الصراع العربي التركي

الصراع العربي التركي صراع قديم حديث متشابك، فمن جهة كانت هناك مشاكل

”نجد أن الثقافات أيضاً تتخبط وترزح تحت نوع آخر من الصراع؛ هو صراع إنكار الهوية والثقافة الخاصة بكل شعب وملة، وصراع إلباس الآخر المختلف ثقافة مفصلة ومعينة وإرغامه على ارتدائها، ومن ثم فرض لون واحد ولو بالقوة والإكراه بدلاً من ترك الأمور تجري مجراها الطبيعي في منطقة مثل الشرق الأوسط، تتميز بكل هذا الغنى الحضاري والثقافي والقومي والديني والتاريخي والروحي“

الأطماع التوسعية العثمانية التركية في الأراضي العربية سابقاً وحالياً وليس من الغريب أن تستمر لاحقاً، ومن جهة ثانية كان ثمة صراع على زعامة العالم الإسلامي والوصاية على الأماكن المقدسة وتسلّم مفاتيحها. وهذه النزعة لا يمكن أن تختفي من الذهنية التركية العثمانية، إذ لا يمكن للتاريخ أن يحذف من ذاكرته القرون الأربعة من الزمن التي حكم فيها العثمانيون المنطقة العربية بجميع شعوبها، وباستثناء «قصيري الذاكرة أو فاقديها» فإنه لا يمكن لأحد أن ينسى تلك المظالم العثمانية بحق جميع المكونات والتشكيلات السكانية في المنطقة. ثم إن الذهنية الاحتلالية للدولة التركية الحديثة لم تتوانَ لحظة في تصيّد كل فرصة سانحة لتحقيق أطماعها في الأراضي العربية، من لواء إسكندرون إلى الوقت الحالي، إذ تحتل تركيا حالياً مناطق واسعة من الجغرافية السورية، وإن لم تكن مناطق متصلة ببعضها، ولكن يبقى الاحتلال احتلالاً، والفعل والنية للاحتلال قائمة سواء أصالةً أم بالوكالة.

إن الاجتياح التركي الأخير في الأراضي السورية أثار أفكاراً تستحق التوقف عندها مجدداً ومطوّلاً، فقد وجد المتأمل في الحالة السورية أنه أمام مشهد دموي يستدعي الماضي المشين للحكم التركي على المنطقة، وهو ما يدعو القارئ المتبصّر المتأمّل إلى الربط بين التاريخ العثماني الاستعماري والأفعال والممارسات التركية الحديثة، وحينها سوف تتكشّف الأطماع التركية العثمانية وتظهر إلى العلن، وسوف يبرز بوضوح لا يدعو إلى الشكّ اللعب التركي على وتر المذهبية والطائفية، كما هو الحال في دعم تركيا لفصائل وجماعات بعينها في سوريا.

وفي مصر هناك صراع عربي تركي من نوع خاص، يمكن أن نقول إنه صراع بارد، وهو نابع من دعم تركيا للإخوان المسلمين، وهذا ما يزعج مصر ويدفعها إلى اتخاذ مواقف سياسية من تركيا وتوجهاتها في المنطقة العربية عموماً وفي مصر على وجه الخصوص، هذا إلى جانب التدخل التركي في ليبيا، ودخولها في تجاذبات مع بعض دول الخليج العربي على حساب إيذاء سوريا والشعب السوري، وهذا الأمر أيضاً أدى إلى خلق صراعات باردة جديدة بين باقي دول الخليج وتركيا، بالإضافة إلى العلاقات غير المستقرة بين العراق وتركيا بشكل شبه دائم.

هناك الصراع التركي الكردي، والصراع التركي الأرمني، والصراع التركي الفارسي، بل إن تركيا لا تكاد تخلو من الصراعات مع جميع جيرانها وجميع الشعوب التي تعيش على جغرافيتها الشاسعة، ولا يمكن بأي شكل من الأشكال إخراج هذه الصراعات من دائرة الصراع القومي، فالسلطنة العثمانية لم تكن تتعامل بفوقية وعنجهية مع الشعوب المنضوية تحت راية الحكم العثماني ـ سواء بالترغيب أم بالترهيب ـ إلا على أساس أنهم من قوميات مختلفة عن القومية التركية، وعلى أساس أنها شعوب لها كيانها ولغتها وخصوصيتها، ومن المحتمل أن يكونوا مصدر خطر على العثمانيين وحكمهم، ولذلك فإن التاريخ سجّل تلك الحقبة بصفحات من الظلام والسواد، والأمر مستمر إلى يومنا الحاضر.

وبصفحات ليس أقلّ ظلماً وظلاماً من سابقاتها هذا إن لم تزد عليها، لأن الدولة التركية الحالية تعرف جيداً نسيجها وتركيبتها السكانية والديمغرافية، وماذا يعني إذا ما توفرت مقومات الديمقراطية وانفتحت الشعوب المتنوعة التي تعيش فيها على حقوقها، وهذا بطبيعة الحال يقود إلى صراع قومي يظهر في منازعات عسكرية وأزمات سياسية، وتندرج القضية الكردية في تركيا تحت هكذا نوع من المسائل والصراعات، فهي قضية شعب ذي قومية مستقلة وهوية قائمة بذاتها وتحمل جميع المقومات المطلوبة مثل اللغة والتاريخ والآمال والتطلعات المشتركة والجغرافيا.

الصراع التركي الفارسي

في أواخر القرن السادس الميلادي (٥٨٨ ـ ٥٨٩) وقعت حرب بين الفرس والأتراك تُعرف في التاريخ باسم "الحرب الفارسية التركية الأولى"، وبالتحديد بين الإمبراطورية الساسانية الفارسية وإمارات الهياطلة التركية ومنها إمارة غوكتورك أكبر تلك الإمارات، إذ بدأ ذلك الصراع عندما غزا الأتراك الإمبراطورية الساسانية الفارسية، لكنه انتهى لمصلحة الساسانيين بانتصار حاسم وتمكنوا من استعادة الأراضي الساسانية المحتلة.

ثم كانت «الحرب الفارسية التركية الثانية» بين الأعوام (٦٠٦ ـ ٦٠٨) ميلادية مع غزو غوكتورك والهياطلة للإمبراطورية الساسانية مجدداً، وانتهت هذه الحرب أيضاً كسابقتها بهزيمة الأتراك على يد الساسانيين.

أما «الحرب الفارسية التركية الثالثة» فكانت على عكس الحربين السابقتين من حيث ميدان وأرض المعركة، فقد اندلعت هذه الحرب في القوقاز بدلاً من آسيا الوسطى، وانطلقت الأعمال الحربية في عام ٦٢٧ للميلاد على خلفية الحرب البيزنطية الساسانية.

"إن الصراع العربي التركي صراعٌ قديم حديث متشابك، فمن جهة كانت هناك مشاكل الأطماع التوسعية العثمانية التركية في الأراضي العربية سابقاً وحالياً، وليس من الغريب أن تستمر لاحقاً، ومن جهة ثانية كان ثمة صراع على زعامة العالم الإسلامي والوصاية على الأماكن المقدسة وتسلّم مفاتيحها، وهذه النزعة لا يمكن أن تختفي من الذهنية التركية العثمانية."

ثم كانت سلسلة طويلة من الحروب العثمانية الصفوية، بين القرنين الساس عشر والثامن عشر للميلاد، إما على أسس مذهبية وإما على أسس وأطماع توسعية، وصولاً إلى الوقت الراهن وما يشهده من منافسة بين الدولتين الجارتين حول مدّ النفوذ في كل من العراق وسوريا بالدرجة الأولى، وفي منطقة الخليج العربي بالدرجة الثانية، فحيث تكون المصالح متناغمة يكون هناك توافق سياسي، وكلما تناقضت المصالح وتضاربت برز على سطح العلاقات بينهما توترٌ يحمل طابعاً ذا صراع على أساس قومي تاريخي قديم "فارسي تركي».

الصراع التركي الأرمني

الشعب الأرمني من الشعوب العريقة في منطقة الشرق الأوسط، وهو مثل باقي أكثر شعوب العالم ليس محصوراً في البقعة الجغرافية التي تحمل اسم دولة أرمينيا كدولة قومية لهذا الشعب، فالشعب الأرمني منتشر

> **معظم الصراعات القائمة في العالم أجمع ومنه الشرق الأوسط؛ قائمة على أساس المطامع والمصالح المتضاربة، وإذا كانت المصالح والتقاطعات الاقتصادية والتوسعية وفرض الهيمنة تأخذ أبرز أشكال وأسباب تلك النزاعات والصراعات، إلا أنه لا تخلو في بعض الأحيان من المواقف الأيديولوجية والدينية والمذهبية، وفي الوقت نفسه لا تخلو من الكثير من الدوافع القومية، لتأخذ الصراعات في نهاية المطاف طابعاً قومياً يهيمن على الأسباب والصور الأخرى.**

في عدة دول ومنها تركيا، والحقيقة أن جميع الشعوب في العالم باتت متداخلة جغرافياً، فلكلّ شعب جاليات كبيرة أو صغيرة ـ بصرف النظر عن العدد ـ في دول ومجتمعات أخرى، وقد تصل أعداد أفراد بعض الجاليات في بعض الأحيان إلى عدد يفوق عدد سكان دولة مستقلة.

على العموم يمكننا تلخيص الصراع التركي الأرمني بلمحة عن المجازر التي ارتُكبت بحق الأرمن الذين كانوا يعيشون ضمن السلطنة العثمانية في الحرب العالمية الأولى بداية القرن الماضي، وهو الأمر الذي مازالت تنكره الدولة التركية التي قامت على أنقاض الدولة العثمانية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، لكن الوقائع التاريخية تشير إلى ارتكاب تلك المجازر، وقد شهدت السنوات الأخيرة تحرّكاً دولياً ـ ولو خجولاً ـ نحو الاعتراف بمجازر الأرمن في تركيا.

حصلت أرمينيا على استقلالها عام ١٩١٨ وتم الإعلان عن الجمهورية الأولى، على مساحة ١٢ ألف كيلو متر مربع، وعاصمتها يريفان، كان ذلك عند توقيع أول اتفاقية مع تركيا حيث اعترفت تركيا باستقلال أرمينيا، وفي عام ١٩١٩ تم تحرير مساحات أخرى من الأراضي الأرمنية لتصل مساحتها إلى ٦٠ ألف كيلو متر مربع، وبعد مؤتمر باريس عام ١٩٢٠ حصل اعتراف دولي بأرمينيا، وفي مؤتمر سيفر وقّعت الدول العظمى وتركيا على اتفاقية مؤيدة لأرمينيا، ولكن الصراع بين تركيا وأرمينيا عاد إلى الظهور مجدداً مع تسلم حكومة أتاتورك زمام السلطة في تركيا، وبذلك خُلقت ظروف جديدة، وعلى إثر ذلك لم تعترف الحكومة الكمالية لا بتلك الاتفاقية ولا بجمهورية أرمينيا، ونتيجة لهذا الواقع الجديد تم التوقيع في شهر آب من العام ١٩٢٠ على اتفاقية في موسكو بين روسيا وتركيا تعترف بموجبها روسيا بوحدة أراضي تركيا، فأصبحت هذه الاتفاقية بهذا الشكل عائقاً أمام استقلال وسيادة أرمينيا.

الصراع العربي الفارسي

يعود تاريخ هذا الصراع إلى ما قبل الميلاد على شكل اتهامات متبادلة من كل طرف للآخر، فالفرس منذ القديم وإلى يومنا هذا يتهمون العرب بأنهم كانوا سبباً بشكل أو آخر في الزوال التدريجي للدولة الساسانية ونهايتها، في حين أن العرب يحمّلون الفرس في كل مناسبة سانحة مسؤولية نهاية بعض الكيانات العربية، وقد اشتدّ هذا العداء الفارسي العربي وتنامى مع الحقبة الإسلامية، فقد أخذ الصراع بعداً دينياً على خلفية الغزوات العربية ذات الطابع الإسلامي ومحاولتهم فرض دينهم الجديد على الفرس،» هذا بحسب رؤية الفرس للمشهد وتحليلهم له»، وهذا ما لم يرضَ به الفرس الذين يعتقدون أن هذه الغزوات أقصت الديانة الزردشتية السائدة بين شعوب بلاد فارس، لتطغى بذلك النزعة الدينية على الحقيقة المبطّنة للصراع القومي بين شعبين، هذا الصراع الذي يسعى في الخفاء إلى مدّ النفوذ والتوسّع على الأرض والسيطرة على المناطق.

الشكل الآخر للصراع الفارسي العربي أخذ طابعاً مذهبياً، حيث أصبح المذهب الشيعي جزءاً مرتبطاً بالقومية الفارسية في مقابل المذهب السني الذي ينضوي تحته الغالبية العظمى من العرب المسلمين، بالإضافة إلى مشاكل الصراع على الأرض كما في العراق، والمخاوف العربية كما في دول الخليج، ومحاولة إيران التدخل في شؤون عدد من الدول العربية الأخرى.

الصراع العربي الإسرائيلي

هذا الصراع الذي كان في وقت من الأوقات حديث الساعة في المحافل العربية والإسلامية وعلى المنابر الإعلامية؛ ما يزال يعيش حالة غير واضحة من ناحية الوصول بالصراع إلى حلول نهائية، وعلى الرغم من أن الصراع محصور بالشعب الفلسطيني وأرض فلسطين، إلا أن الموضوع أخذ بعداً قومياً يتجاوز الحدود الفلسطينية، إلى درجة أن بعض الدول العربية اتخذت من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي صراعاً عربياً يخصّ الأمة العربية بأكملها، ومع أن هناك قرارات أممية من مجلس الأمن الدولي بخصوص فلسطين، ومع وجود أطروحات ومبادرات دولية وأممية حول حلّ الدولتين "إسرائيل وفلسطين"، إلا أن القضية ماتزال عالقة ولا وجود لآفاق حلول واضحة أو قريبة.

ولا يغفل على أحد التطور في مسار العلاقات العربية الإسرائيلية في السنوات الأخيرة، حيث ظهرت فكرة التطبيع بين عدة دول عربية مع إسرائيل، وبغضّ النظر عن الإرهاصات التي تولّد عنها هذا التطبيع، سواء كان الموضوع يستوي على نار هادئة منذ وقت قديم أم إنه ظهر بشكل طارئ نتيجة ظروف وجاذبات موضوعية معينة، على خلفية ما تمرّ بها منطقة الشرق الأوسط عموماً والدول العربية بشكل خاص؛ فإن العبرة في الختام أن هذا التطبيع سيكون من شأنه أن يخفف من حدّة اللغة السياسية على الأقل والخطاب الدبلوماسي بين الطرفين، وهو ما قد يؤدي بالنتيجة إلى تخفيف حدّة الصراع مع الأيام.

خاتمة

من الواضح أن معظم الصراعات القائمة في العالم أجمع ومنه الشرق الأوسط؛ قائمة على أساس المطامع والمصالح المتضاربة، وإذا كانت المصالح والتقاطعات الاقتصادية والتوسعية وفرض الهيمنة تأخذ أبرز أشكال وأسباب تلك النزاعات والصراعات، إلا أنه لا تخلو في بعض الأحيان من المواقف الأيديولوجية والدينية والمذهبية، وفي الوقت نفسه لا تخلو من الكثير من الدوافع القومية، لتأخذ الصراعات في نهاية المطاف طابعاً قومياً يهيمن على الأسباب والصور الأخرى، وبالتالي يطغى الطابع القومي على مجمل النزاعات المعروفة في العالم بأسره ومن ضمنه الشرق الأوسط.

واقع الحال أن الحلول تكاد تكون مفقودة ومستعصية في حالة اتخاذ الصراع طابعاً قومياً، في حال ما إذا كانت السلطات الحاكمة التي بيدها مفاتيح جميع الأمور ومقاليد كل الحلول؛ إذا كانت هذه السلطات ذات طابع شمولي تسلطي سمته إنكار الآخر المختلف معه وإقصاؤه، وهذه النماذج متوفرة في دول وقوميات الشرق عموماً، وخاصة تلك التي أخذها جنون العظمة التاريخية أو المصطنعة، والحال هذه؛ لا بدّ من أن يصعب التعامل مع من يجد في نفسه صاحب دماء زرقاء ملكية، أو من يظن في نفسه أنه أفضل خلق الله وخير البشر، لأن الأمور حينها تختلط ببعضها، فيختلط التعصب القومي بالديني، وينصهر الفكري بالعنصري والثقافي بالمذهبي والمعرفي بالفوقي، وكل ذلك يتحطم في النهاية على صخرة العصبية الإنكارية للآخرين.

الصراع الكُرْدي ـ التركي

مصطفى شيخ مسلم
سوريا

لكل حربٍ نَشَبتْ بين طرفين، سواءً قديماً أو في الوقت الحاضر، جملة من الأسباب والدوافع التي أدت إليها، كما أنّ لكل صراع أسباب وخلفيات أجّجَتْ وصعَّدتْ منه ليبلغ مرحلة الحرب، عدا التبعات السياسية والاقتصادية التي تتزامن وبداية الحرب، لتطول إلى ما بعد التعافي من آثار الحرب بعشرات السنين.

غالباً يعيد الكثير من المؤرّخين جذور الكُرْد إلى العرق الآري، ويعتبرونهم أحفاد شعوب سكنت جبال زاغروس وطوروس والمناطق المحاذية لها، منذ الألف الثالثة قبل الميلاد. ويرى الباحث والمؤرّخ الكُرْدي محمد أمين زكي (1880 ـ 1948) في مؤلّفه «خلاصة تاريخ الكُرْد وكردستان» أن أصول الكُرْد تشكّلت من طبقتين، الأولى سكنت جبال زاغروس وطوروس وهي: لولو، كوتي، كورتي، جوتي، جودي، كاسي، سوباري، خالدي، هوري، ميتاني. والطبقة الثانية، هي الشعوب الهندو – أوروبية التي أتت فيما بعد واستقرّت في المنطقة، كالميديين والكاردوخيين، واندمجت بشعوبها ليتشكّل منها فيما بعد الكُرْد.

كما أتى المؤرّخون اليونانيون على ذكر الكُرْد، بخاصة أثناء الحروب اليونانيّة–الفارسيّة وتقهقر جيش الإسكندر في جبال زاغروس. ومن ذلك، المؤرّخ اليوناني زينفون (٤٢٧ - ٣٥٥) الذي أشار الى شعب وصفهم «بالمحاربين الأشداء ساكني الجبال»، وسمّاهم بـ»كاردوخ» الذين هاجموا الجيش اليوناني أثناء عبوره للمنطقة عام ٤٠٠ قبل الميلاد. كما أتى هيرودوت (٤٨٤ – ٤٢٥) على ذكر الكُرْد في مؤلفاته. وجاء المسعودي (٨٩٦ – ٩٧٥) في كتابه «مروج الذهب» على ذكرهم أيضاً. ما يعني أنّهم من أقدم شعوب المنطقة وليسوا طارئين أو وافدين.

كلمة كردستان (وطن الكُرْد) كمصطلح جغرافي – إداري ذي دلالة قوميّة وديموغرافيّة، لم يبتدعها الكُرْد، بل جاءت على عهد السلطان سنجار السلجوقي (١١١٨ – ١١٥٧) حين فصل القسم الغربي من إقليم الجبال وجعله ولاية تحت حكم قريبه سليمان شاه وأطلق عليه اسم كردستان. وشملت هذه الولاية الأراضي الممتدة بين أذربيجان ولورستان (مناطق سناه، دينور، همدان، كرمنشاه.. في إيران) والمناطق الواقعة غرب جبال زاغروس، كشهرزور وكوي سنجق في كردستان العراق. كما جاء ذكر الكُرْد وكردستان في الوثائق والمراسلات الرسميّة العثمانيّة أيضا. ومؤسس الجمهوريّة التركيّة مصطفى كمال أتاتورك نفسه، وأثناء خدمته في المناطق الكُرْديّة، كان يشير الى انه في كردستان.

نتيجة مشاريع الصهر القومي التي مارستها الأنظمة المتعاقبة على الحكم في تركيا وإيران والعراق سورية، وإنكارها وجود القوميّة الكُرْديّة، لا يوجد إحصاء دقيق لعدد الكُرْد، بشكل علمي ومحايد. وبحسب الموقع الإلكتروني لمشروع جوشوا للمجموعات الإثنيّة (JOSHUA PROJECT) يصل عدد الكُرْد الى ٢٧,٣٨٠,٠٠٠ نسمة، ٥٦٪ في تركيا، و١٦٪ في إيران، و١٥٪ في العراق، و٦٪ في سورية. بينما يرى الباحثون والساسة والمثقفون الكُرْد أن عددهم يتجاوز ذلك بكثير، ليصل الى أربعين مليون نسمة، نصفهم في تركيا. كما يقدّر هؤلاء مساحة كردستان بـ ٥٥٠٠٠٠ كيلو متر مربّع، تتوزّع على تركيا وإيران والعراق وسورية ومساحة صغيرة في منطقة "لاجين" بإقليم ناغورنو كراباخ المتنازع عليه بين أرمينيا وأذربيجان. وبحسب إحصاء أجرته وزارة الداخليّة التركيّة سنة ٢٠١١، بلغ عدد سكّان تركيا ٧٤,٧٢٤,٢٦٩، منهم ١٥,٠١٦,٠٠٠ كردي، ما نسبته ٢٠٪ من عدد سكّان تركيا، و٥٦٪ من اجمالي عدد الكُرْد في العالم. لكن الكُرْد لا يثقون بهذه الإحصائيات كونها صادرة من جهات رسميّة تركيّة، لا تريد إبراز الأرقام الحقيقيّة، لغايات سياسيّة. ويؤكدون أنّ عددهم في تركيا يتجاوز ٢٠ مليون نسمة، يشكّلون الأكثرية في ٢١ محافظة من المحافظات التركيّة التسعين.

والمحافظات ذات الغالبيّة الكُرْديّة، تقع في شرق وجنوب شرق تركيا ويطلق عليها الكُرْد اسم كردستان تركيا، أو كردستان الشماليّة، اعتماداً على ان اتفاقيّة سايكس–بيكو، قسّمت كردستان الى أربعة أجزاء. والمحافظات التركيّة ذات الغالبيّة الكُرْديّة هي: أرزنجان، أرضروم، قارص، ملاطية، ديرسم (تونجَلي)، آلعزيز (ألازغ)، جَولك (بينغول)، موش، آغري، باطمان ـ آديَمان، آمد (ديار بكر) سيرت، بدليس، وان، أورفا، عنتاب، مرعش، ماردين، جولامريك، (هكّاري)، شرناخ.

كما يوجد عدد كبير من الكُرْد في محافظات سيواس، أنقرة، قونية كايسري، أزمير، ميرسين، اسكندرون. في حين يقدّر النشطاء الكُرْد عدد القاطنين في إسطنبول من الكُرْد بأربعة ملايين نسمة، بخاصة بعد حملات التهجير التي قام بها الجيش التركي أثناء صراعه مع الكُرْدستاني.

أسباب المشكلة الكُرْديّة في تركيا

الصراع الكُرْدي–التركي، يمتدّ بجذوره بحسب بعض المؤرخين إلى نهايات الدولة العثمانيّة، بالتزامن مع انتفاضة عبيد الله النهري عام ١٨٨٠، ثم تلتها انتفاضات البدرخانيين في جزيرة بوطان في الداخل التركي. واتّسعتْ الهوّة أكثر فيما بين طرفي الصراع مع ولادة الجمهوريّة التركيّة على يد مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١ – ١٩٣٨)، وتعمّق واتسع نطاقه أكثر فأكثر مع

انطلاقة حزب العمال الكُرْدستاني PKK نهاية عام ١٩٧٨.

ما يعني أن الصراع الكُرْدي – التركي هو الأطول من نوعه ليس في الشرق الأوسط وحسب، بل في العالم، وإبَّان حقبة الصراع هذه، عانى كرد تركيا معاناةً مظلمة وقاتمة، قوامها القمع والترهيب والصهر والإنكار، والتذويب العرقي في بوتقة القوميّة التركيّ بلغت بالكُرْد حد التنصُّل مِن أصلهم ولغتهم وثقافتهم وهويّتهم القوميّة.

فبعد تقسيم تركة «الرجل المريض» بين الإنكليز والفرنسيين في اتفاقيّة سايكس – بيكو سنة ١٩١٦، قلقتْ النخب التركيّة الحاكمة، من زيادة اضمحلال ما تبقى من الإمبراطورية العثمانيّة أكثر فأكثر. ويشير د. إبراهيم الداقوقي في كتابه «كُرْد تركيا» إلى أن: تصريح كليمنصو، رئيس وزراء فرنسا، الذي قال فيه إن «إدارة العثمانيين سيّئة، ومظالمهم متنوّعة من عصور عديدة، وهم عديمو الكفاءة والأهليّة في إدارة العناصر غير التركيّة، فيجب ألاّ نترك أمّة ما في إرادتهم»، هذا التصريح، وارتفاع وتيرة النشاطات القوميّة للجمعيّات الكُرْديّة، أقلق الساسة الأتراك وقتذاك، من أن يؤدّي الى انفصال كردستان عن الإدارة التركيّة.

فأخذت الآلة الإعلامية العثمانيّة تذكّر الكُرْد بالإخاء الإسلامي والوطنيّة العثمانيّة وتعمل بشكلٍ مُنتظم على تمكين الأواصر الكُرْدية التركيّة من منطلق ديني وآخر وطني.

ثم سرعان ما بادر الأتراك لتشكيل هيئة وزارية لدراسة القضية الكردية، مؤلفة من شيخ الإسلام حيدري زاده إبراهيم أفندي، عيوق باشا وزير الأشغال، عوني باشا وزير البحرية، الأمير علي بدرخان عضو جمعية تعالي كردستان، ومراد بدرخان وعبد القادر أفندي من أعضاء مجلس الأعيان. واتفقت الهيئة على:

يرى الباحث والمؤرخ الكردي محمد أمين زكي (١٨٨٠ - ١٩٤٨) في مؤلفه "خلاصة تاريخ الكرد وكردستان" أن أصول الكرد تشكّلت من طبقتين، الأولى سكنت جبال زاغروس وطوروس وهي: لولو، كوتي، كورتي، جوتي، جودي، كاسي، سوباري، خالدي، هوري، ميتاني. والطبقة الثانية، هي الشعوب الهندو - أوروبية التي أتت فيما بعد واستقرت في المنطقة، كالميديين والكاردوخيّين، واندمجت بشعوبها ليتشكّل منها فيما بعد الكرد.

١ ــ منح كردستان الاستقلال الذاتي، شريطة قبولهم البقاء تحت المظلة العثمانيّة.

٢ ــ اتخاذ التدابير الفعالة لإعلان هذا الاستقلال والشروع في تنفيذ مقتضاه حالاً.

ويضيف الداقوقي: لم ينفّذ الصدر الأعظم فريد باشا مقررات الهيئة. ويشير الى انه «بعد تنصيب مصطفى كمال رئيساً لمؤتمر (جمعية الدفاع عن حقوق الولايات الشرقيّة) الكُرْديّة، تحرّك سريعاً لتعبئة جماهير شرقي الأناضول للانخراط في حركة التحرير.

فيما راح يقول الباحث الكُرْدي محمد ملا أحمد (١٩٣٤ – ٢٠٠٩) عن الكاتب الإنكليزي ــ الكابتن هـ. س. آرمسترونغ، من كتابه «الذئب الأغبر.. مصطفى كمال أتاتورك» قوله: «كانت الوعود دائماً في نظر مصطفى كمال وسيلة لغاية، وسلّماً إلى هدف. لذا اتصل مع زعماء العشائر الكُرْديّة، وحاورهم باسم الوطنيّة والدين. حتى أنه ارتدى زيّ رجال الدين المسلمين، واتصل بهم وطلب منهم الوقوف

في وجه مؤامرات الأرمن، والأوربيين المسيحيين (الكفار). فجذبهم إليه. وتقوّى بمساعدتهم. وكان الاخاديون قد جذبوا العديد من القوميين الكُرْد، من أعضاء النوادي السياسيّة في ديار بكر وماردين وغيرها إليهم. مقابل وعود بإعطائهم الاستقلال الذاتي، إذا ساعدوهم ضد الحلفاء والأرمن. واستطاع مصطفى كمال إبعاد الكُرْد عن دعم حكومة إسطنبول وقطع لهم الوعود الكثيرة بإعطائهم الاستقلال، فيما لو ساعدوه في التخلّص من الأعداء. وبيّن للكُرْد لزوم «إرجاء القضيّة الكُرْديّة إلى أن يطهّر البلاد من الأعداء... قاطعاً لهم الوعود الصريحة باعتراف تركيا للكُرْد وكردستان بالاستقلال، بمساحة أوسع من التي وردت في معاهدة سيفر.

ووثق الكثير من زعماء الكُرْد بمصطفى كمال، لأنه كان يتكلم باسم الدين والوحدة الوطنية». لكن، لم تقتنع بعض الزعامات الكُرْديّة بوعود مصطفى كمال، بخاصّة بعد «رفضه وقادته العسكريين تشكيل الكُرْد فرقة عسكريّة كرديّة في أرضروم للدفاع عن الولايات الشرقيّة، ورفضهم قيام أية حركة باسم الكُرْد، فانقسم الكُرْد الى فريقين. الأول: يؤيد التعاون مع مصطفى كمال، وإرجاء مسألة الحقوق القوميّة الكُرْديّة.

والثاني: رفض التعاون معه ودعا للاتصال بدول الائتلاف للحصول على الحقوق القوميّة. وعلى رأسهم جمعيّة تعالي كردستان وعائلة بدرخان باشا» بحسب ما أورده إبراهيم الداقوقي في كتابه «كُرْد تركيا». وشارك الفريق الأول في مؤتمر سيواس المنعقد في ٤ الى ١٩١٩/٠٩/١٢ الذي دعا اليه مصطفى كمال مع وفد لمثلين عن (جمعية الدفاع عن حقوق الولايات الشرقيّة) الكُرْديّة، هم: مصطفى كمال، رؤوف بيك، العالم الديني رائف أفندي الكُرْدي، الشيخ فوزي أفندي الكُرْدي، الشيخ سامي بيك.

ثم انتخب مصطفى كمال بمساعدة ومساندة المندوبين الكُرْد رئيساً، مع معارضة آخرين! وانتخب المؤتمر تسعة أعضاء جدد للهيئة التأسيسيّة، هم الذين وضعوا مبادئ الميثاق الوطني وأيديولوجية الدولة الجديدة واتجاهاتها السياسيّة والاجتماعيّة. مع اتخاذ العديد من القرارات منها إرجاء القضيّة الكُرْديّة الى ما بعد التحرير. وتغيير اسم (جمعيّة الدفاع عن حقوق الولايات الشرقيّة) الكُرْديّة الى (جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول وبلاد الروم). ومعارضة كافة أشكال الدويلات التي تحاول دول الائتلاف أقامتها. وينقل الداقوقي عن الباحث الكُرْدي محمد أمين زكي قوله: «عندما انعقد المجلس الوطني التركي في أنقره ١٩٢٠، كان فيه ٧٢ نائباً يمثلون كردستان، هم الذين تعاونوا مع مصطفى كمال، وأبرقوا الى الحلفاء بأنهم لا يرغبون في الانفصال عن الأتراك».

وفي سياق الصراع على السلطة بين حكومة إسطنبول برئاسة الصدر الأعظم الدماد فريد باشا وجماعة الاتحاد والترقي والخليفة العثماني محمد وحيد الدين (١٨٦١ – ١٩٢٩) من جهة، وحكومة مصطفى كمال في أنقره من جهة أخرى، حاول كل طرف استمالة الكُرْد الى جانبه. وتجدر الإشارة الى أن حكومة فريد باشا الأولى هي التي أوفدت مصطفى كمال إلى المناطق الكُرْديّة بمنصب المفتش العام على الجيوش التركيّة، لاستمالة الكُرْد وإعلان الثورة، بينما أصدرت حكومة فريد باشا الثانية قراراً بإقالته بتهمة العصيان والتمرّد على السلطان.

معاهدة سيفر

بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالميّة الأولى، وفي إطار الحفاظ على السلطة وقطع الطريق على حكومة مصطفى كمال في أنقرة، وبالتوازي مع مساعي استمالة الأقليّات القوميّة في السلطنة بخاصّة الكُرْد والأرمن، وكنوع من تبرئة الذمّة من مذابح الأرمن، وقّعت حكومة إسطنبول برئاسة علي رضا باشا يوم ١٩٢٠/٠٨/١٠ على معاهدة سيفر والتي نصّت على الاعتراف بأرمينيا، وبالعراق وسورية تحت الانتداب الفرنسي والبريطاني.

كما نصّت البنود ٦٢، ٦٣، ٦٤ من الفقرة الثالثة على منح المناطق الكُرْديّة الحكم

الذاتي، واحتمال حصول كردستان على الاستقلال، والسماح لولاية الموصل بالانضمام إلى كردستان، طبقاً للبند ٦٢. ونصّت البنود الثلاث على التالي:

٦٢ ــ تشكل الحكومة لجنة يكون مقرها القسطنطينية – إسطنبول - تتألف من أعضاء ثلاثة تعيّنهم الحكومة البريطانيّة والفرنسيّة والإيطالية. وعلى هذه اللجنة أن تضع في غضون ستة أشهر من التوقيع على هذه المعاهدة مشروعاً للحكم الذاتي المحلي للمناطق التي تسكنها غالبيّة كرديّة والواقعة شرق الفرات وجنوب الحدود الجنوبيّة لأرمينيا، كما ستقرر فيما بعد، وشمال حدود تركيا مع سورية، وبلاد ما بين النهرين.

٦٣ ــ توافق الحكومة العثمانيّة من الآن على قبول وتنفيذ القرارات التي تتخذها الهيئة المقرر تشكيلها في المادة ٦٢ أعلاه خلال ثلاثة أشهر من تاريخ إخطارها بتنفيذ تلك القرارات.

٦٤ ــ في غضون سنة واحدة من هذا التاريخ، إذا ظهر الشعب الكُرْدي القاطن ضمن المناطق المحددة في المادة ٦٢، أن اغلبيه سكان تلك المناطق ترغب في الاستقلال عن تركيا، وإذا رأى المجلس (مجلس عصبة الأمم) أن هؤلاء جديرون بهذا الاستقلال، وإذا أوصى بأن تمنح لهم، فعلى تركيا أن توافق على تنفيذ مثل هذه التوصية، وان تتنازل عن كل حقوقها وامتيازاتها في تلك المناطق. رفضت حكومة أنقرة هذه المعاهدة، واعتبرتها إذلالا للسلطنة العثمانيّة وظلماً بحقّها، وتخاذلاً من حكومة إسطنبول والسلطان محمد وحيد الدين، وان الفريق الحاكم في إسطنبول قد خان الوطن. ففي ١٩٢٢/١٠/٣٠ قدّم مصطفى كمال مشروع قرار الى البرلمان يطالب فيه بإلغاء السلطنة واتهام السلطان بالخيانة العظمى.

ووافق البرلمان على ذلك في ١٩٢٢/١١/٠١ بفصل السلطنة عن الخلافة وإلغاء الأولى. ونجحت حكومة أنقرة في إقناع الكُرْد بإرجاء مطالبهم القوميّة، عبر قطع الوعود لهم،

"طلب مصطفى كمال من النواب الكُرد الرد حول رغبة الكُرد في الْبقاء ضمن الدولة التُرْكية الجديدة. فردِ النائب الكُردّي حسين عوني بيك: "إن هذْه البلاد هي للكُرد والأتراك. وإن حق التحدث من هُذه المنصة، هو للأمّتين، الكُردية والتركيّة". وأيده النواب الكُردّ في البرلمّان، وبموجبه أعلن إينُونو في مؤتمر لوزان أن "تركيا هي للشعبين، التركي والكُردي، المتساوِين أمام الدولة، ويتمتعان بحقوق قومية متساوية".

كما ذكرنا آنفاً، فأرسل مصطفى كمال وفداً الى مؤتمر لوزان، برئاسة صديقه عصمت إينونو (١٨٨٤ ــ ١٩٧٣). وأثناء تواجد الوفد هناك، طلب مصطفى كمال من النواب الكُرْد في البرلمان، الرد على الاستفسار، الذي وصله من إينونو (كردي الأصل)، في مؤتمر لوزان، حول رغبة الكُرْد في البقاء ضمن الدولة التركيّة الجديدة. فردّ النائب الكُرْدي عن أرضروم، حسين عوني بيك، قائلاً: «إن هذه البلاد هي للكُرْد والأتراك. وإن حقّ التحدّث من هذه المنصّة، هو للأُمتَين، الكُرْديّة والتركيّة». وأيده النواب الكُرْد في البرلمان. وبموجبه، أعلن إينونو في مؤتمر لوزان، أن «تركيا هي للشعبَين، التركي والكُرْدي، المتساويَين أمام الدولة، ويتمتعان بحقوق قوميّة متساوية».

وحين وجد المشاركون، أن الكُرْد، لا يريدون الانفصال عن تركيا، وأن الأخيرة وعدت بتلبية مطالبهم القوميّة، وافقوا على غض النظر عن أي فكرة لاستقلال كردستان، وحذفوا ذكر الكُرْد من وثائق المؤتمر. وتمّ التوقيع على معاهدة لوزان بين الحلفاء وحكومة أنقرة في ١٩٢٣/٠٧/٢٤.

ونسفت هذه المعاهدة ما جاء في معاهدة سيفر، عبر تقديم التنازلات المتبادلة بين تركيا والإنكليز والحلفاء فيما يخصّ المسألة الكُرْديّة. ولم يُذكر في نصّ المعاهدة أي شيء عن استقلال الكُرْد وحقوقهم القوميّة، سوى ما جاء تلميحاً في المواد ٣٨، ٣٩، ٤٤ من الفصل الثالث. حيث جاء في المادّة ٣٨: تتعهد الحكومة التركيّة بمنح جمع السكان الحماية التامّة والكاملة، لحياتهم وحريتهم، من دون تمييز في العِرق والقوميّة واللغة والدين.

وفي المادة ٣٩: «لن تصدر أية مضايقات في شأن الممارسة الحرة لكل مواطن تركي لأية لغة كانت، إن كان ذلك في العلاقات الخاصة أم في العلاقات التجارية، أم في الدين والصحافة، أم في المؤلفات والمطبوعات، من مختلف الأنواع أم في الاجتماعات العامة.

وتقول المادة ٤٤: إن تعهدات تركيا هذه، هي تعهدات دولية، لا يجوز نقُضها، في أي حال من الأحوال، وإلا فيكون لكل دولة من الدول الموقعة معاهدة لوزان، والدول المؤلفة منها عصبة الأمم، الحق في الإشراف على تنفيذ تركيا هذه التعهدات، بدقة، والتدخل ضدها، لحملها على تنفيذ ما تعهدت به أمام العالم. وبعد إعلان مصطفى كمال – أتاتورك ولادة الجمهوريّة التركيّة في ١٩٢٣/١٠/٢٩، وضمانه دعم الغرب، والقوى العظمى، وتغاضيها عن مذابح الأرمن وحقوق الكُرْد، بدأ أتاتورك التنصّل مما جاء في معاهدة لوزان، ووعوده للكرد. بدأت مرحلة مريرة ومظلمة في حياة كُرْد تركيا. وكردّة فعل على «خيانة» أتاتورك لوعوده التي قطعها للكرد، اندلعت انتفاضة الشيخ سعيد بيران، سنة ١٩٢٥، وساندها الأرمن والشركس والعرب والأشوريين في مناطق جنوب شرق تركيا.

ومشاركة الأرمن والآشوريين في الانتفاضة، يعني بأنها لم تكن إسلاميّة صرفه، تدعو لعودة دولة الخلافة، كما يرى البعض. وانتهت هذه الانتفاضة بالسحق واعتقال الشيخ سعيد وإعدامه مع رفاقه في ١٩٢٥/٠٥/٣٠. ثم اندلعت انتفاضة جبل آغري، بقيادة الجنرال في الجيش العثماني، إحسان نوري باشا (١٨٩٣ – ١٩٧٦) سنة ١٩٢٦ واستمرّت لغاية ١٩٣٠. وأيضاً تمّ سحقها. ثمّ أتت انتفاضة الكُرْد العلويين في محافظة ديرسم، بقيادة سيد رضا، سنة ١٩٣٧ - ١٩٣٨.

وتمّ سحقها عبر استخدام الطيران. وكانت ابنة أتاتورك بالتبنّي، صبيحة غوكتشن (أوّل امرأة تقود طائرة حربيّة في تركيا والعالم. ويقال إنها من أصول أرمنيّة، بحسب الكاتب التركي الأرمني الراحل هرانت دينك) هي التي تقصف مدينة ديرسم بالقنابل. وراح في المجازر التي ارتكبت في سحق الانتفاضات الكُرْديّة عشرات الألوف من الكُرْد، ومئات الألوف من المشرّدين والمهجّرين قسراً.

وهكذا، كانت خاتمة السلطنة العثمانيّة مذابح الأرمن (١٩١٥ – ١٩١٧)، وكانت بداية العهد الجمهوري – العلماني، الاتاتوركي، المجازر بحق الكُرْد.

أثناء ذلك، أرسى أتاتورك مبادئ الدولة – الأمّة في تركيا، ارتكازاً على عمليّات الأنكار والصهر والتذويب لكل الأقليّات القوميّة، وفي مقدّمتها الكُرْد، ضمن بوتقة القوميّة التركيّة. وجرى إنكار كل شيء له علاقة او يوحي بوجود الكُرْد في تركيا. وتمت تسميتهم بـ «أتراك الجبال».

وحوربت اللغة والثقافة الكُرْديتين، الى درجة جرى تغيير ألوان إشارات المرور؛ الأخضر والأحمر والأصفر (ألوان العلم الكُرْدي). وتفاقمت سياسات الصهر والقهر والمنع والقمع والتذويب بحقّ الكُرْد في الانقلابات العسكريّة الثلاث التي شهدتها تركيا (١٩٦٠، ١٩٧١، ١٩٨٠) حيث ازدادت الدولة الكمالية (الاتاتوركيّة) في تشددها وتطرّفها القومي. وفي نهاية السبعينات، وتحديداً ١٩٧٨/١١/٢٧، اجتمعت مجموعة من الشبيبة الكُرْديّة، بقيادة عبد الله أوجلان (الطالب في كليّة العلوم السياسيّة وقتئذ) في قرية فيس التابعة لمنطقة «لجه» بمحافظة آمد / ديار بكر، وأعلنت عن تشكيل حزب العمال الكُرْدستاني PKK (الأحرف الثلاث الأولى من الاسم الكُرْدي للحزب). كان شعار الحزب: تشكيل كردستان المستقلّة الاشتراكيّة الموحّدة. والخطوة الأولى في هذا المسار هو التمهيد لإعلان

الثورة والكفاح المسلّح. وبخصوص أيديولوجيته فكانت خليط من اليساريّة والقوميّة كردّة فعل على اليسار التركي الذي انشق عنه أوجلان. ذلك أنّ هذا اليسار طالب الكُرْد بإرجاء مطالبهم إلى حين تحقيق الاشتراكيّة في تركيا. تماماً كما فعل أتاتورك سابقاً، وكما كان يطالب اليساريون والإسلاميون العرب والفرس من الكُرْد في العراق وسورية وإيران، حتّى الآن.

عقد العمال الكُرْدستاني مؤتمره الثاني سنة ١٩٨٢ في سورية، واتخذ قرار التمهيد للعمل المسلّح. وقام بأوّل عمليّة عسكريّة ضدّ الجيش التركي في منطقة أروه التابعة لمحافظة شرناخ في ١٩٨٤/٠٨/١٥. وبحلول ٢٠١٣، يكون قدّ مرّ على الصراع المسلّح بين تركيا والكُرْدستاني ٢٩ سنة، لم يستطع كلا الطرفين حسم الحرب لصالحه، رغم تفاوت ميزان القوى لصالح تركيا والدعم الإقليمي والدولي الذي حظيت به من الغرب والناتو وإسرائيل.

مع استلام تورغوت أوزال (١٩٢٧ – ١٩٩٣) رئاسة الجمهوريّة في ١٩٨٩/١١/٠٩، بدأت تلوح في الأفق بوادر إصلاحات في سياسات الدولة تجاه الكُرْد. منها؛ إصدار عفو عن السجناء السياسيين، شمل آلاف الكُرْد، بينهم قيادات بارزة في الكُرْدستاني (مصطفى قره سو، ساكنة جانسيز، كاني يلماز، محمد شنر...)، ثمّ استبدل الحظر الكلّي عن التكلّم باللغة الكُرْديّة بحظر جزئي، سنة ١٩٩١.

كما أشار أوزال إلى أنه ينحدر من أصول كرديّة. وبموت أوزال المفاجئ والغامض في ١٩٩٣/٠٤/١٧، دخل الصراع الكُرْدي – التركي نفقاً شديد العنف والدمويّة، شمل كلَّ الموالين للحلّ السلمي بين الساسة والعسكر التركيين.

مفاوضات قديمة ـ جديدة

حدثت أولى المفاوضات غير المباشرة بين حزب العمال الكُرْدستاني وتركيا عام١٩٩٣، بوساطة الرئيس العراقي الراحل وزعيم الاتحاد الوطني الكُرْدستاني جلال طالباني، بتكليف من تورغوت أوزال. حيث أعلن أوجلان نهاية آذار ١٩٩٣ وقفاً لإطلاق النار، كبادرة حسن نيّة وتجاوباً مع مبادرة أوزال. وصلت المفاوضات الى مرحلة الإعلان عنها للرأي العام. ويشير أوجلان في كتبه التي ألّفها في السجن، أنّه كان من المفترض أن يتصل به أوزال هاتفياً يوم ١٩٩٣/٠٤/١٧، للاتفاق على موعد الإعلان عن التفاهم المبرم بين الطرفين، ولكن، تفاجأ العالم بخبر (وفاة) أوزال في نفس اليوم، تلك المفاوضات باءت بالفشل نتيجة ممانعة مراكز القوى القوميّة التقليديّة (الدولة الخفيّة في تركيا) لحلّ القضيّة الكُرْديّة سلميّاً.

المفاوضات الثانيّة، غير المباشرة، كانت عام ١٩٩٧، حين أرسل رئيس الوزراء التركي، وقتئذ، نجم الدين أربكان، رسائل إلى عبد لله أوجلان، عبر الحركة الإسلاميّة اللبنانيّة. وانتهت هذه المبادرة، حين أطاح العسكر بأربكان، عبر الانقلاب الأبيض الذي قام به الجيش التركي في نفس العام، وإبعاد أربكان عن الحياة السياسيّة وحظر حزبه بقرارٍ من المحكمة الدستوريّة العليا.

الجولة الثالثة من المفاوضات كانت مباشرة، بدأت بلقاءات أجرتها السلطات التركيّة مع أوجلان، بعد اختطافه من العاصمة الكينيّة نيروبي في ١٩٩٩/٠٢/١٥ ومحاكمته وسجنه في جزيرة إيمرالي. وذكر أوجلان أكثر من مرّة أن هذه اللقاءات كانت تتمّ بشكلٍ رسمي، وبعلمٍ وتفويض من حكومة بولند أجاويد (١٩٢٥ – ٢٠٠٦) وهيئة الأركان التركيّة، وأن هذه المفاوضات انقطعت فجأة، ثمّ طالب أوجلان مراراً بعودتها، أثناء لقاءاته مع محاميه، لإيجاد منفرج سلميّ للقضيّة الكُرْديّة. وجرت جولات جديدة من اللقاءات -المفاوضات، على زمن حكومة حزب العدالة والتنمية. كانت تنقطع وتبدأ من حينٍ إلى حين.

عوائد الحلّ السلمي

الصراع بين الكُرْدستاني وتركيا كان داخل وخارج الأراضي التركيّة، بشكليه السياسي والعسكري. وإذا كانت تركيا قد نجحت في توجيه ضربات سياسيّة ودبلوماسيّة للكردستاني، وخاصّة على صعيد إدراج الكُرْدستاني في لائحة

”يشير عبد الله أوجلان في كتبه التي ألفها في السجن، أنه كان من المفترض أن يتصل به أوزال هاتفياً يوم ١٩٩٣/٠٤/١٧، للاتفاق على موعد الإعلان عن التفاهم المبرم بين الطرفين، ولكن، تفاجأ العالم بخبر وفاة أوزال في نفس اليوم، تلك المفاوضات باءت بالفشل نتيجة ممانعة مراكز القوى القومية التقليدية (الدولة الخفية في تركيا) لحل القضية الكُردية سلمياً.“

المنظمات الإرهابيّة في أمريكا والاتحاد الأوروبي، فإن الكُرْدستاني، استنزف تركيا لثلاثة عقود، وقادر على استنزافها لثلاثة عقود أخرى، بالنظر الى القوة العسكريّة والجماهيريّة والإعلامية التي ما زال يمتلكها، ليس في تركيا وحسب وبل في كامل منطقة الشرق الأوسط وأوروبا، علاوةً على أن الكُرْدستاني وبالتزامن مع ولادته، حقق نقلة نوعية في التاريخ الكُرْدي كانت بمثابة النهضة على كافة الأصعدة، فلم يكن كما باقي التيارات الكُرْدية بشكلٍ نمطي كلاسيكي، بل على النقيض من ذلك، جاء العمال الكُرْدستاني بشكلٍ مغاير لكل ما سبقه من حركات كردية.

وقد حاولت تركيا حثيثاً التبرير لـ»غزو» المناطق الكُرْديّة شمال وشمال شرق سورية، تارةً بحجّة إقامة منطقة عازلة لحماية المدنيين من بطش النظام السوري، وتارةً أخرى بحجّة حماية حدودها من تواجد عناصر الكُرْدستاني، أو التنظيمات السياسيّة الموالية له، بين كُرْد سورية، وهو ما يراه مراقبون بأنه امتداد للصراع التاريخي بين الكُرْد والترك.

خلال فترة الصراع، قام الكُرْدستاني بطرح العديد من مبادرات السلام، وتخفيض سقف المطالب، لتصل الى المطالبة بما يشبه الحكم الذاتي في المناطق ذات الغالبيّة الكُرْديّة، والاعتراف بالوجود القومي الكُرْدي في الدستور التركي، وتحسين وضع أوجلان من السجن الانفرادي المعزول في جزيرة ايمرالي الى الإقامة الجبريّة، بحيث يمنع عليه الحياة السياسيّة والخروج من تركيا، ولكن يسمح له بالتواصل مع الخارج. هذه المطالب معقولة ومعتدلة بحسب الكثير من القانونيين والمحللين السياسيين، ويعتبرونها أنها من صلب اتفاقيّة لوزان التي وقّعت عليها تركيا سنة ١٩٢٣، وانتهكتها طيلة هذه العقود. سابقاً، كان رئيس الحكومة التركيّة يبرر تباطؤ أو تلكؤ حكومته في إيجاد حل سلمي للقضيّة؛ بأن «الجيش والقوى النافذة في تركيا هي التي تمانع وليس هو وحكومته وحزبه»!

المصادر

- مركز العربية للدراسات الاستراتيجية.
- الموقع الإلكتروني لمؤسسة البيت الكُرْدي.
- كتاب «كُرْد تركيا» للدكتور إبراهيم الداقوقي _ دار المدى للثقافة والنشر — 2003
- الموقع الإلكتروني للباحث والسياسي الكُرْدي محمد ملا احمد.
- موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، ص 403، المجلد 3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط 2 سنة 1993.
- صحيفة الحياة اللندنيّة: «كُرْد تركيا بين الحلم المندثر والصحوة الثائرة». عدد الثلاثاء / ٣ يناير / ٢٠١٢
- أسبوعيّة روداو الكُرْديّة الصادرة في كردستان العراق.. عدد 2012/07/13
- النشرة العربيّة لصحيفة لوموند ديبلوماتيك الفرنسيّة.. عدد اكتوبر 2012: تركيا والعمال الكُرْدستاني
- من دولة الكهنة السومريّة نحو الحضارة الديمقراطيّة: عبد الله أوجلان — دار آمارد/ بيروت 2002
- دفاعاً عن شعب: عبد الله أوجلان / منشورات حزب العمال الكُرْدستاني / 2005

أهمّ الصراعات الأثنيّة في الشرق الأوسط

عواس علي
سوريا

ظهرت دراسات وأبحاث وكتب عديدة يدور فحواها حول تحاليك عن أسباب الصراع في الشرق الأوسط، فالبعض يُرجِع سبب الصراع إلى الخيانات الشخصية المتمثلة في الحكومات، والبعض يعود بها إلى التدخلات الغربية، والبعض يرى فيها التخلي عن السيف والرمح والابتعاد عن الدين، والبعض قال فيها عن الانقسامات الخاطئة في الدين والقومية، فالعلويون هم نصيرية يجب أن يعودوا إلى رشدهم أو يتخلوا لأصحاب الحقوق، والكرد هم في الاصل أتراك لذلك وجب عليهم أن يعودوا إلى أصولهم التركية ويتخلوا عن لغتهم الكردية ويتعلموا التركية، لكن كان لبعض الباحثين العرب رأي مغاير، فالكرد هم عرب، وكذلك الشيعة خرجوا عن أصول الإسلام الصحيحة ويجب عليهم العودة، ولكن الشيعة يرون في السنة خروجهم عن خلافة الإسلام ويتوجب عليهم الاعتراف بخلافة الإمام علي، صراع دامي بين شعوب ضاقت بها الأرض.

ربما يعود السبب الأساس للصراع في الشرق الأوسط إلى أهمّيّة موقع الشرق الأوسط فقد أسند معظم المحللين والباحثين تلك الصراعات الدامية إلى الموقع الجيوسياسي للشرق الأوسط. ولكن في هذا المضمار بالتحديد قد يتبادر لأذهاننا سؤال: هل فعلاً سبب الصراع هو موقع الشرق الأوسط المهم وامتيازه بالثروات؟ إذ هنالك مناطق ذات أهمّيّة تفوق الشرق الأوسط في أهمّيتها ولا نجد صراعاً فيها يماثل الصراع في الشرق الأوسط. ربما نجانب الصواب إن قلنا إنّ كل ما قيل وأسند اليه الصراع من أسباب وتحاليل جلّها صاغها وأبدعها الأوسطيون بالاستناد إلى مبررات قالها باحثون غربيون. أو إسناد تلك الصراعات إلى أعداء الشرق الأوسط والطامعين في ثرواته. وربما تعود الحقيقة إلى التحلّف الذي يسيطر على الدول التي يضمّها الشرق الأوسط. فإن تمعّنا في عدد الدول التي يضمّها الشرق الأوسط الثمانية عشر دولة والتي تحتل الدول العربية النصيب الأكبر منها بتعدادها الثلاث عشر دولة. نجد أن جميع الدول التي يضمّها الشرق الأوسط تكاد تتشابه في بنيتها الديموغرافية والأثنيّة ذات تركيبة عشائرية قبلية وفي بعضها أسرية. ما زالت تبحث عن الجاه والوجاهة وتتصارع على السلطة وتتوق إلى الاكتناز بسبب فقدانها الاستقرار الاجتماعي والسياسي يضاف إلى ذلك الصراع القومي والديني الدائم بسبب التعصّب القومي والديني لتلك الحكومات التي تحكم الشرق الأوسط والتي تمثل قومية معينة او طائفة أو فئة دينية ترفض الاعتراف بغيرها من القوميات أو الديانات. ولا تكتفي بذلك بل تحاول أن تفرض قوميتها أو ديانتها على غيرها من القوميات أو الديانات وتحاول صهر تلك التنوعات ضمن خاصيتها القومية أو الدينية ما يولد ردة فعل لدى تلك القوميات أو ألفئات وهو عبارة عن صراع وجودي يخلق فجوة مهلهلة في تلك الدول يسهل استغلالها من الطامعين أو المعادين.

نظرة عامة على الشرق الأوسط إبان الحرب الباردة:

وفيما تطور الدين الإسلام في بعض جوانبه الاجتماعية والسياسية نجده حُرِّف وأصبح في خدمة القومية أو القبلية سواء القومية العربية أو ألفارسية أو العثمانية ناهيك عن القوميات الأخرى التي حكمت باسم الإسلام وسخّرته لخدمة أغراض قومية أو قبلية.

ونستطيع أن نقول إنّ الشرق الأوسط برُمّته أضحى يدين بالدين الإسلامي. والضعف الذي حدث في الدين الإسلامي جعل الخلخلة تلحق جميع الدول التي كانت تدين بالإسلام وخاصة في عهد سقوط الدول العظمة في أوربا في الحقبة الأولى كفرنسا وألمانيا وبريطانيا. وبعد الحرب العالمية الثانية لمع نجم كلٍّ من الولايات المتحدة الأمريكية والاتّحاد السوفيتي. وبدأت الحرب الباردة بين الدولتين الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية واتّجهت أنظار الدولتين إلى الشرق الأوسط الذي خرج من الحرب العالمية الثانية منقسماً إلى دويلات مهلهلة ورثت من الإمبراطورية العثمانية التخلف والتعصب. يقول الدكتور ممدوح محمود منصور في كتابه الصراع الأمريكي ـ السوفيتي في الشرق الأوسط " لم تبرز أهمّيّة منطقة الشرق الأوسط في التخطيط الاستراتيجي والسياسي الأمريكي إلّا في أعقاب الحرب العالمية الثانية. حين بدأت الولايات المتحدة تضطلع بممارسة مسؤوليتها كدولة قطبية ذات مصالح كونية. وحين أخذت الحرب الباردة بين قطبي النسق الدولي تنتقل إلى منطقة الشرق الأوسط».

الحقيقة كان نصيب الاتّحاد السوفيتي من تلك الدول كحلفاء قليلاً وكان النصيب الأكبر للولايات المتحدة الامريكية التي استطاعت أن تكسب دول الخليج العربي إلى جانبها تحت ستار أن الاشتراكية تعادي الدين والسلطة ألفردية الممثلة بالملوك والأمراء. حتى أنّ نشاط

الأحزاب الشيوعيّة في دول الخليج العربي قارب الصفر، ولم يكسب الاتحاد السوفيتي من الشرق الأوسط إلّا بعض الدول التي اتّخذت من النهج الاشتراكي نظاماً لها، كسوريا بقيادة حزب البعث ومصر بقيادة حزب الوحدويين الاشتراكين العرب واليمن، وإلى جانبهم تمّ فتح الساحة للأحزاب الشيوعية للعمل ضمن شروط تم فرضها على الاتحاد السوفيتي.

إنّ الولايات المتحدة التي راحت تراعي مصالح حلفائها، وتحاول أن تجعل من القانون الدولي سواء القانون الإنساني أو القانون الدولي خادماً لحلفائها، لكنّها وجدت نفسها امام أزمة قناة السويس، والعدوان ألفرنسي البريطاني على مصر في مأزق لا تحسد عليه فهي قبل فترة أدانت العدوان السوفيتي على المجر، وهي الآن أمام عدوان لحلفائها على دولة لا تقل عن المجر، لذلك قال أيزنهاور مقولته الشهيرة " يجب إيجاد قانون دولي يطبق على الجميع على أعدائنا وحلفائنا"

وفي ذات الوقت تم تفعيل مبدأ أيزنهاور لمواجهة الامتداد السوفيتي في الشرق الأوسط حين وجدت الولايات المتحدة نفسها في مأزق العدوان الثلاثي على مصر، فصرّح الرئيس الأمريكي بخطابه أمام الكونغرس الأمريكي " يحقّ لأيّ دولة أن تطلب الإمداد والقوة العسكرية من الولايات المتحدة إبّان أيّ عدوان عليها" وبذلك حاولت استقطاب مصر بقيادة جمال عبد الناصر الذي تحوّل إلى زعيم عربي، وبذلك قوّضت موقف الاتحاد السوفيتي تجاه مصر، ونجد أنّ موقف الولايات المتحدة لم يتغيّر تجاه إسرائيل، لكنّها شنّت حملة إدانة دولية فارغة المضمون لتبرير موقفها من العدوان الثلاثي، وفي ذات الوقت استطاعت أن تحافظ على علاقاتها مع دول الخليج بقيادة المملكة العربية السعودية.

أما في الجهة الشرقية من الشرق الأوسط حيث بلاد فارس كان يحكمها رضا شاه الذي لم يكُنّ الودّ للولايات المتحدة، وحلفائها عبر تقديم

" ربما يعود السبب الأساس للصراع في الشرق الأوسط إلى أهمية موقعه، فقد أسند معظم المحللين والباحثين تلك الصراعات الدامية إلى الموقع الجيوسياسي للشرق الأوسط، ففي هذا المضمار بالتحديد قد يتبادر لأذهاننا سؤال: هل فعلاً سبب الصراع هو موقع الشرق الأوسط المهم وامتيازه بالثروات؟ إذ هنالك مناطق ذات أهمية تفوق الشرق الأوسط في أهميتها ولا نجد صراعاً فيها يماثل الصراع في الشرق الأوسط. "

الدعم لألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية. ففي عام ١٩٤١ قامت الولايات المتحدة بتقديم الدعم لمحمد رضا بهلوي ليقوم بانقلاب على والده رضا، ومكّنته في الحكم، وهو الذي لُقّب بشرطي الخليج، وكذلك لعبت في إجراء انقلاب عسكري لصالح محمد رضا شاه على محمد مصدق الذي تولى رئاسة الحكومة بالانتخاب في إيران عبر ما يدعى بالثورة البيضاء، فحدث الانقلاب بقيادة وإشراف الاستخبارات الأمريكية والبريطانية عام ١٩٥٣، وتمّ توطيد أركان حكم الشاه الإيراني محمد رضا بهلوي، وأضحت إيران تحكم بشكل غير مباشر من قبل الولايات المتحدة الامريكية التي مكنت قواعدها العسكرية في إيران على الحدود الشمالية في مواجهة الاتحاد السوفيتي.

أمّا من الجهة الشمالية للشرق الأوسط حيث تعتبر تركيا دولة استراتيجية في العالم عبر تحكمها بمضيق البحر الابيض المتوسط المُفضي إلى شرق القارة الأوربية، بالإضافة إلى وقوعها

على الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي القطب المناحر للولايات المتحدّة، وحلفائها استطاعت الولايات المتحدة من استجرار تركيا إلى حلقة حلفائها عبر بناء علاقات وقواعد أمريكية في تركيا بقيادة كمال أتاتورك الذي اصبح الحليف الثاني للولايات المتحدة بعد شاه إيران البهلوي، ولم ينل الاتحاد السوفيتي من الشرق المتوسط إلا بعض دويلات ضعيفة لم يقدم لها الاتحاد السوفيتي غير الشعارات، ولو تمهنا في العلاقات الدولية لقطبي العالم الممثلان في الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة نجد أنّ الاتحاد السوفيتي لم يقدم لحلفائه بالقدر الذي قدمته الولايات المتحدة الأمريكية من قوى عسكرية واقتصادية، ومازالت تلك النظرة طاغية على العلاقات الدولية للدولتين ـ الولايات المتحدة وروسيا "وريثة الاتحاد السوفيتي" بالمصداقية التي تتمتع بها علاقات الولايات المتحدة أكثر من المصداقية التي تتمتع بها روسيا على الرغم من أنّ العلاقات الدولية لدولتين سيان فكلاهما يقوم على المصلحة.

التركيبة الديموغرافية للشرق الأوسط

في الحقيقة يحتوي الشرق الأوسط على فسيفساء متنوعة من القوميات والديانات في تعدادها الكثير والقليل، والمتمعن في الصراع القومي والديني في الشرق الأوسط يجده بلغ أوجه في عهد ظهور الإسلام الذي رفع شعار « الدين عند الله هو الإسلام» واتخذ من هذا الشعار استراتيجية للحروب التي توجب عليه القيام بها ضد العالم كله تحت مسمى الجهاد في سبيل الله، واتخذ لها مسمى فتوحات، وكأن به يريد فتح أبواب أو مدن مغلقة في وجه الله.

التركيبة القومية للشرق الأوسط

تأتي القومية العربية في تشكيلة الشرق الأوسط في المرتبة الأولى وتليها القومية ألفارسية ثم القومية التركية والكردية واليهودية فالأرمنية فالشركسية، على الرغم من وجود اختلاف على اعتبار اليهودية ديناً أو قومية، ولكن إن بحثنا في مسمى اليهودية نجدها ذات تركيبة لغوية خاصة بغضّ النظر عن الجانب الديني فهناك عرب وكرد وشركس وفرس يدينون بالديانة اليهودية، ولا يهمنا الجانب القومي من إسرائيل بالقدر الديني أو السياسي.

التركيبة الدينية للشرق الأوسط

في الحقيقة يصعب حصر التركيبة الدينية لشعوب الشرق الأوسط نجد هناك ديانات متفرقة وقديمة منها من يتوغل إلى بداية ظهور الاديان على وجه البسيطة، وما زالت هناك طوائف تؤمن وتتبع تلك الديانات كالديانة الزردشتية والصابئة والمندية واليزيدية، ناهيك عن الطوائف والمذاهب التي نبعت من رحم الإسلام كالمذهب السني والمذهب الشيعي الذي ينقسم بدوره إلى عدد من المذاهب العلويين والبارسيين والاسماعيلية والاثني عشريين والزيدية.

سنتطرق بشكل عام إلى أهم الصراعات في الشرق الأوسط، إذ أن هناكّ بعض الكتاب يقومون بدراسة تفصيلية لكل جانب من جوانب الصراع في الشرق الأوسط سواء الصراع القومي أو الديني بشكل مفصل، لذلك سنكتفي بألقاء نظرة عامة على أهم الصراعات في الشرق الأوسط منها الصّراع:

١. القومي

٢. الصراع الديني

٣. الصراع السياسي

الصراع القومي في الشرق الأوسط

الحقيقة المرة نجدها في تاريخ الشرق الأوسط مطموسة ويبدو أن طمسها تم عنوة. فهناك شعوب عدة تمّت إبادتها ومحو بلادها من خارطة الشرق الأوسط' كالشعب الاشوري والكلداني والأرمني ...إلخ

غالبا لم يسلم شعب من شعوب الشرق الأوسط من محاولة الإبادة وطمس الهوية. فممارسات الإمبراطورية العثمانية على مرّ عدة قرون كانت تمارس وتحاول محو ثقافة الشعوب التي تقع تحت سيطرتها. وربما كان أسوأ تلك الممارسات ما تمّت ممارسته بحق الشعب الأرمني تارة بحجة الكفر وعدم الدخول في الإسلام. وتارّة بحجة أنّ الأرمن شعب كافر يقدّم العون للكفار من الروس. وقد مارس السلطان عبد الحميد العثماني أبشع أنواع الإبادة والتشريد بحق الشعب الأرمني. حتى أنّه لم يُبقِ على أرمنيّ وأحد ضمن الأراضي التركيّة. وجاء بعده كمال أتاتورك الذي سنّ قانوناً خاصّاً بالأرمن ومنع دخولهم في الأراضي التركيّة. تولّى من بعده أحفاده في العمل على ذات القانون. ورأيت بأمّ عيني عام ١٩٩١ أشخاصاً أرمن في سورية يقومون بتغيير كنيتهم ليتسنّى لهم الدخول إلى الأراضي التركية. فأغلب الكنايات الأرمنية تنتهي بياء وألف ونون كما هو ـ دمرجيان أو كشكشيان أو سركسيان ـ حدث وأراد أحد الاشخاص من قبيلة شمر في التسعينيات من القرن الماضي بالقيام بزيارة لتركيا وكانت كنيته عليان فمنعته السلطات التركيّة من دخول الأراضي التركيّة بحجّة أنه من أصول أرمنيّة.

إن أهمّ صراع قومي ظهر في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية وفي عهد تبلور الدولة القومية هو الصراع الكردي مع دول قومية ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية. ظهر الصراع بداية مع تشكل الدولة القومية في

"تأتي القومية العربية في تشكيلة الشرق الأوسط في المرتبة الأولى وتليها القومية ألفارسية ثم القومية التركية والكردية واليهودية فالأرمنية فالشركسية، على الرغم من وجود اختلاف على اعتبار اليهودية ديناً أو قومية، ولكن إن بحثنا في مسمى اليهودية نجدها ذات تركيبة لغوية خاصة بغض النظر عن الجانب الديني فهناك عرب وكرد وشركس وفرس يدينون بالديانة اليهودية."

الشرق الأوسط وانقسام كردستان ـ بلاد الكرد ـ بين دول عدة في الشرق الأوسط بين إيران التي كانت تسيطر على جزء من كردستان بموجب اتفاق بين الإمبراطورية الصفوية والعثمانية في اتفاقية قصر شيرين عام ١٩٣٩ وبموجب هذه المعادة تم ترسيم الحدود بين الدولتين التركية والإيرانية وتم اقتطاع جزء من كردستان لتصبح تحت سيطرة الإمبراطورية الصفوية. على يد كمال أتاتورك علماً أنّ الصراع الكرديّ ذو جذور عميقة في تاريخ الصراع القومي في الشرق الأوسط. لكنّه كان صراعاً ناعماً في عهد الإمبراطورية العثمانية التي منحت الكرد بعض الحقوق في تشكيل إمارات متفرّقة تقع ضمن سلطة الإمبراطورية العثمانية في العراق وتركيا. وكانت تستفيد من ذلك في الصراع مع الإمبراطورية الصفوية على حدودها الشرقية.

لكن الصراع الكردي تأجّج في عهد الدولة القومية التي بناها أتاتورك. وخاصة بعد

خذلان الكرد من الوعود في منحهم حقوقهم القومية كما خذلتهم الدول الأوربية المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، فقد وعدت الدول الأوربية الكرد بتشكيل دولة قومية لهم بموجب مؤتمر الصلح عام ١٩١٨ الذي انعقد لتقسيم تركة الإمبراطورية العثمانية وخسارتها في الحرب مع حليفتها ألمانيا، غير أنّ الدول الأوربية المنتصرة في الحرب العالمية الأولى تملّصت من وعودها للوفد الكردي المشارك في المؤتمر وخاصة بريطانيا التي كانت تحضّ الكرد على طلب الاستقلال عن الدولة التركية، وقد تعهد كمال أتاتورك لاحقاً عام ١٩٢٠ في اتفاقية لوزان الذي طلب من الوفد الكردي التحدّث في المؤتمر، لكن الوفد الكردي كانت مطالبه بموجب وعود أتاتورك ورئيس الوفد عصمت إينينو فكانت كلمة الوفد الكردي حادة وطالب رئيس الوفد الكردي حسين عوني بأن هذه البلاد للكرد والترك ومن حقهم وحدهم أن يحددوا مصيرها وأن الكرد لا يريدون الانفصال عن الدولة التركية، بعدها اضطرت الوفود المؤتمرة عن شطب مطالب الكرد وعدم ذكرهم في أي بند يخصهم، لكن كمال أتاتورك الذي ضمن دعم الغرب له والوقوف بجانبه قام بتأسيس الدولة التركية القومية ١٩٢٣ فاتجهت أنظاره إلى الكرد، وتملّص من وعوده لهم، في ذلك كانت ردت افعال الكرد ضد تركيا الكمالية في محاولة الانتفاضة في وجه تركيا الكمالية، فكانت البداية بقيام ثورة دينية حاول قادتها توسيع ساحتها لتشمل أجزاء من كردستان في سوريا، فكانت أبواب إيران الشاه شانية مغلقة تماماً في وجه الكرد وكذلك الكرد في الجزء الذي تمّ ضمه إلى العراق تحت سيطرة بريطانية التي حصلت على حصتها من اتفاقية سايكس بيكو، حاول الكرد في ذلك الجزء الذي تحتله بريطانية مع العراق المشاركة في مؤتمر الصلح عام ١٩١٨ أراد محمود البرزنجي إرسال وفد للمؤتمر لتمثيل الكرد، لكنّ السلطات البريطانية المستعمرة منعت الوفد من السفر والالتحاق بالمؤتمر، فحاول الكرد بقيادة الشيخ سعيد بيران الانتفاضة في وجه الدولة التركية التي انقلبت عليهم بقيادة كمال أتاتورك، لكنها كانت انتفاضة دينية لم تستقطب كل ألفئات والعشائر الكردية، وعلى إثرها قام أتاتورك بإصدار قانون توجلي الذي حاول بموجبه تهجير الكرد العلويين من ديرسم المكان العصيّ على القوات التركية، والعمل على توطينهم في أراضٍ سهلة تسهل السيطرة عليهم، على إثرها اندلعت ثورة ديرسم التي راح ضحيتها ما يقارب ٤٠ ألف كردي على يد القوات التركية وتم تهجير آلاف العائلات وحرق القرى واستباحة الاعراض.

الحقيقة كان فشل ثورة ديرسم له اثاره السلبية على الشعب الكردي من خلال ما رآه من مذابح ومجازر حتى أن القيادات التركية صرحت على إثرها بأنها طمرت الشعب الكردي في ديرسم و صبت فوقه الإسمنت المسلّح وهي ضامنة عدم ظهوره مرّة أخرى، ممّا جعل الشعب الكردي يائساً من أي محاولة للنهوض في وجه الدولة التركيّة، استمر الحال على ما هو عليه حتى بداية الثمانينيات من القرن الماضي حين دبت بين المجتمع التركي الأفكار اليسارية وخاصة بين الطلبة في الجامعات فتأثر بها الطلبة الكرد القادمون من الشرق حيث الفقر والجهل المتفشي بين المجتمع الكردي، وكان ذلك بدراية ومعرفة من الحكومة التركيّة التي راحت تنعت الكرد باسم اتراك الجبال، في تلك الفترة ظهرت مجموعة من الطلبة الكرد فأسسوا حزب العمال الكردستانيّ الذي تزامنت ولادته مع الانقلابات العسكرية في تركيا، فكانت بداية صراع ثوري تبناه حزب العمال الكردستانيّ، والحقيقة أنّ هذا الصراع أنهك الدولة التركية من الناحية الأمنية والاقتصادية وخلق شرخاً بين المجتمع التركي والكردي، وجعل الدولة التركية في حالة رديئة اقتصاديّاً وأمنيّاً واجتماعيّاً، واستمر الصراع حتى عام ٢٠١٠ حين قامت الحكومة التركية بقيادة الرئيس أردوغان بطرح عملية السلام بين الحكومة

التركيّة وحزب العمال الكردستانيّ، وكان انعكاس تلك العملية على العملية الأمنية والاقتصادية واضحاً وجليّاً، لكن سرعان ما عاد الصراع في نهاية عام ٢٠١٥ بين الحكومة التركيّة وحزب العمال الكردستانيّ، فقد بلغت مصاريف الدولة التركيّة على ذلك الصراع ما يقارب ٤٥٠ مليار دولار ومقتل أكثر من ٤٠ ألفا.

ولابد من معرفة التجليات لذلك الصراع القومي بين الكرد والترك، فهو من ناحية يخلق مجتمع مهلهل ضمن الدولة الواحدة ما يجعل المجتمع يفقد الأمان والاستقرار وبالتالي ينعكس ذلك بالدرجة الأولى على عملية الإنتاج في الدولة والتصنيع وكذلك على عملية الاستيراد والتصدير والاستثمار، فمن المعلوم أنّ الشركات الاستثمارية لا تقامر برؤوس أموالها في أماكن فيها نزاع، حتى أنّ التجار المحليين يقومون بإيداع أموالهم خارج البنوك الوطنية، ما يضعف القيمة النقدية للعملة الوطنية، ناهيك عن السياحة التي تعتبر مورد للعملات الصعبة بدون مقابل فهي تقل وتكاد تنعدم في أي دولة تشهد صراعاً عسكريّاً أو اجتماعيّاً.

ومن المعروف أنّ المواطن لو خير بين الحرية والأمان فسيختار الأمان مقابل الحرية فالمجتمع الذي يفتقد الأمن لا يمكن أن نجد فيه حرية.

بالإضافة إلى تأثير ذلك على العلاقات الدولية بشكل مباشر، فعظم الدول التي تتحفظ على انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربي تتخذ من قضية الكرد في تركيا وتعاملها ألفج والعنصري مع تلك القضية اسبابا من عدم الموافقة على انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربي.

كذلك معظم الدول تتعامل مع تركيا على حقيقتها التي تتظاهر بمظهر الديمقراطية وفي باطنها هي دولة عنصرية وبالتالي تتجنب العلاقات التجارية معها.

كذلك الشرح الذي يحدث من جراء الصراع الكردي التركي يخلق مجتمع متشرذم وغير متماسك ما يسهل عملية التدخل الدولي المباشر أو غير المباشر في الشؤون الداخلية للدولة عبر الوقوف إلى جانب قومية على حساب القومية الأخرى.

كل تلك الاسباب تكمن في الصراع القومي ويمكن أن يقاس على جميع الدول التي تشهد صراعاً قوميّاً.

الصراع الديني

إنّ المتمعّن في الصراع الديني في الشرق الأوسط يكاد يرى في هذا الصراع صراعاً هزليّاً، فهو ينحصر غالباً في المذاهب المنشطرة عن الإسلام وخاصة المذهب الشيعي والسني، فالشيعة يقولون بأن السنة هم خارجون عن الشريعة الإسلامية، وبالتالي الشيعة هم الأصل، لكن السنّة يرون العكس تماما فهم على قناعة تامة بأن الشيعة هم من خرج عن الملة وانشطر عن الشريعة الإسلامية، وحقيقة الصراع تعود إلى الصراع بين الشيعة والسنّة حول أمر الخلافة من بعد وفاة الرسول الكريم (ص) فالشيعة يرون في أحقّيّة الخلافة من بعد الرسول للإمام علي كرم الله وجهه، وأنّ الخلافة تم نزعها عنوة من الإمام علي بمؤامرة من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأبي بكر، والبقية في مؤامرة تدعى بيعة السقيفة، والحقيقة أن الصراع الشيعي السني لا زال يُغزل على أساس تلك الخلافة، والخلاف مستمر حتى يومنا هذا، فالشيعة يطالبون بعودة الخلافة إلى آل البيت الذين هم من سلالة الرسول الكريم من بناته، لكنّ السنة يرون في خلافة الرسول المتسلسلة من الخلفاء الراشدين صحة لا لبس فيها، والباحث في هذا الخلاف يجد فيه استحالة الحل كونه خلاف على معضلة ماضية لا يمكن العودة إليها، وإيجاد الحل لها.

إنّ المتمعن في هذا الأمر يرى العجائب والغراب في تشعّبات هذا الصراع، فكانت بدايته

”لا يوجد صراع عربي كردي في سورية بالمعنى الحقيقي، فمطالب الكرد في سورية لم تتعدِ المطالب السياسية ولم تطالب بتشكيل دولة كردية، فنجد العزف على هذا الوتر مستمراً، من قبل أطراف دولية عدة لتحويل الصراع من صراع مذهبي ديني إلى صراع قومي يسهل الطريق أمام دول ذات أطماع استعمارية في سورية، وكذلك العراق، فإيران وجدت لها ساحة خالية وواسعة لتنشيط الصراع السني الشيعي في العراق.“

محصورة بين القومية العربية، وسرعان ما تحول إلى صراع ديني سياسي بين القومية العربية والفارسية التي يدين السواد الأعظم من تلك القومية بالمذهب الشيعي الذي أجبر الشعب الفارسي في الدخول فيه بحد السيف على يد إسماعيل الصفوي، وبعدها بزغت من هذا المذهب مذاهب عدة فتحولت الدولة الإيرانية إلى نبراس للمذهب الشيعي، فتحول الصراع المذهبي إلى صراع قومي' فنجد الدولة الإيرانية تقاتل وتحارب وتتنازع مع جميع الدول العربية المحيطة بها تحت ذريعة المذهب الشيعي وترى في ذلك الصراع صراعاً جهاديّاً باسم الإسلام وإمام الإسلام المغدور به، وراحت الدولة الإيرانية تحاول لمّ شمل الشيعة في الدول المتفرقة على اساس سياسي كما حصل في لبنان وحزب الله والسودان والعراق وتشكيل خلايا سرية في بقية الدول كما في المملكة العربية السعودية والإمارات العربية والبحرين وقطر، فتحول الصراع من صراع ديني مذهبي إلى صراع سياسي فتح الأبواب للتدخلات الخارجية أمام الدول الطامعة في عدم إيجاد الاستقرار والأمان في الشرق الأوسط في الإبقاء على ذلك الصراع وتنشيطه في كل مرة، فالصراع في العراق كانت بدايته صراعاً بين الشيعة والسنة، فصدام حسين الذي يمثل السنة كان بعبعاً يقف في وجه الشيعة ويحاربهم على الملأ، وهم بدورهم كانوا موالين لإيران التي يرون فيها شعلة للمذهب الشيعي، وراحت إيران تنظم وتحرض الشيعة في بلد لا تجد فيه الموالاة السياسية لنظامها السياسي الذي ترى في خلافة الدولة الإسلامية التي يجب أن تقتاد بها بقية الدول المسلمة، ما خلق في تلك الدول صراعات مذهبية سياسية أدّت إلى عدم الاستقرار وانعدام الأمان، وحقيقة الصراع هو عبارة عن صراع جيوسياسي يخفي أطماع سيادة دولية على بقية الدول، فتحوّلت ورقة الخلاف الشيعي السني في الشرق الأوسط إلى صراع سياسي بين المملكة العربية السعودية الداعمة للمذهب السنّي وإيران الداعمة للمذهب الشيعي، فتحوّل الصراع من صراع إقليمي إلى صراع دولي، لكل صراع قطبه الداعم من الدول العظمى فنجد دولاً أضحت ساحة صراع مذهبي كما هو عليه العراق وسورية، فالصراع في سورية ينتهج شقين الشق الأول هو الصراع الأساسي الذي يتمحور حول الصراع العلوي السني الذي سمح لبعض الدول الإقليمية بالتدخل، والاستفادة من هذا الصراع لتحقيق مصالح بعض الدول الإقليمية، فتركيا التي تجد في نفسها الوريث الشرعي للخلافة الإسلامية وقفت مع السنة ضد العلويين الممثلين في النظام الحاكم في سورية ونجد إيران وقفت مع العلوين في سورية ضد الأحداث السورية التي بدأت على شكل مطالب سياسية شعبية، لكنها سرعان ما خرجت من مسارها الحقيقي وتحولت إلى صراع ديني مذهبي تتلاعب به رياح المصالح الدولية والاقليمية، والغريب في الأمر أنّ هذا الصراع يحاول أن يطمر حقيقته تحت ذرائع

"في الجهة الشرقية من الشرق الأوسط حيث بلاد فارس كان يحكمها رضا شاه الذي لم يكن الودّ للولايات المتحدة، وحلفائها عبر تقديم الدعم لألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية. ففي عام ١٩٤١ قامت الولايات المتحدة بتقديم الدعم لمحمد رضا بهلوي ليقوم بانقلاب على والده رضا، ومكّنته في الحكم، وقد لُقّب بشرطي الخليج، وكذلك لعبت في إجراء انقلاب عسكري"

متعددة منها ذريعة الصراع الكردي العربي في سورية. وحقيقة الأمر لا يوجد صراع عربي كردي في سورية بالمعنى الحقيقي. فمطالب الكرد في سورية لم تتعدَ المطالب السياسية ولم تطالب بتشكيل دولة كردية. فنجد العزف على هذا الوتر مستمراً، من قبل أطراف دولية عدة لتحويل الصراع من صراع مذهبي ديني إلى صراع قومي يُسهّل الطريق أمام دول ذات أطماع استعمارية في سورية. وكذلك العراق. فإيران وجدت لها ساحة خالية وواسعة لتنشيط الصراع السني الشيعي في العراق. ووجدت في العراق بوابةً للعبور إلى دول الجوار. وتنشيط ذلك الصراع كما في لبنان التي تحكم بشكل فعليّ من قبل المذهب الشيعي المتمثل في حزب الله الذي يداري المصالح الإيرانية بشكل علني أكثر من المصالح اللبنانية. فتشكلت لدينا فئة في داخل بلدان الشرق الأوسط هي فئة ذات طابع مذهبي بعيدة كل البعد عن الوطنية. فالشيعة في لبنان ارتباطهم بإيران أكبر من ارتباطهم بالإسلام وبالدولة اللبنانية وكذلك في العراق وبقية الدول التي تحتوي على الصرعات المذهبية. والكل يعلم بأن الشعب الإيراني يموت جوعا بينما حكومة الشيعة تصرف مليارات الدولارات على صراعها مع السنة في الدول الاقليمية لخلق مجتمع مهلهل ليس له ولاء لوطنه بل ولاؤه لمذهبه الشيعي والدول الرائدة لذلك المذهب.

الحقيقة إنّ الصراع القومي أو السياسي يمكن إيجاد الحل له على المدى القريب. لكنّ الصراع الديني والمذهبي. يصعب إيجاد الحلول له كونه يتعلق بوعي المجتمع وعقيدته خاصة في الظروف الدولية التي تبحث عن أي ثغرة لتعبر منها إلى داخل تلك الدول وتؤجّج الصراع لتحقيق مصالح خاصة بدول على حساب دول أخرى.

الصراع السياسي

ربما يعتبر أهمّ صراع سياسي في تاريخ الشرق الأوسط هو الصراع العربي الإسرائيلي. فقد شهد هذا الصراع حروباً عديدة بين دول عربية وإسرائيل كانت الدول العربية الطرف الخاسر فيها.

وربما إن عدنا إلى التاريخ نجد أن اقتراحات عدة تم تقديمها لحل هذا النزاع لكن الأطراف الدولية لم تؤيد هذه الحلول. وربما يأتي أحدهم ويقول لأن الشعب الفلسطيني دائما كان الخاسر في هذه الحلول. لكن الحقيقة غير ذلك فالشعب الإسرائيلي ليس أفضل حالاً من الفلسطيني. فالحرب هي الحرب بالنسبة للمنتصر والخاسر.

فالفلسطيني يشعر بعدم الأمان كذلك الإسرائيليّ. فلابد من وضع حل جذري لتلك المعضلة. فالحل الذي قدم عام ١٩٤٧ من قبل الأمم المتحدة بموجب القرار ١٩٤ والذي يتضمن تقسيم فلسطين بين الفلسطينيين والإسرائيليين يقتضي منح الإسرائيليين

مساحة تقارب ٥٥ بالمئة من مساحة فلسطين لكن الهيئة العليا العربية رفضت هذا الحل وبعدها جاء القرار رقم ٢٤٢ عام ١٩٦٧ والذي اقترح التقسيم أيضاً. لكن التطبيع المصري عام ١٩٨٢ وتلاه الأردني عام ١٩٨٨ جعل المنظمات الفلسطينية في موقف ضعيف حيث عادت عام ١٩٩٤، وتمّ التفاوض على القرار رقم ٢٤٢ القاضي بمنح الفلسطينيين مساحة تقارب على ٢٢ بالمئة من مساحة فلسطين، ودخلت ضمن المفاوضات السوريّة لاسترجاع الجولان مقابل السلام مع إسرائيل، ومن المؤسف أنّ جميع الحكومات العربية دخلت في عقد سلام دائم مع إسرائيل، وتم الاعتراف بإسرائيل كدولة ولم يبق في ساحة الصراع إلا الفلسطينيون وحدهم مع بقية دول لا حول ولا قوة لها، ونجد أنّ اتفاقية أوسلو لم تنجح حتّى؛ بسبب الصراع الذي تبنته حركة حماس الإسلامية التي تتبنى المقاومة والحركة المسلحة لتحرير فلسطين، وهي حركة ذات أصول إسلامية تأسست بنهج الإخوان المسلمين، وتحوّلت إلى منظمة مدعومة من قبل دول تبحث لها عن مصالح مع إسرائيل، كما هي عليه تركيا وإيران، فتركيا تقدم الدعم لحركة حماس حين تشعر بضائقة من قبل الإسرائيليين، وكذلك إيران وجدت في حركة حماس ما يجعلها ورقة رابحة بيدها لمحاربة إسرائيل، والحقيقة أنّ معظم الحكومات العربية وجدت في القضية ألفلسطينية شماعة تشجب عليها ما ترى تحقيقه في الداخل ضد شعوبها، فجميع المعارضات العربية في جميع الدول العربية تهمتها التعامل مع الصهيونية المتمثلة في إسرائيل.ومهما طال الصراع أو قصر فلابُدّ أن نعلم بأن جميع الأطراف ستجتمع على طاولة واحدة سواء كان الصراع قوميّاً أو سياسيّاً إلا أنّ الصراع الديني لا يفيد معه إلا الوعي المجتمعي، فالصراع السياسي على الأغلب هو صراع سلطات بين دول وكذلك الصراع القومي هو صراع بين أحزاب وسلطات، ويمكن إيجاد الحلول لتلك الصراعات بسهولة، لكنّ الصراع الديني يعتبر صراعاً عقائديّاً يصعب حله دون وعي شعبي ومجتمعي يعي معنى العقيدة والدين والعبادة وكل تلك الصراعات في النهاية تتطلب إرادة دولية تتفق على وضع حد ملزم لتلك الصراعات وربما الإرادة الدولية هي من لا تريد وضع الحلول والإبقاء على الصراع مستمراً لتحقيق مصالح مادية، ففي النتيجة تعتبر الدول المحتوية على الصراع هي عبارة عن سوق استثمار وسوق تصريف لتلك الدول العظمى.

تداعيات تلك الصراعات على الشرق الأوسط

تلك الصراعات لابد لها من تداعيات على الشرق الأوسط فالتقارب الحضاري والثقافي بين دول الشرق الأوسط يجعلها مهيأة لعقد تحالفات قوية بينها لكن تلك الصراعات جعلتها دول متباعدة بين بعضها البعض ومتصارعة، ويضاف على ذلك أنّ تلك الدول باتت تحتوي على مجتمع مهلهل، ومتفكك ذي بنية اجتماعية متصارعة في ما بينها، بالإضافة إلى خلق مجتمع لا وطني ولاؤه لمذهبه أو قوميته قبل وطنه، ما يسهل دخول دول الجوار إلى تلك الصراعات واستغلالها لتحقيق مصالح دولية ويضاف إلى كل ذلك إضعاف الدولة من ناحية الإنتاج والتصنيع والانشغال بالصراعات وفقدان الأمان والاستقرار في تلك الدول وبالتالي تحويل تلك الدول إلى سوق لتصريف السلاح والبضائع للدول المستفيدة.

أزمة المياه في منطقة الشرق الأوسط

د. محمد عنبر
مصر

تمهيد:

يواجه السكان في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا أزمة خطيرة تتمثل في ندرة الموارد المائية، والتي من المتوقع أن تؤدي إلى أزمة مائية حادة، يعقبها مباشرة أزمة غذائية تضرب شعوب المنطقة، مما سيخلف مجاعات واسعة النطاق تأتي على الأخضر واليابس.

علاوة على ذلك، من المرجح أن يزيد هذا الضغط الإضافي على أكثر الفئات فقراً في المنطقة فضلاً عن فوضى عارمة في شتى مجالات الحياة، ربما يتبعها صراعات وأعمال عنف واسعة النطاق تؤدى إلى تفاقم أزمات كبيرة كالنزوح واللجوء.

ما تأثيرات نقص المياه على بلدان الشرق الأوسط؟ وهل من الممكن أن تشهد هذه المنطقة المتوترة أصلاً حروباً تخص المياه؟

يعيش نحو ٦٠٪ من سكان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مناطق شديدة الإجهاد المائي، حيث تستمر معدلات تدهور الأراضي الزراعية، والتي أخرجت حسب أحدث التقارير الصادرة عن منظمة الفاو حوالي ٨,٣ مليون هكتار من الأراضي الزراعية في عام ٢٠٢٠، وقد بلغ متوسط وفرة المياه في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ١٢٠٠ متر مكعب سنوياً فقط.

وعلى الرغم من اختلاف الظروف بين دول المنطقة، فإن معظم السكان يواجهون خطر وجودي يتمثل في ندرة المياه.

حيث تعتبر منطقة الشرق الأوسط من أكثر مناطق العالم التي تشهد إجهاداً مائياً، ففي اليمن مثلاً ووفقا لتقديرات الأمم المتحدة عام ٢٠٢٠ يبلغ متوسط نصيب الفرد بها من المياه النقية ١٩٨ متر مكعب.

وقد تفاقمت أزمة المياه في المنطقة خلال السنوات الأخيرة حتى شهدت هبوط متوسط في نسبة توفير المياه بمقدار ٢٥٪، ومن المحتمل أن يتخطى متوسط نصيب الفرد في المياه بالكاد فوق ٥٠٠ متر مكعب بحلول عام ٢٠٢٥.

وفي نفس السياق بلغ معدل الإجهاد المائي في العراق ٣,٧ من ٥ وفق مؤشر الإجهاد المائي، لتصبح واحدة من البلدان المُصنفة بأن لديها "خطورة عالية" فيما يتعلق بندرة المياه، حيث يتوقع المؤشر العالمي أنه بحلول عام ٢٠٤٠ سيجف نهرا دجلة والفرات تمامًا، وبالتالي ستعاني العراق من الجفاف والعطش.

والمعهد الدولي لإدارة المياه يحذر من أنّ التغييرات المناخية في منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط، ستتسبب في مزيد من الإجهاد المائي لتلك المنطقة، لذلك، وفي حين أن ندرة المياه ليست قضية جديدة، يجب أن يولى المجتمع الدولي المزيد من الاهتمام بها حيث تشير العديد من الهيئات الدولية إلى أن هذه الأزمة من المرجح أن تسوء، خاصة إذا لم يتم اتخاذ إجراءات سريعة لتحسين الوضع.

تؤكد التقارير الأولية التي ينشرها البنك الدولي أن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تعتبر من أكثر المناطق في العالم توتراً، فيما يخص الاستخدام غير المستدام للمياه، فحوالي ٨٢٪ من المياه بتلك المنطقة لا يُستفاد منها بالشكل الفعال المؤثر، بالرغم من زيادة الطلب على المياه وضعف العرض، كما أنّه من الممكن أن تشهد المنطقة أكبر خسائر اقتصادية متوقعة من ندرة المياه المرتبط بالمناخ، والتي تقدر بحوالي ٦–١٤٪ من إجمالي الناتج المحلي بحلول ٢٠٥٠، ولا تساوي إنتاجية المياه الإجمالية في المنطقة إلا نحو نصف المتوسط العالمي، كما يهدد المنطقة أزمات الفيضانات والجفاف بشكل ملحوظ خاصة مناطق الشمال الإفريقي لندرة موارد المياه بها.

ـ هل يمكن لبلدان الشرق الأوسط أن تتعاون؟

في ضوء المخاوف من حصول أزمات في الغذاء والمياه وحسب المؤشرات الحقيقية على أرض الواقع هناك ضرورة ملحة تترتب على دول المنطقة للتعاون لمواجهة تلك الأزمة الخطيرة، حيث أن بلدان المنطقة تشترك في مكمن مياه جوفية واحد على الأقل، مما يبرز أهمية الإدارة التعاونية لموارد المياه المشتركة، وهو ما يشير أيضاً إلى أن الصراعات والنزاعات المحتمل أن تشهدها المنطقة سيكون السبب الرئيسي لقيامها هو السيطرة على الموارد المائية والحصول على المياه.

ـ الهدر وسوء الاستخدام:

يعتبر إهدار المياه وسوء استخدامها من أكبر المسببات لندرة المياه بالمنطقة، فثقافة ترشيد استهلاك المياه قد تغيب عند سكان منطقة الشرق الأوسط، ومن ثم، وفى محاولة لتخفيف آزمة المياه في المستقبل.

لسوء الحظ، وبالتوازي مع الزيادة الهائلة في عدد السكان خلال نفس الفترة، تشير مواقف

الحكومات الإقليمية الحالية تجاه القضية إلى احتمال زيادة اندلاع "حروب المياه" في المنطقة في المستقبل القريب. ويتجلى ذلك في الأزمة المستمرة بين مصر والسودان من جانب وأثيوبيا من جانب آخر بسبب بناء الأخيرة لسد النهضة، وعدم الوصول لتسوية مع طرفي النزاع بشأن قواعد ملء السد.

أما في ليبيا فقد انخفض مخزون المياه الصالحة للشرب من حوالي ١٤٩ إلي ١٠١ قناة توزيع مياه نتيجة تعرضها للتدمير بفعل التوترات الأمنية، مما جعل الأمم المتحدة تحذر من استخدام المياه كسلاح للصراع بين الأطراف المتقاتلة هناك.

تعتبر المياه من أكثر الاحتياجات الإنسانية الأساسية، وقد يؤدى ندرتها المنهجة إلى عواقب اجتماعية واقتصادية وسياسية وخيمة، فضلاً عن تداعيات أمنية خطيرة للغاية. علاوة على ذلك، صرحت العديد من المؤسسات من أن السبب الرئيسي وراء موجات الهجرة في المنطقة يعود بشكل مباشر أو غير مباشر لندرة المياه، حيث أن الفقر والصراع يمثلان المحرك الأساسي وراء الهجرة.

ـ منظمة الأغذية والزراعة التابع للأمم المتحدة الفاو وأزمة المياه:

في تقارير عديدة قامت بها منظمة "الفاو" نوهت من خلالها إلى أن ندرة المياه سيتسبب بخسائر اقتصادية تقدر بـ ٦ إلى ١٤ ٪ من الناتج المحلي الإجمالي لدول المنطقة خلال عام ٢٠٥٠، وهي أعلى المعدلات حول العالم.

من الضروري بمكان أن نتعرف مردود تلك الأزمة وأثرها على العديد من مناطق العالم الأخرى.

ـ العلاقة بين المياه والغذاء والاستقرار:

من المعروف أنه توجد هناك علاقة قوية بين ندرة المياه وعدم الاستقرار الغذائي والصناعي والمعيشي والهجرة، وأيضاً الصراعات والنزاعات.

"يواجه السكان في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا أزمة خطيرة تتمثل في ندرة الموارد المائية، والتي من المتوقع أن تؤدي إلى أزمة مائية حادة، يعقبها مباشرة أزمة غذائية تضرب شعوب المنطقة، مما سيخلف مجاعات واسعة النطاق تأتي على الأخضر واليابس، علاوة على ذلك، من المرجح أن يزيد هذا الضغط الإضافي على أكثر الفئات فقراً في المنطقة فضلاً عن فوضى عارمة في شتى مجالات الحياة."

لذلك فأن إدارة المياه بطريقة أكثر كفاءة يمكنها أن تحد من الهجرة والصراعات الإقليمية التي ربما يتولد عنها أعمال عنف، ويعتبر استقرار منطقة الشرق الأوسط وعدم حدوث موجات جديدة من اللاجئين والنازحين بسبب أزمة المياه التي من المحتمل أن تكون أشد وضراوة من الأزمات الأمنية بالمنطقة لأنها ستطال أغلب السكان وتؤثر على جميع أمور حياتهم بصفة شبه كاملة، فبدون المياه ستتوقف الحياة ويضطر السكان للبحث عن مناطق أخرى للعيش فيها، وهو ما سيزيد من أعداد اللاجئين بالمنطقة والتي وصلت إلى أكثر من ١٠ مليون لاجئ، كما أنّ الأزمات والصراعات وأعمال العنف خاصة في الدول النفطية مثل سوريا والعراق وليبيا التي ستهدد تلك الأزمة استمرار تدفق النفط منها، وربما تتسبب في ارتفاع أسعاره لمعدلات قياسية، ويمكن أن يستغل البعض أزمة المياه لإشعال مزيد من التوتر ببعض دول المنطقة التي هي في الأساس مليئة بالنزاعات.

- الحق الأساسي في الحصول على مياه الشرب الصحية، والمساهمة في ابتكار وسائل للحفاظ على المصادر المائية الحالية وترشيد استهلاكها وتنميتها، سيكون له أثر إيجابي على مصالح الدول الفاعلة في ملفات الدول التي تعاني من النزاعات وعدم الاستقرار وأيضا سيوفر مردود واضح في تنمية العلاقات مع شعوب المنطقة لأن قضية المياه تمثل أحد أبرز المؤثرات على حياة السكان وتوجهاتهم الحالية والمستقبلية.

حرب المياه والغذاء

يتضمن تعبير «حرب المياه» في منطقة الشرق الأوسط وتحديداً تركيا وسوريا وإيران والعراق استعمال المياه سلاحاً من أجل السيطرة على المنابع، أو تحويل المياه سلعة تجارية تتحكم فيها دول المنبع القوية لأهداف سياسية، ففي إيران، فإن المسألة لا تقل تعقيداً عن الدول المجاورة لها شرقاً، فمن جهة، فإن السدود التي أقامتها الحكومات الإيرانية تعتبر ذراعاً رئيسية في البرنامج النووي، ومن جهة أخرى، فإن السلطات استخدمت السدود ومشروعات المياه وسيلة لـ«الهندسة الاجتماعية»؛ إذ أنّها نقلت المياه من مناطق الأقليات إلى «العصب الفارسي»، كما أن مسؤولين إيرانيين باتوا يحذرون من «الإفلاس المائي» الذي يضاف إلى التحديات التي تواجهها طهران في الفترة الأخيرة.

ـ في تركيا حيث أصل ومنشأ الأزمة المائية والغذائية:

يمكن القول إن مسألة الغذاء ومتطلباتها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بكمية المياه المتوافرة، وتعتبر ذات أهمية حيوية، وعندما تخفت أصوات الرصاص والحرب في المنطقة يطغى نوع من الصراع على المياه في حوضي الفرات ودجلة، حيث ويكتسب النزاع السوري - التركي - العراقي حول مياه نهري دجلة والفرات بعداً دولياً، وقد تتحول المياه إلى سلاح رغم أن احتمال مواجهة عسكرية هي شبه معدومة، ويصبح خزان سد أتاتورك الضخم في تركيا سلاحاً بيد الحكومات التي لا تعير اهتماماً إلى الشعوب، للضغط على كل من سوريا والعراق.

- تدعي تركيا مبدأ استخدام المياه وفقاً لدراسات ميدانية لمشروعات الري في البلدان الثلاثة، وأن تعتمد هذه الدراسات على جدوى اقتصادية وفنية للمشروعات القائمة والمستقبلية، ووفقاً لمبدأ الاستعمال للاستخدام الأمثل للمياه، تركيا تعلن أن أراضيها خصبة وذات مردود اقتصادي أعلى كثيراً من مردود أراضي سوريا والعراق، وهذا يعني استثناء الأراضي السورية والعراقية من المشروعات الزراعية بحجة عدم خصوبة كثير منها والاعتماد على المشروعات الزراعية التركية، حيث تستطيع تركيا إنتاج محصولين أو ثلاثة سنوياً، لكن سوريا والعراق عارضتا الخطة التركية بدراسة جدوى اقتصادية لمشروعات قائمة وتدعو إلى تحديد الأراضي القابلة للري، وكيف يمكن الاستغناء عن مشروعات مائية بلغت قيمتها مليارات الدولارات.

ـ السياسة التركية تجاه الأنهار الدولية والمياه:

تعتمد السياسة التركية في حل مشكلاتها المائية مع جيرانها على مرتكزين، هما:

- فرض سياسة الأمر الواقع، وعامل الزمن؛ فتركيا ماضية في إكمال مشاريعها في استغلال مياه نهري الفرات ودجلة وإقامة مجموعة كبيرة من المشاريع بلغ ١٩ سد وأكثر من ٢٥ مشروع لتوليد الطاقة الكهرومائية، حيث اتبعت تركيا حتى بداية منذ سبعينات القرن الماضي سياسة مائية غامضة لمشروعات ري عملاقة أخفتها عن جيرانها لعدم وجود استراتيجية زراعية سورية – عراقية، واقتناص الفرص، مستغلة الخلافات السياسية بين العراق – وسوريا للحصول على أكبر كمية من مياه الفرات، تارة تزعم أنّ السوريين يرفضون التباحث مع العراقيين، وتارة أخرى تدّعي أن سوريا ستحتفظ بالمياه الإضافية

إذا خضعت تركيا لمطالب العراق وحصصه المائية، ذلك بفرض تركيا وإسرائيل استراتيجية مائية على المنطقة تحصل فيها الدولتان على أقصى ما يمكن من المياه.

لكنّ السياسة المائية التركية تحتوي على تناقضات جوهرية من حيث مضمونها بعدم وجود فائض مائي فحسب، بل تتعارض بوجود فائض مائي تركي، والتعاون الإسرائيلي – التركي سابقاً في مجال المياه ذو مضمون اقتصادي بعد أن طرح الأتراك فكرة الماء سلعةً اقتصاديةً قابلةً للبيع يمكن مقارنتها بالغاز السوري من خلال فكرة تعاون إقليمي، وذلك من خلال استثمار الدول العربية الغنية أموالها في إقامة منشآت ضخمة ومن خلال أنابيب السلام التي تمر عبر سوريا إلى إسرائيل وإلى دول أخرى، حيث اشترت إسرائيل كميات من المياه التركية تم نقلها بعبوات بلاستيكية تقطرها السفن، وحاولت تركيا إثارة أحقيتها بالتصرف في مياه دجلة والفرات أسوة بالدول النفطية التي تملك حق التصرف بثرواتها النفطية؛ كون مياه هذين النهرين مصدراً طبيعياً خاصاً بتركيا عابرين للحدود الدولية وليسا نهرين دوليين، وأن حوضي دجلة والفرات حوض واحد، وإن لتركيا حق التصرف بمياه النهرين ضمن حدودها، وفي حفل تدشين سد أتاتورك قال الرئيس التركي السابق سليمان ديميريل، إنّ «ما يعود لتركيا من مجاري مياه الفرات ودجلة وروافدها هو تركي،... نحن لا نقول لسوريا والعراق إننا نشاركهما مواردهما النفطية... ولا يحق لهما القول: - إنّهما يشاركاننا مواردنا المائية»، ولا يخفي بعض الأتراك رأيهم بأن تركيا إذا استطاعت السيطرة على صنبور المياه فإنها تستطيع فرض سياسة شرق أوسطية، وقد حدث توتر في العلاقات بين البلدين على توزيع المياه نتيجة انتشار وتعبئة خزاني بحيرة الطبقة والحبانية في سوريا والعراق.

موارد مائية أخرى:

أيضاً من خلال بحثنا هذا نستطيع القول إن هناك روافد مائية أخرى قامت تركيا بقطعها وكانت

"دون المياه ستزداد أعداد اللاجئين بالمنطقة، وقد وصلت إلى أكثر من ١٠ مليون لاجئ، فالأزمات والصراعات وأعمال العنف خاصة في الدول النفطية مثل سوريا والعراق وليبيا التي ستهدد تلك الأزمة استمرار تدفق النفط منها، وربما تتسبب في ارتفاع أسعاره لمعدلات قياسية، ويمكن أن يستغل البعض أزمة المياه لإشعال مزيد من التوتر ببعض دول المنطقة التي هي في الأساس مليئة بالنزاعات."

تشكل موارد مياه الشرب الأساسية لبعض المدن مثل حلب السورية حيث كان نهر قويق الذي ينبع من تركيا في فترة الأربعينات، وقام الأتراك بقطع جريان النهر جراء إقامة مشروعات زراعية، كذلك قامت الحكومات السورية في ذلك الوقت بإقامة محطة ضخ من نهر الفرات لجر المياه إلى حلب، فإنّ ما حصل لنهر قويق ينبع في تركيا، قد تكون له دلالته المستقبلية على الفرات، حيث انقطعت مياه الشرب عن سكان مدينة حلب عندما حولت السلطات التركية مجراه في أوائل الخمسينات من هذا القرن؛ مما دفع السلطات السورية آنذاك لضخ مياه الفرات عبر أقنية لمدينة حلب.

ويصرّ السوريون على تطبيق المفهوم القانوني الدولي بأن الفرات نهر دولي وليس نهراً عابراً للحدود من حيث شروط التقاسم لنسب استغلال المياه، ويستندون إلى مبدأ السيادة عند بحث مسألة المياه العربية والسورية.

- وهناك نهر العاصي، فلا يخفى على أحد أن مصبه في لواء إسكندرون، ولا تزال سوريا

تتحفظ على ضمه لتركيا، بالتالي، فمشكلة مياه العاصي ذات صبغة سياسية أكثر منها مائية؛ إذ تهدف تركيا من وراء عقد هذه الاتفاقية المتضمنة توزيع مياه العاصي إلى اعتراف سوري رسمي بالسيادة التركية على منطقة إسكندرون.

وترتكز سوريا في شرعية مطالبتها باستعمال مياه الفرات على تقدير حاجة المنشآت المائية القادمة أو التي قيد التنفيذ، أو المخطط لتنفيذها في البلدان الثلاثة بوساطة لجان فنية مشتركة تتعاون فيما بينها، وأن يشارك الجميع في الأعباء إذا حدث شح في المياه بحيث يتحمل كل من الدول الثلاث نصيبه، ولا تعترض سوريا بصورة مبدئية على حق تركيا في إقامة المنشآت المائية على الفرات واستغلال نصيبها منه شرط ألا يؤدي ذلك إلى إيذاء الغير بشكل كبير بحسب القانون الدولي وما يفرضه البنك الدولي من شرط لتمويل مشروعات المياه.

وبما أنّ مياه الفرات ليست كافية لجميع المشروعات المائية للبلدان الثلاثة، فإن لكل بلد الحق في وضع الأولويات المناسبة لمشروعاته المائية على أن يلتزم بحصته المائية؛ فسوريا تعتبرها حقوق ارتفاق على نهر الفرات، ويجب أن تتفق تركيا مع الدول الأخرى المتشاطئة.

الأنهار

- **تشترك تركيا بأنهار الفرات، ودجلة، والعاصي، وجغجغ، وساجور، وقويق، وعفرين، والأسود، والخابور مع سوريا، وأهم ثلاثة أنهر هي:**

نهر الفرات:

حيث ينبع نهر الفرات ومعظم روافده من أعالي هضبة أرمينيا شرق الأناضول في الأراضي التركية و يتكون نهر الفرات من مجموعة روافد تزيد على السبعة، حيث يكوّن نهر الفرات وطوله ٤٠٠ كلم، ومراد صو، وطوله ٦٠٠ كم، نهر الفرات عندما يلتقيان في ملاطية الذي تنحدر المياه إليه عند ذوبان الثلوج، يبلغ طول الفرات ٢٣٣٠ كم منها ٤٤٢ كم في تركيا، و٦٧٥ كم في سوريا و١٢١٣ كم في العراق، وتبلغ مساحة حول الفرات ٤٤٠ كم٢ منها ٧٢ ألف كم٢ في سوريا، ويتأثر معدل جريان الفرات بروافده، وكمية الأمطار والثلوج ويقدر الوارد المائي في تركيا ١٩ مليار م٣ وعلى الحدود السورية – التركية بـ٢٥ مليار م٣ سنوياً، وعلى الحدود السورية - العراقية بـ٢٠٧ مليار م٣ سنوياً.

ويختلف الوارد السنوي من سنة إلى أخرى، ويبلغ متوسطه بـ٢٨ مليار م٣ سنوياً، وللفرات خاصية حيث تتدفق الأنهار بعنف في البداية وتتلاشى تدريجياً مياهه من خلال التبخر والاستعمالات الإنسانية، وتختلف كمية مياه الفرات بين الفصول بثمانٍ وعشرين مرة، بينما يصل الفرق بين أعلى كميةً للمياه وأدناها لدجلة ثمانين مرة.

- نهر العاصي:

تشترك سوريا مع لبنان بنهر العاصي، وهو ثاني أنهار سوريا من حيث الأهمية، ويخرج من نبعين عظيمين، هما نبع اللبوة وعين الرقاد في البقاع اللبناني، وتجري مياهه بانتظام طوال العام، ويبلغ طوله ٥٧١ كلم منها، ٣٢٥ كلم في سوريا، ويبلغ إيراده السنوي ٤٠٠ مليون م٣ عند الحدود السورية – اللبنانية، وقد أقيم عليه سدان مهمان في سوريا، هما قطينة والرستن لأغراض متعددة، وهو يتابع سيره مسافة ٧٩ كلم إلى أن يصب في هاتاي (لواء إسكندرون) خليج السويدية.

نهر دجلة:

ينبع نهر دجلة جنوب شرقي الأناضول في تركيا، ويبلغ طوله ١٧١٨ كلم٢، ويمر في سوريا ستة كيلومترات وتقدر موارده المائية ٤٧ مليارم٣، ومعظم جريانه في الأراضي العراقية ويرفده أنهار الخابور في سوريا، والزاب الكبير والزاب الصغير

وديالي والعظيم في العراق التي تشكل ثلث مياهه ليلتقي مع الفرات ليشكلا شط العرب.

أهمية الموارد المائية لدول حوض الفرات:

- يبلغ متوسط الموارد المائية المتجددة في سوريا بـ١٩ مليار م٣ سنوياً

- يتبلغ متوسط الموارد المائية التركية المتجددة ٢٠٠ مليار م٣ سنوياً

- يتبلغ متوسط الموارد المائية العراقية المتجددة بـ١٤٥ مليار م٣ سنوياً

توزيع المياه حسب المساحة الإجمالية لمجرى النهر

- في تركيا ١٢٥ ألف كم٢

- في سوريا ١٧٦ ألف كم٢

- في العراق ٢٤٣ ألف كم٢

حاجات المياه

- تركيا ١٢ مليار م٣

- سوريا ١١,٥ مليار م٣

- العراق ١٣ مليار م٣

تخدم هذه المياه في غالبيتها قطاعَي الزراعة في البلدين. يستحوذ القطاع الزراعي في سوريا على ٨٧٪ من هذه المياه. والقطاع الزراعي في العراق يستحوذ على ٧٥٪ منها. وقبل انخفاض التدفقات من النهرين. كان البلدان يعانيان من عجز في الماء؛ ففي الفترة الممتدة بين عامي ١٩٩٢ و٢٠١٢ كان متوسط العجز في سوريا يبلغ نحو ١,٢٥ مليار متر مكعب سنوياً ويقدّر البنك الدولي أن يبلغ ٣ مليارات في ٢٠٢٠. وفي العراق أيضاً يقدّر البنك الدولي أن يبلغ العجز المائي نحو ١١ مليار متر مكعب بحلول ٢٠٣٥. علماً بأنه لا توجد أرقام مستقرّة للعجز المائي في العراق بسبب التقلّب السنوي في تدفّق نهر دجلة.

تضرر الزراعة والكهرباء في سوريا والعراق:

في ظلّ هذه المعطيات المذكورة في البحث. تحولت التعدّيات التركية على النهرين وأثرها لجهة الحدّ من تدفقاتهما إلى سوريا والعراق. أكثر أهمية. فمعظم الموارد المائية في البلدين مخصّصة للري.

والقطاع الزراعي شكّل في عام ٢٠١٧ نحو ٢٦٪ من الاقتصاد السوري و١١٪ من الوظائف فيه. بحسب منظمة الغذاء العالمية للأمم المتحدة الفاو كذلك تقول المنظمة إن القطاع الزراعي في العراق يشكّل نحو ٥٪ من الاقتصاد العراقي في عام ٢٠١٩. ونحو ٢٠٪ من الوظائف فيه. لذا. يمكن لشحّ المياه أن يضرب النشاط الزراعي القائم على النهرين في سوريا والعراق. علماً بأنه لا بدائل مُتاحة في بلدين يسيطر عليهما مناخ صحراوي. فالتلوّث والملوحة الناجمان من انخفاض تدفقات المياه إلى البلدين ينعكسان مباشرة في نوعية الزراعة وفعاليتها وجودة المنتجات الزراعية. وهذا له أثر كبير على دور هذا القطاع الاقتصادي لناحية الإنتاجية وتوفير فرص العمل.

ومن ناحية أخرى. يغذّي هذان النهران محطّات توليد للكهرباء تعمل على الطاقة المائية. فسوريا. مثلاً. تنتج نحو ١٥٠٠ ميغاوات من السدود المبنية على نهر الفرات. العراق ينتج نحو ٢٥٠٠ ميغاوات من السدود المبنية على نهري دجلة والفرات. لذا فإن شحّ مياه النهرين سيسبّب انخفاضاً في التغذية بالتيار الكهربائي يُضاف فوق ضعف التغذية القائمة حالياً. ما سيكون له أثر اقتصادي واسع.

- منذ عام ١٩٧٥ أيّ بعد بناء أول سدّ تركي على نهر الفرات انخفض تدفّق المياه إلى العراق بنسبة ٨٠٪ وإلى سوريا بنسبة ٤٠.

ويضاف إلى الأزمة المترتبة على البعد الاقتصادي أزمة إنسانية منتظرة. في حال استمرّ هذا التعدي التركي على مياه النهرَين. فبحسب عدّة منظمات حقوقية. يعاني ١٢ مليون شخص

"واجهت وما تزال إمدادات المياه في فلسطين المحتلة العديد من التحديات منذ القديم، فبالإضافة إلى المناخ الجاف بطبيعته، تسببت السنوات المتتالية من الجفاف والنمو السكاني السريع، وارتفاع مستويات المعيشة والتوترات السياسية في المنطقة بضغوطات جمة على مواردالمياه في البلاد، وتتّمثل موارد المياه العذبة الرئيسية في بحيرة طبريا ونهر الأردن، والحوض الجوفي الساحلي والحوض الجوفي الجبلي"

بين العراق وسوريا من مخاطر عدم الحصول على المياه والغذاء والكهرباء بسبب هذه الأزمة، فإضافة إلى الأثر المباشر الذي يشكّله انخفاض تدفّق المياه في النهرين على حصول الناس على المياه، هناك ضرر غير مباشر على هذه الشريحة من الناس، فانخفاض التدفق في النهرين سيؤثّر على السكان حرماناً من الحصول على الطاقة الكهربائية، بالأخص أولئك الذين يعيشون قرب السدود المولّدة لهذه الطاقة والذين يستفيدون بشكل كبير منها، أضف إلى ذلك أن الأثر على القطاع الزراعي وإنتاجيته، سينعكس أيضاً على الأمن الغذائي للبلدين، وبشكل خاص على سوريا التي يمنعها الحصار الأميركي من استيراد الغذاء بشكل طبيعي، وهو ما يدفعها إلى الاعتماد على الإنتاج الداخلي.

- كان العراق أكثر المستفيدين من مياه دجلة والفرات بين البلدان الثلاثة، وفي الستينيات كان العراق يستفيد من مشاريع ري عملاقة على النهرين تسبق بحجمها مشاريع الري في تركيا وسوريا، إلا أن هذا الواقع تغيّر مع انخراط سوريا والعراق وتركيا في محادثات حول حقوق استعمال مياه دجلة والفرات، انطلاقاً من رغبات تركيا وسوريا بناء السدود للاستفادة من الموارد المائية التي تمرّ عبر أراضيهما، لكن المشكلة تكمن في أنه لا يوجد اتفاق ثلاثي بين البلدان يوضح حصّة كل بلد من المياه، فاللجنة المشتركة التي أُنشئت في عام ١٩٨٠ بهدف تحقيق اتفاق عام بين الدول المعنية والتأكد من أن أي إجراءات ثنائية مستقبلية يجب أن تتوافق مع القانون الدولي، لم تستطِع أن تتوصل إلى اتفاق لغاية يومنا هذا.

كل ما هو موجود لا يتجاوز الاتفاقات الثنائية، مثل تلك التي بين سوريا وتركيا في عام ١٩٨٧ وبين سوريا والعراق في عام ١٩٩٠، فقد أفضى الاتفاق التركي - السوري إلى التوافق على أن يصل إلى سوريا ٥٠٠ متر مكعّب في الثانية من مياه نهر الفرات، أي ما نسبته ٥٦،٢٪ من التدفق الطبيعي للنهر، أما الاتفاق السوري العراقي في عام ١٩٩٠ فقد نتج عنه توافق بين الجانبين على أن يحظى العراق بنسبة ٥٨٪ من التدفق الآتي من تركيا، في حين يحظى الجانب السوري بنسبة ٤٢٪ من هذا التدفّق، والمنطق الطبيعي هو أن يكون الاتفاق ثلاثياً وواضحاً في توزيع الحصص وفقاً للأعراف والقانون الدولي.

مشروع الأناضول التركي:

يعدّ مشروع الأناضول السبب الأساسي لشحّ المياه في نهري دجلة والفرات في السنوات الخمسين الأخيرة، فمنذ عام ١٩٧٥، أي بعد بناء أول سد تركي على نهر الفرات، انخفض تدفّق المياه إلى العراق بنسبة ٨٠٪ وإلى سوريا بنسبة ٤٠٪، وهذا المشروع، القائم على بناء ٢٢ سداً، هو السبب الأساسي في الشحّ الأخير الذي يعاني منه نهرا دجلة والفرات في سوريا والعراق.١١٢مليار متر مكعّب هي إجمالي موارد المياه السطحية والجوفية في تركيا، بما في ذلك ٩٨ مليار متر مكعّب من المياه السطحية و١٤ مليار متر مكعب من المياه الجوفية، وفقاً

> **يستحوذ القطاع الزراعي في سوريا على ٨٧٪ من هذه المياه، والقطاع الزراعي في العراق يستحوذ على ٧٥٪ منها، وقبل انخفاض التدفقات من النهرين، كان البلدان يعانيان من عجز في الماء؛ ففي الفترة الممتدة بين عامي ١٩٩٢ و٢٠١٢ كان متوسط العجز في سوريا يبلغ نحو ١،٢٥ مليار متر مكعب سنوياً ويقدّر البنك الدولي أن يبلغ ٣ مليارات في ٢٠٢٠**

لبيانات لجنة الأشغال المائية الحكومية في تركيا عام ٢٠٠٥.فمنذ نشأتها، سعت تركيا إلى أن تطوّر من مواردها المائية في سبيل الوصول إلى أهدافها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد تبلور هذا الأمر في «مشروع الأناضول » الذي طُوّر كفكرة نهائية عام ١٩٧٧، في الواقع بعض مشاريع السدود التي أقيمت قبل تلك السنة، أصبحت جزءاً من هذا المشروع المتكامل، ويعتبر مشروع الأناضول أكبر مشروع تطويري في تركيا، وهو أحد أكبر المشاريع التطويرية في العالم، في عام ٢٠٠٥ جرى تعديل على هذا المشروع، ليصبح موعد إكماله بحلول عام ٢٠٢٣، ويضم هذا المشروع بناء ٢٢ سداً، منها ١٣سداً ضخماً، من بين هذه السدود الـ١٣، هناك ٧ على حوض الفرات و٦ على حوض دجلة، كما تضم الخطة ١٩ مشروعاً لتوليد الكهرباء عبر الطاقة المائية، يغطي المشروع نحو ٧٥ ألف كم مربّع وهو ما يمثّل نحو ١٠٪ من الأراضي التركية، كما يهدف إلى توليد ٧٥٠٠ ميغاوات من الكهرباء الناتجة من الطاقة المائية، وقد استثمرت الدولة التركية في مشروع الأناضول بشكل كبير، فقد استحوذ على ٧٪ من الإنفاق العام منذ التسعينيات حتى اليوم، ويدل هذا الأمر على الأهمية التي تعوّل عليها تركيا في هذا المشروع رغم المخاطر التي يحملها لجهة التسبب بتوترات مع دول المصب.

وقد كان هذا المشروع سبباً أساسياً في تدهور العلاقات بين تركيا وكل من سوريا والعراق، فمنذ بدايته، أبدى العراق وسوريا قلقهما من انخفاض تدفّق المياه إليهما، وقد وصلت الأمور إلى حدّ تهديد العراق بضرب سدّ أتاتورك عندما بدأت تركيا بملئه، وهو ما جعل تركيا تهدد بقطع المياه كلياً، إلا أن هذه المشادّة بقيت في إطار التهديدات المتبادلة ولم تتطوّر بشكل فعلي.

ـ مشروع تركي على حساب الشعوب:

يصنف «مشروع الأناضول» والذي مازال مستمرة إلى يومنا هذا على حساب ١٢ مليوناً في سوريا والعراق.

الصراع على مياه دجلة والفرات:

حيث عمدت تركيا إلى تجميع مياد نهرَي دجلة والفرات من دون أيّ إنذار، ما أدّى إلى قطعها جزئياً عن سوريا والعراق اللذين شعرا بانخفاض منسوب المياه وتدفّقه صوبهما ما سيترك تداعيات كبيرة على مياه الري والشرب والقطاع الزراعي والصناعات الزراعية وسواها.

في مطلع السنة الجارية قرّرت تركيا المباشرة بمرحلة جديدة من «مشروع الأناضول الكبير» وهو عبارة عن خطة مائية ضخمة من السدود ومشاريع الطاقة الهيدروليكية، بنتيجة هذا المشروع انخفض تدفّق مياه الفرات الآتي من تركيا إلى سوريا بنسبة ٦٠٪ وانخفض تدفّق مياه دجلة والفرات في العراق بنسبة ٥٠٪، هذا الأمر بات يهدّد الأمن المعيشي لنحو ١٢ مليون شخص يعيشون في العراق وسوريا، فقد أدّى انخفاض التدفق إلى شحّ في المياه المستعملة في الري والخدمات، فضلاً عن انقطاع التيار

الكهربائي الناتج عن الطاقة المائية في البلدين، ولم تكن التداعيات محصورة بكميات المياه المتدفقة، بل بنوعيتها أيضاً، إذ ازدادت نسبة ملوحتها ومعدلات تلوّثها أيضاً ما أضرّ بالإنتاج الزراعي في البلدين.

إن احتجاز تركيا لمياه نهري الفرات ودجلة أدت إلى زيادة في ملوحة التربة وخروجها من الاستثمار.

يمتدّ حوض نهر الفرات بطول ٣٠٠٠ كيلومتر، وهو يجري في تركيا - بلد المنبع - نحو ١٢٣٠ كيلومتراً، وفي سوريا نحو ٧١٠ كيلومترات، وفي العراق ١٠٦٠ كيلومتراً، وتقدّر نسبة تدفق المياه من المنبع في المجرى بنحو ٨٨,٧٪، بينما تقدّر نسبة المياه السورية التي تنساب في المجرى بنسبة ١١,٣٪، ويتدفّق عبر مجرى الفرات ما يُقدّر بنحو ٣١,٨ مليار متر مكعّب من المياه سنوياً.

هذه المعطيات كانت قبل مطلع السنة الجارية، أي قبل أن تباشر تركيا في تنفيذ «مشروع الأناضول الكبير»، ففي المعطيات الواردة أخيراً، يتدفّق من الحدود السورية التركية نحو ٢٠٠ متر مكعّب في الثانية، وهو أقل بنسبة ٦٠٪ من التدفّق المتّفق عليه بين البلدين، والبالغ ٥٠٠ متر مكعب في الثانية وفقاً لاتفاقية عام ١٩٨٧، ويعاني نهر الفرات في سوريا، أصلاً، من ارتفاع نسبة الملوحة، ويعود ذلك إلى تسرّب مياه الري التي تحمل ملوحة عالية إليه، فبحسب موقع فاناك الذي يتابع أوضاع الموارد المائية في البلدان، تزداد الملوحة في نهر الفرات من ٤٠٠ «ميلي-سيمنز في السنتيمتر» (أحد وحدات قياس الملوحة) في جرابلس على الحدود التركية، إلى أكثر من ١٠٠٠ «م في السنتيمتر» في البوكمال على الحدود العراقية، أي إنّ نسبة الملوحة في نهر الفرات تزداد مرتين ونصف بين دخول المياه إلى سوريا وخروجها منها، كما تعاني المياه من التلوّث بسبب دخول مياه الصرف الصحي عليها في عدّة مناطق من سوريا، إلّا أن انخفاض تدفّق المياه من تركيا إلى سوريا ساهم في ارتفاع نسبتَي الملوحة والتلوّث، لأن انخفاض تدفّق نسبة المياه العذبة يحرم إمكانية تعديل نسب الملوحة والتلوث.

تؤكد التقارير الأولية التي ينشرها البنك الدولي أن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تعتبر من أكثر المناطق في العالم توتراً، فيما يخص الاستخدام غير المستدام للمياه، فحوالي ٨٢٪ من المياه بتلك المنطقة لا يستفاد منها بالشكل الفعال المؤثر، بالرغم من زيادة الطلب على المياه وضعف العرض. كما أنه من الممكن أن تشهد المنطقة أكبر خسائر اقتصادية متوقعة من ندرة المياه المرتبط بالمناخ.

وبالنسبة إلى نهر دجلة، فيمتدّ حوضه بطول ١٨٥٠ كيلومتراً، ويجري في تركيا مسافة ٤٠٠ كيلومتر، ويمر في سوريا قاطعاً مسافة ٤٠ كيلومتراً فقط قبل دخوله العراق حيث يجري مسافة ١٤١٨ كيلومتراً، وتسهم تركيا بنحو ٥١٪ من تدفّق نهر دجلة، مقارنة مع مساهمة العراق بنسبة ٤٩٪، ويعتبر نهر دجلة غير مستقرّ وصعب التوقّع لجهة كمية التدفّق والفيضانات، ويستفيد العراق من نهري دجلة والفرات بنحو ١٥٠ متراً مكعباً في الثانية فقط، في حين يقول العراق إن الكمية المطلوبة هي نحو ٥٠٠ متر مكعب في الثانية، إلّا أن معدّل التدفّق في عام ٢٠٢٠ انخفض إلى ما دون ١٥٠ متراً مكعّباً في الثانية، وبحسب موقع فاناك، فإن نهرَي دجلة والفرات في العراق يعانيان من نسبة ملوحة عالية، إلّا أن نسبة الملوحة في نهر دجلة أقل منها في نهر الفرات، بسبب بعض العوامل الجيولوجية، إضافة إلى أن نهر الفرات يمرّ عبر سوريا حيث يكتسب ملوحة عالية خلال مروره فيها، ويلعب انخفاض تدفّق المياه في نهري دجلة

والفرات دوراً بارزاً في ازدياد نسبة الملوحة بسبب انخفاض نسبة المياه العذبة الآتية من المصدر.

لا يوجد اتفاق ثلاثي بين البلدان يوضح حصّة كل بلد من المياه اعتمادٌ كبير على النهرَين

تتميّز سوريا والعراق بمناخ شبه صحراوي، حيث لا تشهد أجزاء كبيرة من أراضيهما متساقطات كافية، لذا تعتمد سوريا بشكل كبير على نهر الفرات الذي يشكّل ٨٥٪ من استخدامها للمياه المتجدّدة، ويعتمد العراق بشكل كلّيّ على نهرَي دجلة والفرات إذ يشكلان ١٠٠٪ من استخدامه للمياه المتجددة.

تحديات المياه في الشرق الأوسط:

• **الإجهاد المائي:** يحدث عندما يمثل الطلب على المياه نسبة كبيرة من الكمية المتاحة خلال فترة معينة أو عندما يقيّد استخدام المياه بسبب جودتها الرديئة.

نطاق وتأثير غير مسبوقين لشحّ المياه في منطقة الشرق الأوسط

أدت النزاعات وغياب الاستقرار الاقتصادي والسياسي الإقليمي إلى زيادة الطلب على مصادر المياه الطارئة.

١١ دولة من أصل ١٧ دولة في منطقة الشرق الأوسط تعاني من الإجهاد المائي في العالم، حيث يفتقر حوالي ٦٦ مليون شخص في المنطقة إلى خدمات المياه الصالحة للشرب.

إنّ بعض دول الشرق الأوسط، بما في ذلك إيران والعراق والأردن، تضخ كميات مياه هائلة من الأرض للري بينما تسعى إلى تحسين الاكتفاء الذاتي من الغذاء، مضيفا أن «هذا يحدث هذا لأنهم يعانون من انخفاض في هطول الأمطار».

«إنهم يستخدمون مياهًا أكثر مما هو متاح بشكل روتيني من خلال المطر، وبالتالي، فإن مستويات المياه الجوفية تنخفض نتيجة لأنك تقوم بإخراج

> **"يصنف مشروع الأناضول" على حساب ١٢ مليوناً في سوريا والعراق، وقد كان هذا المشروع سبباً أساسياً في تدهور العلاقات بين تركيا وكل من سوريا والعراق، فمنذ بدايته، أبدى العراق وسوريا قلقهما من انخفاض تدفق المياه إليهما، وقد وصلت الأمور إلى حدّ تهديد العراق بضرب سدّ أتاتورك عندما بدأت تركيا بملئه، وهو ما جعل تركيا تهدد بقطع المياه كلياً.**

المياه بشكل أسرع مما تجدده الأمطار»

هذا ما يحدث في إيران، حيث تدعم شبكة واسعة من السدود القطاع الزراعي الذي يشرب حوالي ٩٠٪ من المياه التي تستخدمها البلاد

أزمة المياه في حوض الأردن:

واجهت وما تزال إمدادات المياه في فلسطين المحتلة العديد من التحديات منذ القديم، فبالإضافة إلى المناخ الجاف بطبيعته، تسببت السنوات المتتالية من الجفاف والنمو السكاني السريع، وارتفاع مستويات المعيشة والتوترات السياسية في المنطقة بضغوطات جمّة على مواردالمياه في البلاد.

وتتمثل موارد المياه العذبة الرئيسية في بحيرة طبريا ونهر الأردن، والحوض الجوفي الساحلي والحوض الجوفي الجبلي.

ومن المهم ملاحظة أن جميع موارد المياه العذبة

لفلسطين المحتلة مشتركة، إذ تتم مشاركة الحوضين الساحلي والجبلي مع إسرائيل، بينما تتم مشاركة نهر الأردن مع الأردن ولبنان وفلسطين وسوريا، في حين أن بحيرة طبريا مشتركة مع سوريا، تتعرض جميع هذه الموارد تقريباً للاستغلال المفرط، كما يؤكد الانحدار الأخير في كمّ ونوع المياه على حقيقة أنّ الاستخدام الحالي غير مستدام على المدى الطويل.

والتحديات المائية، تتمثل أهمها في تحلية المياه وإعادة استخدام مياه الصرف الصحي، وقُدّر إنتاج تحلية المياه عام ٢٠١١ بـ٣٠٧ مليون متر مكعب/ السنة، وهو ما يكفي لتلبية حوالي ٤٠٪ من احتياجات مياه الشرب في فلسطين المحتلة ومن المتوقع أن يشهد هذا العدد زيادة كبيرة مع ارتفاع الطلب على المياه، في حين تُستخدم مياه الصرف الصحي المعالجة في المقام الأول لتلبية الطلب المرتفع على المياه في القطاع الزراعي، ومن المتوقع أيضاً أن يشهد إنتاج هذا المصدر البديل للمياه ارتفاعاً نتيجة النمو السكاني.

هناك تباين كبير في إمكانية الحصول على الماء بين الإسرائيليين والفلسطينيين نتيجة لما سبق أمر مثير للصدمة، فكمية استهلاك المياه من قبل الإسرائيليين تفوق كمية استهلاك الفلسطينيين الذين يعيشون في الأراضي الفلسطينية المحتلة بأربعة أضعاف على الأقل، إذ أن معدل استهلاك الفرد الفلسطيني للماء يبلغ ٧٣ لتراً يومياً للفرد، وهو أقل من معدل استهلاك الفرد الذي توصي به منظمة الصحة العالمية، وهو ١٠٠ لتر يومياً، وفي العديد من المجتمعات الرعوية في الضفة الغربية، يصل معدل استهلاك الفرد من الماء بالنسبة لآلاف الفلسطينيين إلى ٢٠ لتراً يومياً فقط وفقاً لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، وبالمقابل، يبلغ معدل استهلاك الفرد الإسرائيلي قرابة ٣٠٠ لتر يومياً.

الخاتمة:

إنّ الحق في الماء معترف به ضمن بنود حقوق الإنسان التي أقرتها الأمم المتحدة، ومستمد من الحق في مستوى معيشة كاف، ولذا فإنه وارد ضمناً في العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وغيره من الصكوك الأخرى.

ويشمل الحق في الماء توفير ما يكفي من الماء للاستعمالات الشخصية والمنزلية، وإمكانية الوصول إلى الماء، جسدياً، داخل كل منزل أو بالقرب منه، والقدرة على دفع تكاليفه، ونوعية الماء.

ويتعين على الدول، كجزء من التزاماتها المباشرة، أن تعطي الأولوية للكل شخص للحصول على الحد الأدنى الضروري من كمية المياه الكافية والمأمونة للاستعمالات الشخصية والمنزلية للوقاية من الأمراض – كما يتعين على الدول اتخاذ التدابير الضرورية الرامية إلى الإحقاق الكامل للحق في الماء، بما في ذلك باتخاذ تدابير إيجابية لمساعدة الأفراد والمجتمعات على التمتع بهذا الحق.

وعدم السماح بمنع أو احتجاز هذه الموارد عن دول الجوار واستخدامها لغايات الابتزاز او الاستغلال أو الضغط السياسي والاقتصادي واستخدامها في الحروب والصراعات.

المراجع:

1- تقرير البنك الدولي، الواردات المائية، ٢٠١٥م

2- منظمة العفو الدولية، تقرير المياه في الأراضي الفلسطينية، ٢٠١٧م

3- الصراع على مصادر المياه، نبيل السمان، دراسة منشورة، دمشق، ٢٠١٧م

4- تأثير السياسة المائية على علاقات تركيا بدول الجوار، ورقة بحثية، مارك دورمان ٢٠١٧م

5- حرب المياه، ورقة بحثية، ماهر سلامة، جريدة المال، مصر، ٢٠٢١م

6- أزمة المياه، ورقة بحثية تقرير/ فريدريك بليتغن، ٢٠١٨م

الاتفاقيات الروسية التركية وتأثيرها على استقرار الشرق الأوسط

اسماعيل خالد
سوريا

أولاً: المحددات الجغرافية والإقليمية والدولية للعلاقات الروسية التركية

ثانياً: العلاقات الروسية والتركية بعد صعود حزب العدالة والتنمية إلى السلطة في تركيا

ثالثاً: مستقبل التقارب الروسي التركي

تمهيد

منذ ظهور روسيا القيصرية والسلطنة العثمانية، اتسمت العلاقات فيما بينهما بالحدّية والعدائية تارة، وأحياناً بتوافق مصالحهما، وذلك بسبب الجوار والمحيط الجغرافي والاختلافات الدينية فيما بينهما.

تميزت العلاقات التركية - الروسية منذ القدم بأنها كانت تحت تأثير قوي من العلاقات مع كل بلد من البلدان الغربية مثل بريطانيا العظمى وألمانيا، وإذا كان اللاعبون الدوليون على المسرح قد تغيرت مسمياتهم اليوم، فإن بواعث الصراع تظل كما هي دون تغيير. وتُعدّ الثروة والموقع الاستراتيجي هما جناحا القوة لأي إمبراطورية تطمح في التمدد والهيمنة، ففي القرن الخامس عشر الميلادي كانت المنطقة (آسيا الوسطى والقوقاز ونهر الفولكا) محلاً لصراع طويل بين القوى الكبرى المهيمنة في ذلك الوقت، وهي الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية القيصرية، ولم ينتصف القرن الخامس عشر حتى أصبح العثمانيون والقياصرة يخوضان صراعاً دموياً للانفراد والسيطرة على المنطقة، وإعادة صياغة جغرافيتها وتاريخها كلٌّ حسب مصالحه.

لقد دارت حروبٌ ومعارك، وساهم دخول الدولة العثمانية في مرحلة الضعف والسقوط بدايات القرن العشرين في اتساع دور روسيا القيصرية، ومحاولات قضم أراضيها في القوقاز وآسيا الوسطى، وتقليص نفوذها دون الإجهاز عليها بشكل تام.

في بحثنا هذا نسلط الضوء على أبرز القضايا التي شغلت اهتمام روسيا وتركيا، والتي تمت بعد انهيار وتفكك الاتحاد السوفيتي، والتي أثرت بشكل أو بآخر على استقرار منطقة الشرق الأوسط دون الخوض في التاريخ القديم لتلك العلاقات وتشعّباتها، لأنها تحتاج إلى أبحاث ودراسات مطوّلة، وجلّ هدفنا هو إظهار أهم سياسات ومصالح كلّ من الدولتين للقارئ.

يمكن بداية اعتبار العلاقات الروسية التركية من العلاقات التاريخية القديمة التي ناهز عمرها خمسة قرون، تخللتها علاقاتٌ صراعية وتوجّسٌ، كما حصل تعاون وبالتحديد عام ١٤٩٢ حينما بعث «إيفان الثالث» الأمير الأكبر وحاكم روسيا برسالة إلى السلطان العثماني «بايزيد الثاني» تتعلق بتنظيم التجارة البحرية بين الجانبين، أما السفارة الدائمة للإمبراطورية الروسية بالقسطنطينية فقد افتتحت عام ١٧٠١.

وأقيمت العلاقات الدبلوماسية بين تركيا وروسيا السوفيتية في عام ١٩٢٠، واعترفت تركيا في عام ١٩٩١ بروسيا الاتحادية كونها وارثة الاتحاد السوفيتي، وهناك ما يزيد على ٦٠ معاهدة بين روسيا وتركيا تخصّ التعاون في المجالات المختلفة منذ انهيار وتفكّك الاتحاد السوفيتي.

ومن أهم الاتفاقيات التي عُقدت في السنوات الأخيرة، معاهدة أسس العلاقات فى عام ١٩٩٢، وخطة الأعمال الخاصة بتطوير التعاون بين البلدين في القارة الأوربية عام ٢٠٠٠، واتفاقية التعاون العسكري عام ٢٠٠٢، والبيان السياسي المشترك حول تعميق الصداقة والشراكة عام ٢٠٠٤، ثم الحوار السياسي المشترك.

أولاً: المحددات الجغرافية والإقليمية والدولية للعلاقات الروسية التركية

١. المحدد الجغرافي

كان الاتحاد السوفيتي السابق يشغل النصف الشرقي من أوروبا والثلث الشمالي من آسيا، وبذلك كان يمتد من بحر البلطيق فى الغرب إلى المحيط الهادي في الشرق، وفي الجهات الغربية والجنوبية الغربية كانت تركيا وإيران وأفغانستان تشكل دولاً مجاورة له، ولكن رغم استقلال الجمهوريات الّتي كانت تحت حكم المركز مازالت روسيا الاتحادية تمثل مساحتها ١٧٠٧٥٢٠٠ كم مربع، وهي بذلك تعتبر أكبر الدول حتى بعد

تفكك الاتحاد السوفيتي من حيث المساحة وعدد السكان. وتضم روسيا الاتحادية ثلاثة أرباع أرض الاتحاد السوفيتي السابق ونصف سكانه. وتمتد الأراضي الروسية في قارة آسيا من أقصى شرق القارة الآسيوية إلى أقصى غربها مواصلة امتدادها في أوروبا، وهي بهذا الامتداد تمثل ما يمكن تسميته بسقف القارة الآسيوية، اذ إنها تحتل أقصى الجزء الشمالي منها.

- أما الموقع الجغرافي لتركيا فهي تطل على عدة بحار مثل البحر الأسود، والبحر المتوسط، وبحر إيجا، وبحر مرمرة، وتقع تركيا في آسيا الصغرى تحدّها من الشرق كل من إيران وأرمينيا، ومن الغرب بلغاريا واليونان، ومن الشمال جورجيا وشواطئ البحر الأسود، ومن الجنوب العراق وسوريا وشواطئ البحر الأبيض المتوسط. وتبلغ مساحة الأراضي التركية حوالي ٥٧٨٬٨١٤ كلم مربع. تتضح الأهمية الجغرافية للدولة التركية حيث تتوسطّ تركيا قارات العالم القديم الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا، وقد منحها هذا الموقع منذ القدم قدرة على التفاعل الحيوي في المحيط الإقليمي، بحيث تؤثّر وتتأثر بالعناصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافيّة القائمة على تخومها. تقع في قلب المجال الجغرافي المصطلح على تسميته "أوراسيا" وهي بذلك تعتبر المنطقة الوسطيّة المتحكّمة في منطقة قلب العالم، الأمر الذي يؤهّلها لأن تكون دولة محوريّة أو حاسمة في المجال الجيوسياسي.

وهي دولة قارّية وبحرية في نفس الوقت، وتحدّها ثماني دول، ما يتيح لها اختيار سياسات أو تحالفات أو إقامة تجمّعات في ظل كون تركيا دولة محورية في مجالها الجغرافي.

كما تحدّها المياه من ثلاث جهات، وتسيطر على ممرّين مائيَّين مهمَّين، مما يعطيها القدرة على التحكّم، وهما البوسفور والدردنيل.

٢. المحددات الإقليمية والدولية

وسيتم التركيز على نقطة رئيسية وهي منطقة آسيا الوسطى والقوقاز:

"تميزت العلاقات التركية - الروسية منذ القدم بأنها كانت تحت تأثير قوي من العلاقات مع كل بلد من البلدان الغربية مثل بريطانيا العظمى وألمانيا، وإذا كان اللاعبون الدوليون على المسرح قد تغيرت مسمياتهم اليوم، فإن بواعث الصراع تظل كما هي دون تغيير. وتعدِ الثروة والموقع الاستراتيجي هما جناحا القوة لأي إمبراطورية تطمح في التمدد والهيمنة"

حيث تمثل منطقة القوقاز وآسيا الوسطى مجالاً للتنافس بين روسيا وتركيا في حقبة ما بعد الحرب الباردة، إذ تمثل منطقة آسيا الوسطى والقوقاز قلب العالم، وتتاخم حدودها المباشرة عددًا من الدول الكبرى على الصعيدين الدولي والإقليمي: فهي تقع جنوب روسيا، وغرب الصين، وشمال أفغانستان، وشمال وشرق إيران، وشرق تركيا، ومن ثم فإن هذه المنطقة مفتاح هام وموطئ قدم استراتيجي لعدد من القوى الدولية والإقليمية، بالإضافة إلى الأهمية الاقتصادية التي تتمتع بها المنطقة في ظلّ احتوائها على موارد طبيعية وفيرة، واحتياطات كبيرة من مصادر النفط والغاز التي تدفع القوى الدولية والإقليمية إلى محاولة السيطرة عليها.

لقد أدى انهيار الاتحاد السوفيتي السابق إلى تراجع النفوذ الروسي عن كثير من مناطق الإرث السوفيتي، وتُعتبر آسيا الوسطى إحدى أهم المناطق الاستراتيجية التي بدأ فيها النفوذ الروسي بالتراجع مباشرة بعد إعلان استقلالها عن الاتحاد السوفيتي، حيث كانت أول من أعلنت

عن استقلالها بعد سقوط الاتحاد السوفيتي. الملاحظ أن السياسة الخارجية الروسية تجاه هذه المنطقة لا تزال رهينة الخلفيات التاريخية ذات الارتباط بالموقع الجيوسياسي للمنطقة ومتطلبات الأمن القومي الروسي. فتاريخياً تعتبر منطقة آسيا الوسطى منطقة نفوذ روسي درجت الأدبيات السياسية على وصفها بالحديقة الخلفية لروسيا. هذه السياسة تركزت على مجابهة تلك التحديات القادمة من الجنوب (حيث الصين والحركات الإسلامية) بالعودة إلى إعادة بعث الدور الروسي في المنطقة على جميع المستويات، من خلال استراتيجية بمنظورين، أولهما "أوروبي - أطلنطي" والثاني "أوراسي جديد". فطبقاً للمنظور الأول ركزت روسيا على الاندماج مع الحضارة الغربية وتشجيع آسيا الوسطى على السير في ذات الاتجاه، مع عدم التدخل النشيط لحماية مصالحها في آسيا الوسطى، ولكن منذ ١٩٩٩ بدأت روسيا تتحول نحو رؤية أوراسية تركز على التدخل لحماية مصالحها في آسيا الوسطى والقوقاز. لقد شعرت روسيا بعد أحداث سبتمبر أن أمنها القومي يتعرض لتهديدات جدّية بسبب عدم الاستقرار السياسي، وتنامي الحركات الانفصالية والإسلامية في وسط آسيا. هذه التحديات دفعت بروسيا إلى الاحتفاظ بقواعد عسكرية في طاجاكستان وكازاخستان وقيرغيزستان وتركمانستان في إطار التنافس الدولي على عسكرة آسيا الوسطى، وعلى صعيد المسائل المتعلقة بالتعاون الاقتصادي والتبادل التجاري، تعمل روسيا على زيادة التعاون الاقتصادي في مجالات الطاقة والنقل والمياه مع دول آسيا الوسطى، خاصة في إطار مبادرات التكامل والتعاون الإقليميين في منظمة شنغهاي للتعاون الاقتصادي.

إن روسيا تهتم أساساً بحماية مصالحها وعلى رأسها مصير الروس في تلك الدول واستقرار الأمن في تلك المنطقة.

- على الرغم من أن تركيا ليس لها صلات جغرافية مباشرة مع آسيا الوسطى، إلا أنها بمثابة "الوطن الأم" لشعوب تلك الدول بحكم تراثها التركي، لدرجة أن تركيا لا تطلق على تلك المنطقة مصطلح آسيا الوسطى، وإنما تسميها تركستان تأكيداً لهويتها الثقافية.

لقد منحت التطورات الجيوسياسية أنقرة فرصة إعادة توجيه سياستها نحو المنطقة، وهذه السياسة الجديدة حظيت بموافقة ودعم الولايات المتحدة، فبعد الفراغ الناجم عن تفكك الاتحاد السوفيتي، بدأ التغلغل التركي في آسيا الوسطى مستنداً على صورة تركيا لدى جمهوريات آسيا الوسطى المسلمة (أي النموذج التركي للدولة العلمانية والديمقراطية سياسياً والمتقدمة والمتطورة اقتصادياً والمنفتحة ثقافياً).

لقد شكل العنصر الثقافي حجر الزاوية في الاستراتيجية التركية في علاقاتها مع مجموعة الدول الصاعدة في آسيا الوسطى، لكن التطورات التي حدثت في المنطقة مع وجود عوامل عديدة شكّلت كوابح أمام السياسة التركية.

ومن أبرز هذه العوامل الأوضاع الاقتصادية المتدهورة في المنطقة، بالإضافة إلى ضعف الرابطة الثقافية من جرّاء سياسات العهد القيصري والسوفيتي التي تعرضت لها الهوية الثقافية لشعوب المنطقة، وهو ما أجبر تركيا على اعتماد سياسة جديدة أكثر واقعية تجاه المنطقة وتجاه إمكانيات الدولة التركية نفسها.

هناك بعض العوامل التي سبّبت توتراً شديداً بين روسيا وتركيا منها:

١. قيام روسيا في ديسمبر ١٩٩٤ بشنّ عمليات عسكرية ضد المقاتلين الشيشان، فأثار ذلك ردات فعل عاطفية في تركيا.

٢. ردت تركيا باتهام روسيا التسامح مع الفعاليات والأنشطة الكردية فيما يخص البيت الكردي الذي افتتحته روسيا في موسكو عام ١٩٩٤، وسماح مجلس دوما الروسي باستضافة البرلمان الكردي في الخارج.

٣. كذلك إصرار روسيا بيع قبرص اليمينية صواريخ استراتيجية

وقد أدت عدة عوامل إلى تقارب روسي تركي في نهاية التسعينات من القرن المنصرم ومنها:

١. إدراك روسيا أن التحرك أو النشاط التركي في آسيا الوسطى والقوقاز لا يشكل أي تهديد لنفوذها في المنطقتين.

٢. انتهاء حرب جنوب القوقاز بموجب اتفاقية مايو ١٩٩٤

٣. انتهاء الحرب في البوسنة والهرسك بموجب اتفاقية دايتن ١٩٩٥

٤. انتهاء حرب الشيشان عام ١٩٩٦

٥. تراجع الدعم الروسي للقضية الكردية

ثانياً: العلاقات الروسية التركية بعد صعود حزب العدالة والتنمية التركي إلى السلطة في تركيا

تمكّن البَلدان من إيجاد أرضية مشتركة لتطوير الفرص المشتركة، خاصة منذ ولاية الرئيس فلاديمير بوتين الأولى في مارس ٢٠٠٠، وتولي حزب العدالة والتنمية برئاسة أردوغان رئاسة الحكومة في عام ٢٠٠٢، حيث اتجهت العلاقات الروسية – التركية نحو مرحلة أكثر هدوءاً من شأنها أن تركز أساساً على التعاون بدلاً من الصراع، ولذلك تم توقيع "خطة العمل المشتركة للتعاون في أوراسيا بين البلدين في ١٦ نوفمبر٢٠٠١، وهي الوثيقة الرسمية الأولى التي ذكرت بناء "شراكة متعددة الأبعاد"، حيث تمثل هذه المنطقة المجال الحيوي لروسيا ومنطقة نفوذها الأساسية.

١. التعاون الاستراتيجي الروسي - التركي ومحدداته الدولية

إن تعريفات التعاون الاستراتيجي متنوعة جداً، والسبب فى ذلك هو حداثة الظاهرة من جانب وانعكاساتها على المشهد الذي تتميز به الوضعية الاقتصادية من جهة أخرى، وقد اختلف الكثيرون فى تعريف التحالف أو التعاون

"تتوسط تركيا قارات العالم القديم الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا، وقد منحها هذا الموقع منذ القدم قدرة على التفاعل الحيوي في المحيط الإقليمي، بحيث تؤثر وتتأثر بالعناصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية القائمة على تخومها، تقع في قلب المجال الجغرافي المصطلح على تسميته ÷أوراسيا× وهي بذلك تعتبر المنطقة الوسطية المتحكمة في منطقة قلب العالم، ما يؤهلها أن تكون دولة محورية في المجال الجيوسياسي."

الاستراتيجي وارتباطه بالتكامل الاقتصادي.

ويُعرّف التحالف الاستراتيجي بأنه سمة دولة أو أكثر نحو تكوين علاقة تعاونية تبادلية بهدف الاستفادة من الموارد المشتركة.

ويُقصد أيضاً بالتحالف الاستراتيجى إحلال التعاون محل المنافسة التي قد تؤدي إلى خروج أحد الأطراف من السوق، فإذاً التحالف الاستراتيجي يكمن فى التعاون، ويرتكز على العلاقات المتبادلة وتسمح للوصول إلى أهداف محددة باتفاق مشترك، وهو عبارة عن نمط لعلاقات متينة على الأمد الطويل تتجاوز إطار العلاقات التجارية العادية، فالتحالف الاستراتيجي ينطوي على مجموعة واسعة من العلاقات التعاونية الّتي تنشأ بين المؤسسات المتنافسة فى دول مختلفة لتحقيق هدف محدد.بالنسبة إلى رؤية الرئيس الروسي بوتين، فقد كرّس قدراً ملحوظاً من اهتمامه لصياغة اتجاه جديد وقوي للسياسة الخارجية الروسية يحاول استعادة المكانة التي كان يتبوّؤها الاتحاد السوفييتي السابق في مرحلة الحرب الباردة، مع

إحداث بعض التغييرات الجوهرية بحيث تتفق مع الوضع الجديد؛ ليمكّنها من تحقيق طموحاتها في عصر العولمة والفوضى السياسية الدولية وحرية الأسواق. ولهذا فقد اعتمدت روسيا في سياستها الخارجية عدة دوائر تعتمد على مراحل نموّها ومدى استقرارها السياسي والاقتصادي، وفي كل هذه الدوائر كان الهدف الأسمى هو تحقيق الاستراتيجية الأمنية على المدى البعيد، كذلك إضفاء الطابع القومي على السياسة الخارجية الروسية، والتأكيد على ضرورة استرداد روسيا المكانة التي افتقدتها منذ قيامها، وإنهاء الانفراد الأمريكي بموقع السيطرة المطلقة على العالم، وكذلك العمل على إنشاء نواة نظام عالمي جديد عبر التحالفات المختلفة مع الصين والهند وغيرها.

وقد تمثلت الخطة الروسية في:

١. السعي إلى علاقات متميزة وتعاون استراتيجي مع أصدقاء الاتحاد السوفييتي السابقين، لا سيما الهند وإيران والصين.

٢. الاتفاق مع دول الجوار الإقليمي حول كيفية إقرار السلام والاستقرار في المنطقة.

٣. الواقعية في التفكير، وزيادة التعاون وتعزيز العلاقات مع كومنولث الدول المستقلة.

٤. السعي إلى تعزيز النفوذ الروسي في الفضاء السياسي للاتحاد السوفييتي السابق.

٥. منع انتشار الصراعات السياسية والعسكرية المؤدية لعدم الاستقرار في آسيا الوسطى.

٦. تعزيز قيم الديمقراطية في روسيا.

٧. التأكيد على الأمن القومي وحدودها الغربية مع أوروبا عبر تحالفاتها، خاصة الدول الإسكندنافية ودول بحر البلطيق.

وكان من أهم الخطوات التي اتخذها بوتين لتقوية سياسة بلاده الخارجية في مواجهة القوى العالمية الكبرى الأخرى؛ اندماج روسيا في العديد من نشاطات السياسة الخارجية مثل مجموعة الدول الصناعية الثماني الكبرى، ومنتدى آسيا- باسيفيك للتعاون الاقتصادي، ورابطة الأمم لجنوب شرق آسيا، ومؤتمرات القمة الروسية مع الاتحاد الأوروبي، وغيرها.

والشرق الأوسط يمثل حزاماً غير محكم الأطراف يحيط بجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز اللتين تعتبرهما روسيا مجالاً حيوياً لها، وتُسخّر كل إمكاناتها لمنع أي تعدٍّ يهدد تلك المناطق. لذا كان اهتمام موسكو منذ انهيار الاتحاد السوفييتي بشكل خاص بكلٍّ من تركيا وإيران، ذلك لأنهما أكثر دولتين في الشرق الأوسط رغبةً في النفاذ إلى هاتين المنطقتين، ومحاولة اختراقهما والسيطرة عليهما، وهذا نظراً لوجود نوع من الارتباط الديني أو العرقي أو اللغوي الذي بين هاتين الدولتين وبين الشعوب القوقازية وآسيا الوسطى.كذلك حاولت روسيا الاستفادة من الموقع الجيوسياسي الإيراني لمواجهة التغلغل التركي، في حين بذلت تركيا جهداً هائلاً في تطوير علاقاتها مع جيرانها، فقد شهدت السنوات الأخيرة تزايد ظهور الدور التركي والاهتمام به في غالبية القضايا المحورية في الشرق الأوسط، ولاسيما بعد وصول حزب العدالة والتنمية للحكم في ٢٠٠٢ وإعلانه تدشين سياسة تركية جديدة تجاه المنطقة، قوامها تأكيد حضور تركيا ومكانتها كقوة مركزية وطرف فاعل في الولوج لمختلف القضايا والصراعات في المنطقة، والاستفادة القصوى منها عبر انتهاج سياسة انتهاز الظروف والمناخات السياسية الدولية. كذلك التأكيد على تبنيهم رؤية مختلفة نوعية لسياسة تركيا وعلاقاتها الخارجية في الدوائر المختلفة، وبخاصة في الدائرة الشرق أوسطية، وعزز من هذا الاهتمام ما شهدته عناصر وظروف دولية وصراعات ساعدت تركيا لاسيما في أبعادها الاقتصادية. وصاحب ذلك زيادة حضور الدور التركي ونشاطه في العديد من القضايا المحورية في المنطقة، سواء فيما يتعلق بالقضية العراقية، أو أزمة البرنامج النووي الإيراني، أو في الملف السوري وليبيا والأزمات التي حصلت في ناغورنو كاراباخ وقبرص وجنوب السودان والصومال وغيرها من المناطق، أو طرح تركيا كوسيط في قضايا التفاهمات في المنطقة بأبعاده المختلفة، وغيرها من القضايا.

لقد تبنت حكومة العدالة والتنمية

سياسات متعددة تتمثل عناصرها الأساسية في:

١. تغليب لغة المصلحة التركية القائمة على مبدأ تصدير الأزمات، وتكريس سياسات الحصار والعزل، وتشجيع سياسات الانخراط السلبي في القضايا كما في ناغورنو كاراباخ وليبيا وشمال العراق وفي سوريا وأوكرانيا وأفغانستان.

٢. الاعتماد على المدخل الاقتصادي لتحقيق المكاسب وإدارة الخلافات، وتعزيز سياسة السيطرة والاستفادة من اقتصادات المنطقة واستغلال حالة الصراعات الإقليمية، وحالة عدم الاستقرار في البلدان التي تعاني من الأزمات.

٣. التأكيد على العقلية الواحدة في التعامل مع الكيانات والأقليات التي تتميز بطابعها الثقافي المنوّع، وذلك في إطار طمس الثقافات وتغليب العنصر التركي وتتريك الثقافة.

٤. النظر على أهمية التنسيق الأمني ورفض سياسات الحوار، وتأكيد مفهوم الأمن القومي التركي والذي اتخذته كذريعة لترسيخ سياساتها، مع عدم استبعاد إمكانية استخدام القوة العسكرية لتحقيق ذلك.

٥. تسريع وتنشيط الدور التركي في المنطقة بما يتجاوز حدودها الجغرافية في المنطقة ومجالها المائي البحري، وذلك عبر إظهار سياسة القوة المفترسة المدفوعة بالسياسات العليا للدولة التركية.

بالعودة إلى العلاقات الاقتصادية بين تركيا وروسيا؛ فلقد نجحت فيها تركيا بالتغطية على الخلافات السياسية، وتحولت روسيا إلى أهم شريك تجاري لتركيا، متجاوزة في ٢٠٠٨ بذلك ألمانيا، لا سيما في قطاع الطاقة، ومن جهة أخرى احتلت السوقُ الروسية المرتبة الثالثة بالنسبة للصادرات التركية، وكان من المتوقع أن يصل حجم المعاملات الاقتصادية بين البلدين إلى ١٠٠ مليار دولار في عام ٢٠١٥، وكان هناك توجّه من الطرفين وتفاهم يتعلق ببناء أنبوب لنقل الغاز يمر عبر تركيا، بيد أن تركيا تراجعت في العام ٢٠٠٠ عن المضيّ في هذا المشروع، والانضمام للتعاون مع الغرب في مشروع باكو الذي جرى إقراره من أجل نقل الطاقة من القوقاز إلى أوروبا عبر التراب التركي، محاذياً لروسيا ثم إيران. وقد ردت روسيا بمشروع أنبوب الجنوب، الذي ينقل الغاز لأوروبا عبر البحر الأسود.هذه العلاقات فيما بين روسيا وتركيا ركزت على الاعتبارات الاقتصادية والطاقة، وأصبحت المحور الرئيسي للسياسة التركية تجاه المنطقة، والتي لقيت بدورها دعماً أميركيا من أجل بناء خطوط أنابيب لنقل النفط والغاز من آسيا الوسطى إلى ميناء جيهان التركي عبر خط "باكو ـ جيهان" تفادياً لمروره عبر الأراضي الروسية أو الإيرانية فيما يعرف بحرب الأنابيب. ومع ذلك فإن الاستراتيجية التركية في آسيا الوسطى والمدعومة من الدول الغربية والولايات المتحدة الأميركية، تواجه عقبات عديدة من أهمها ضعف الاقتصاد التركي، وقلة الإمكانيات المالية التركية في مواجهة المصاعب الاقتصادية في دول آسيا الوسطى، وتضارب المصالح التركية مع اللاعبين الإقليميين في المنطقة، خاصة إيران وروسيا.

بالنظر إلى أبرز الدوافع التي أدت إلى التقارب الروسي التركي يمكننا فهم رؤية كلا البلدين على النحو الآتي:

١. محاولات روسيا في إطار مواجهة المخاطر الاقتصادية

هناك العديد من الأزمات المتلاحقة الّتي تواجه روسيا وأثقلت كاهلها المالي، خاصة بسبب العقوبات التي يفرضها الأمريكيون والغرب عليها بسبب الحرب الأوكرانية، والتي تجاوزت خسائرها مئات المليارات من الدولارات، إضافة إلى ما تخسره سنوياً بسبب العقوبات الجيوسياسية، كما تخسر من ٩٠ إلى ١٠٠ مليار دولار أخرى بسبب تدني أسعار النفط بحوالي ٣٠٪، بالإضافة إلى تراجع احتياطيات النقد الأجنبي في روسيا بنحو ١٠٠ مليار دولار بنهاية أكتوبر الماضي لتصل إلى ٤٢٨,٦ مليار دولار، مقابل ٥٢٤,٣ مليار دولار في نفس الشهر

”تمكّنت روسيا وتركيا من إيجاد أرضيّة مشتركة لتطوير الفرص المشتركة، خاصة منذ ولاية الرئيس فلاديمير بوتين الأولى في ٢٠٠٠، وتولي حزب العدالة والتنمية برئاسة أردوغان رئاسة الحكومة في ٢٠٠٢، حيث اتجهت العلاقات الروسية – التركية نحو مرحلة أكثر هدوءاً من شأنها أن تركز أساساً على التعاون بدلاً من الصراع، ولذلك تم توقيع ÷خطة العمل المشتركة للتعاون في أوراسيا بين البلدين في ٢٠٠١“

من العام الماضي، بسبب تدخل البنك المركزي بمليارات الدولارات لدعم الروبل. وتمنع العقوبات التي فرضها الغرب على روسيا من وصول موسكو إلى أسواق المال الدولية والحصول على التقنيات المتطورة تدفع هذه الأزمات روسيا إلى التركيز بشكل أكبر على التعاون الّذي سيحقق نتائج مثمرة للبلدين في مجال رئيسي هو الاقتصاد، وهو المجال الّذي تزداد فيه العلاقات قوةً بين البلدين، حيث تنظر روسيا إلى تركيا كشريك اقتصادي قد يساهم في إعادة التوازن للاقتصاد الروسي.

محاولات روسيا استقطاب تركيا وتحييدها:

حاولت روسيا استقطاب تركيا وتحييدها عن السياسات الغربية المتعلقة بروسيا، مثل العقوبات أو أي سياسة احتواء جديدة باعتبار تركيا حليفاً تقليدياً للغرب، وسعى بوتين فى ذلك بالتركيز على الإغراءات الاقتصادية، وأعلن استقلال تركيا عن الغرب وتوقيعها اتفاقيات استراتيجية مع روسيا، كما تسعى روسيا لخلق تباينات بين تركيا وأوروبا، كذلك الدوافع الجيوبولتيكية مثل ربط المصالح التركية في مجالات استراتيجية كالفضاء والطاقة النووية والاقتصاد والسياحة، بروابط وثيقة تجعل تركيا تعتمد بشكل كبير اقتصادياً واستراتيجياً على روسيا، مما يجعلها غير قادرة عن التخلي عن روسيا، إضافة إلى تأثير روسي داخل السياسة التركية. كذلك تسعى روسيا من خلال تعاظم المصالح مع تركيا، للتأثير على السياسة الخارجية التركية في المنطقة العربية فى القضايا الّتي تتعلق بروسيا ونفوذها، خاصة في ظل تأثير الغرب على تركيا باعتبارها عضواً في حلف الناتو.

٢. الأهداف الاستراتيجية التركية على الصعد الدولية والإقليمية والمحلية، منها:

ـ التأثير على التوازن الإقليمي:

شكّل اختلال توازن القوى الإقليمية غير التقليدية لمصلحة إيران وإسرائيل في المجال النووي وتقنيات الفضاء، دافعاً قوياً لتركيا لزيادة شراكتها مع روسيا، حيث تُعدّ روسيا مصدراً مهمّاً و متاحاً لتمكينها من تسريع بناء مشاريع الطاقة النووية والأقمار الاصطناعية لتضييق هذه الفجوة، حيث قام الرئيس الروسي دميتري مدفيديف يوم ١٢ مايو عام ٢٠١٠ بزيارة تركيا، والتي أسفرت عن توقيع ١٧ اتفاقية، منها اتفاقيات التعاون في مجال الطاقة وبناء محطة كهروذرية، كما وقّع الطرفان أيضاً اتفاقية التعاون حول بناء وتشغيل محطة كهروذرية في موقع أككويو قرب مدينة ميرسين التركية. وأكدت الاتفاقيات الموقّعة في ديسمبر٢٠١٢ على استمرار هذا المشروع الذي تبلغ تكلفته نحو٢٠ مليار دولار، والذي سيساهم في خلق نواة جيل من العلماء والفنيين الأتراك في مجال الطاقة النووية، بعد أن أرسلت تركيا أكثر من مئتي طالب إلى روسيا لتلقّي التعليم في هذا المجال منذ عام٢٠١١ في مجال الفضاء، فقد تم إطلاق أول قمرٍ صناعي تركي»Türksat٤A«

للاتصالات على متن صاروخ روسي في فبراير ٢٠١٤، وأكدت الاتفاقيات الأخيرة " على عزم البلدين إطلاق القمر الثاني.B-Türksat» في عام ٢٠١٥.كذلك سعت تركيا لتصبح المركز الإقليمي لنقل الغاز الطبيعي والنفط من الدول النفطية الأساسية في الشرق إلى أوروبا، حيث تزوّد روسيا تركيا بأكثر من ٧٠٪ من الغاز المستورد إلى تركيا، وقد بنت روسيا خطّ أنابيب خاص من أجل صادراتها من الغاز إلى تركيا تحت البحر الأسود يحمل اسم "بلو ستريم". فيما بعد تم توقيع اتفاقيات مشتركة في مجال الطاقة أيضاً، وبناءً على هذه الاتفاقيات تتحول تركيا إلى بلدٍ عبورٍ رئيسي للغاز الروسي إلى أوروبا، ويقوم البَلَدان بمشروع مدّ "السيل التركي" للغاز الطبيعي بأربعة خطوط، أحدها بحجم ستة عشر مليار متر مربع، سيمتد من روسيا إلى تركيا مباشرة عبر البحر الأسود. ما سيوفر في أسعار الغاز الروسي المورّد إلى تركيا، والخطوط الأخرى بحجم خمسين مليار متر من تركيا إلى اليونان، لتوصيل الغاز الروسي لأوربا، والذي ستستفيد تركيا منه أيضاً في لعب دور الموزّع وتوفير فرص العمل وجذب الأموال إليها. كما وقّعت روسيا وتركيا خلال زيارة مدفيديف كذلك على مذكرة للتعاون في مجال ضمان النقل الآمن للنفط في منطقة البحر الأسود، ويعطي الطرفان الأولوية لمشروع أنبوب النفط سامسون– جيهان الذي بدأ بناؤه في أواخر إبريل عام ٢٠١٠، ويمرّ الخط من شمال تركيا إلى جنوبها التفافاً على مضيقي البوسفور والدردنيل، وسينقل النفطَ الروسي من حوض البحر الأسود إلى الأسواق الأوروبية.

٣. الصراع الاقتصادي ضمن النظام العالمي الجديد:

عند وصول حزب الحرية والعدالة إلى السلطة في تركيا وعبر حصولها على الكثير من أصوات الأتراك في الانتخابات المتتالية على أساس التنمية الاقتصادية، عُدّت روسيا هي الخيار الأمثل لتحقيق هذه التنمية الاقتصادية والوصول لهذا الهدف، حيث يزداد حجم التبادل السلعي بين البلدين من سنة إلى أخرى، وقد بلغ الحجم عام ٢٠٠٤ قيمة ١١ مليار دولار، أما في عام ٢٠٠٨ فبلغ قيمة قياسية قدرها ٣٣,٨ مليار دولار. وسعى البلدان إلى تطوير حجم التبادل التجاري بينهما ليصل مستواه إلى مئة مليار دولار بدلًا من ٤٠ مليار، وبناء مصارف روسية في أنقرة، وتطوير خطوط النفط والغاز الآتية من روسيا نحو أوروبا عن طريق تركيا، والتي تعتمد على البترول والغاز الروسيين بالدرجة الأولى، فالشركات التركية التي تعمل في روسيا تصل إلى أكثر من ١٥٠٠ شركة، ويصل حجم زوّار تركيا من السوّاح الروس إلى أكثر من خمسة ملايين سائح سنويًّا. ويُذكر أن الشراكة الاقتصادية بين البلدين تعززت خلال زيارة بوتين الأخيرة لتركيا، إذ اصطحب وفدًا ضخمًا من رجال الأعمال، فوقّع الجانبان ١١ اتفاقية تعاون مشترك في مختلف المجالات الاقتصادية والسياحية والثقافية، واتفاقيات في القطاع المصرفي والصناعي والزراعي، وصولًا إلى مشروع إنشاء محطة للطاقة النووية كما سبقت الإشارة، كذلك التعاون في قطاع الإنشاءات بالإضافة إلى العديد من اتفاقيات التعاون بين البلدين.

٤. الأهمية الغربية لتركيا:

تساهم العلاقات الاستراتيجية التركية مع روسيا في تحقيق هدفين على صعيد سياستها الغربية: الأول تقوية وضع تركيا التفاوضي مع الاتحاد الأوروبي في ظل حرمانها من عضويته، لذلك تسعى إلى زيادة قوتها الاقتصادية حتى يزداد الاحتياج لها، وكذلك توسّع من شراكتها مع روسيا كبديل متاح للاتحاد الأوروبي. والثاني على عكس المتوقع لم تتبع تركيا سياسة العقوبات الّتي تبنتها الدول الغربية ضد روسيا بعد الأزمة الأوكرانية، بل اتجهت إلى توسيع العلاقات معها، وقد استفادت تركيا وحظيت بحصة كبيرة من الأسواق الروسية، ومن ناحية أخرى زادت الحاجة الأمنية الغربية لتركيا وأهمية التعاون العسكري معها.

ثالثاً: مستقبل التقارب الروسي التركي:

لا شكّ في أن طبيعة الموقع الجغرافي لتركيا

هي التي حددت عبر التاريخ شكل ومسار علاقاتها مع دول الجوار، وهو ما ينطبق بصورة جلية على العلاقات التركية الروسية التي شهدت خطوات للتقارب، وأخرى للتباعد، طبقًا لتضارب المصالح والرؤى بينهما، فإذا كان صحيحاً أن العلاقات بين البلدين من الأهمية بمكان أن يحرص الطرفان على تنميتها والحفاظ عليها؛ فعلى مدار التاريخ الطويل للدولتين مرت علاقاتهما بموجات من الصعود والهبوط ارتباطاً بتوجهات القيادة السياسية في الدولتين من ناحية، وبالارتباطات الدولية والإقليمية لكل طرف من ناحية أخرى، حيث يمثل الجانب الاقتصادي حجر الزاوية في مسار التقارب التركي الروسي، إذ تمثل تركيا سابع أكبر شريك تجاري لروسيا، وتسبق معظم أعضاء مجموعة "البريكس" لأكبر الأسواق النامية في العالم، كما أنها الوجهة الأولى للسيّاح الروس، وثاني أكبر أسواق التصدير بعد ألمانيا بالنسبة لشركة غاز بروم المملوكة للدولة الروسية، وعلى الجانب الآخر تشغل روسيا المركز الثاني بين الشركاء التجاريين الرئيسيين لتركيا، حيث إن حجم التبادل التجاري في نهاية العام الماضي وصل إلى ٣٥ مليار دولار طبقًا للتقديرات الأولية الرسمية، وكذلك التعاون في مجال الطاقة.

فإذاً؛ يتعزز التعاون بينهما بسبب وفرة المصالح المتبادلة وتنوعها، وبالفعل تسارعَ انفتاح علاقات الدولتين تجاه بعضهما حتى توصّلتا إلى تأسيس "مجلس التعاون الاستراتيجي رفيع المستوى" في عام ٢٠١٢، ثم القمة الروسية – التركية التي عقدت ديسمبر ٢٠١٤ شراكتهما في مجالات استراتيجية عديدة، ومنها تطوير القدرات الفضائية التركية، وبناء مفاعلها النووي الأول، واعتمادها ناقلًا وحيدًا للغاز الروسي إلى أوروبا، وزيادة حجم التبادل التجاري بينهما إلى مئة مليار دولار في المدى القريب.

خاتمة البحث:

من خلال ما مرّ معنا نجد أن العلاقات الروسية التركية وصلت إلى مراحل متطورة من التعاون مع بداية القرن الحادي والعشرين، وأخذ الطرفان منحى فاعلَين أساسيَين لحالة اللا أمن واللا استقرار في منطقة الشرق الأوسط، خاصة في سوريا وليبيا ومنطقة آسيا الوسطى. وتدعمت هذه العلاقات بشراكة اقتصادية دعمت اقتصاديات البلدين، في وقت شهد فيه العالم أزمة اقتصادية عميقة لا تزال تلقي بظلالها على العالم إلى اليوم. إنّ تباينَ وجهات النظر بين البلدين بشأن ملفات كثيرة، لم يمنع البلدين خلال السنوات الأخيرة من اختيار التنسيق والتعاون بشأن قضايا استراتيجية، وتنسيق مواقف مشتركة مكّنتهما من إحداث خلخلة التوازن في المشهد الدولي، سواء الحدّ من توسع "الناتو" بعد انضمام كلّ من السويد وفنلندا، أو الموقف من الاتحاد الأوروبي، وهي مواقف حدَّت من هيمنة قوى الغرب على المشهد الدولي. ومن الطبيعي أن نشهد نوعاً من التنافس وعدم الارتياح المتبادَل بين البلدين، خاصة أن الروس يراقبون الصعود الملحوظ للقوة التركية في مختلف المجالات، ورغم أن خيار التهدئة واحتواء الأزمة يبدو هو السيناريو الأفضل للطرفين، فإن ما يمرّ به العالم اليوم من تحوّل كبير طال أهم الفاعلين الدوليين، يجعل سيناريو التصعيد يبقى وارداً بسبب حالة الغليان التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط.

المراجع المستخدمة في البحث:

١. منعم العمار، التوجه الروسي تجاه الجمهوريات الإسلامية، مركز بحوث جريدة الجمهورية، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢. عامر علي العلاق، ملامح جديدة فى العلاقات التركية-الروسية، مركز الدراسات الدولية، العدد ٤٠ إبريل ٢٠٠٩م.

٣. السيد صدقى عابدين، السياسة الروسية فى آسيا، «الأهداف والتحديات"، مجلة السياسة الدولية، عدد ١٧٠، أكتوبر ٢٠٠٧م .

٤. محمد عبدالرحمن العبيدي ، سياسة تركيا الخارجية تجاه منطقة القوقاز، جامعة الموصل، مركز الدراسات الإقليمية، ٢٠١٢ م.

٥. حنان أبو سكين، بين الصراع والتعاون، التنافس الدولي في آسيا الوسطى، المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة يونيو ٢٠١٤ م.

٦. معمر فيصل خولي، العلاقات التركية الروسية من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت ٢٠١٤ م.

٧. فتحية محي الدين طه، تطور العلاقات الروسية التركية، المركز الديمقراطي العربي، القاهرة ،٢٠١٦م.

أزمة حضارة أم أزمة قوى الهيمنة؟

فوزي سليمان
سوريا

إن تشابك وتشوش بوصلة الصراعات العالمية، أفرزت أزمات على كافة الأصعدة، لتثقل كاهل البشرية بأزمات خانقة، وتتّجه بخطا متسارعة نحو انفجارات كارثية لا تستثنى معها أية بقعة جغرافية على وجه البسيطة، متخذة أبعاداً خطيرة جداً ومهددة الحياة بذاتها.

إذا ما أردنا سبر أغوار هذا الصراع – البشري – وتناوله منذ نشأته الأولى – البدائية – فهو يتمحور فقط وفقط حول الهيمنة بكل ما للكلمة من معنى مقيت. ومع تسليط الضوء على تاريخ الهيمنة؛ نجدها قد بدأت مع طي عصر الأمومة وبداية عصر البطريركية (الباباوية). وبحسب الميثولوجيا؛ فهي أخذت شكلها العنيف والدموي مع أول جريمة قتل ارتكبها الإنسان بحق أخيه، والتي اقترفها قابيل بحق هابيل. هنا لن نقحم أنفسنا في تاريخ الزيقورات الأولى وكهنتها وأولى المدنيات في سومر، وظهور الديانات وحروبها التوسعية والتي جميعها بدأت هنا في الشرق الأوسط. وعلى هذا الأساس فإن إطلاق تسمية «مهد الحضارة الإنسانية» على هذه البقعة الجغرافية لم يأتِ عن عبث، فمنها بدأت الخطوات الأولى للحضارة نحو أصقاع المعمورة، وبنفس الشكل العثرات الأولى.

بناءً على ما تقدم؛ فإن حل الأزمة الإنسانية يجب أيضاً أن يبدأ من هنا، وبذلك يمكننا إعطاء معنى للصراعات الدولية في الشرق الأوسط والتي تبدو للمتتبّع لها على أنها صراعات لا نهائية، هذه الصراعات التي تتستَّر في كل مرحلة بعباءة مختلفة عما سبقتها. وعلى هذا الأساس لن نغالي إن قلنا إن كل القضايا العالقة والتي بحاجة إلى حلول، ما هي إلا قنابل موقوتة تستخدم عند حاجة القوى المهيمنة إليها. ومن سخرية القدر أن هذه القنابل أضحت «هُويّات قاتلة» تعتمدها الأنظمة الحاكمة كإيديولوجيات مقدّسة يُحرَّم المساس بها، دينية، مذهبية، قومية، هُويّات مشوّهة بياناتها، لا تُعبِّر بأيّ شكل من الأشكال عن حقيقة الشعوب في الشرق الأوسط. وبنفس الشكل؛ فإن الصراعات فيها تقلب الحقائق التاريخية رأساً على عقب.

بادئ ذي بدء؛ وقبل الخوض في معضلة الهيمنة، لا بُدَّ لنا من الإشارة إلى أنها – أي الهيمنة – خرجت عن كونها تستهدف الاستحواذ فقط على القيم المادية والبشرية – القيمة الجاهزة واليد العاملة – للشعوب كما كانت قديماً وتحت مسميات «الفتوحات والغزوات والاحتلالات»، بل تعدَّتها لتشمل كل شيء. ورغم ذلك؛ فإن كل أشكال الهيمنة الغابرة والحالية تستند إلى عامل مشترك وحيد، وهي صبغها بصبغة مؤدلجة ومقدَّسة وتأطيرها بأطر إلهية منقذة للبشرية...!

> **تلعب تركيا اليوم بقيادة أردوغان الدور المتمِم لما قام به السلطان العثماني عبد الحميد، في تفتيت وتقسيم الشرق الأوسط وتحويل تركيا إلى قاعدة انطلاق للمنظمات الإرهابية حول العالم، من خلال اتباع أسوأ أشكال السياسات التي تعتمد على استغلال الصراعات بين القوى المتصارعة وابتزازها في أكثر من ملف، منها على سبيل المثال ملف النازحين السوريين، وكذلك في ملف ما يسمى "المعارضة السورية" التي جعلت من تركيا ولي أمرها، لتخرج الأخيرة عن سوريتها وتتحول إلى مجرد مرتزقة جاهزة وتحت الطلب في خدمة الأجندات التركية حول العالم**

وكما أن لا شيء يتوقف عن التغيير والتطور، فإن الهيمنة أيضا يسري عليها نفس القانون – التغيير – والإبداع في فرض سطوتها على الشعوب وتحت مسميات وعناوين براقة وبمقاييس وتفاصيل محكمة بدهاء يَتيهُ معها العقل البشري، إذ أضحت تتحكم بكل شيء، بأبسط أسباب الحياة إلى أعقدها، بالمأكل والمشرب والملبس والفن والثقافة، لتشكل مجتمعات وأنظمة «روبوتية» مستهلكة.

بهذه المقدمة المقتضبة يمكننا القول إن الهيمنة لا تقتصر فقط حول التنافس على منابع النفط أو الغاز أو المعابر أو المياه أو الأسواق، إنما يشمل كل شيء، باطن وسطح الأرض، ليصل الصراع الحقيقي غير المرئي إلى الفضاء الخارجي – الهيمنة على عالم الاتصالات وتكنولوجياتها – وتحت مسميات مستحدثة. ومن سخرية القدر أن الجميع متفق عليها ويرفعون نفس اليافطة، «الديمقراطية وحقوق الإنسان، وأكذوبة الأكاذيب «الأمن القومي أو الوطني».

ورغم توسع وانتشار مساحات التوتر والصراعات حول العالم، إلا أنّه تظل منطقة الشرق الأوسط مركزاً لهذه الصراعات بلا منازع، ويمكن إطلاق تسمية «مهد أزمة الحضارة الإنسانية» عليها – إن صَحَّ التعبير – إلا أنه هنا في هذه المنطقة الجغرافية تحديداً بدأت الأزمة الإنسانية ومنذ آلاف السنين، والتي الأزمات تتراكم إلى حد الانفجار.

بناءً عليه يمكن القول:

إن أولى خطوات حل المشاكل الإنسانية أيضا تبدأ من هنا، ولكن إلى الآن فإن جميع المقاربات من هذه الأزمة لا تتعدى سياسة الترقيع وتعميق الأزمات بشكل أكبر، والالتفاف بشكل قذر على قضايا الشعوب من خلال مشاريع تقسيمية أكثر ما هي مقسمة، مشاريع شكلها شيء ومضمونها شيء آخر. وفي حقيقة الأمر ماهي إلا مشاريع قديمة جديدة تمتد لأكثر من أربعة قرون ومؤدلجة بطوباوية الكتب المقدسة من جهة، ومن جهة أخرى بمشاريع إعادة أحلام «أمجاد» إمبراطوريات وسلطنات بائدة عفا عليها الزمن، لتصطدم بآمال وتطلعات شعوب الشرق الأوسط التي انتفضت من خلال ثورات ربيع الشعوب، ضد الأنظمة الأوليغارشية والملكية، ولتعبث مرة أخرى بمصير شعوب المنطقة عبر صفقات ومقايضات قذرة، وفي أحسن الأحوال وضع حلول معلَّبة لأشكال أنظمة أسوأ مما سبقتها، كما حدث في تونس

> **"الهيمنة لا تقتصر فقط حول التنافس على منابع النفط أو الغاز أو المعابر أو المياه أو الأسواق، إنما يشمل كل شيء، باطن وسطح الأرض، ليصل الصراع الحقيقي غير المرئي إلى الفضاء الخارجي – الهيمنة على عالم الاتصالات وتكنولوجياتها – وتحت مسميات مستحدثة. ومن سخرية القدر أن الجميع متفق عليها ويرفعون نفس اليافطة، "الديمقراطية وحقوق الإنسان، وأكذوبة الأكاذيب "الأمن القومي أو الوطني".**

وليبيا واليمن وسوريا والعراق، وإقحام المنطقة في صراعات دموية دينية مذهبية – قومية – طائفية، وكأن الجميع سلم زمام أموره إلى القوى المهيمنة التي تحرك الملفات الملغومة كما تشاء وفي الزمان والمكان الذي تشاء.

وإذا ما أضفنا إلى هذا الصراع، ظهور منافسين جُدُد على الساحة تناطح القوى المهيمنة التقليدية على الشرق الأوسط، مثل الصين وروسيا وتركيا وإيران التي تبحث عن موطئ قدم لها في هذه السوق الاستهلاكية، وفي نفس الوقت تسعى لتصدير أزماتها الداخلية إلى خارج حدودها. وتُعَدُّ تركيا أنموذجاً صارخا لهذه الحقيقة ومن أكثر الدول المناهضة لتطلعات شعوب المنطقة ولعبت – ولا تزال – على تفتيت وتقسيم المنطقة، والتي فعلياً بدأت منذ عهد السلطان العثماني عبد الحميد، مع استقباله للوفود اليهودية المهاجرة من إسبانيا وأوروبا،

مقابل دعم امبراطوريته التي كانت تعاني من أزمة اقتصادية خانقة، والسماح لليهود بشراء الأراضي الفلسطينية من خلال إصدار فرمانات «حق التملك».

ما أشبه اليوم بالأمس؛ إذ تلعب تركيا اليوم بقيادة أردوغان الدور المتمّم لما قام به السلطان العثماني عبد الحميد، في تفتيت وتقسيم الشرق الأوسط وتحويل تركيا إلى قاعدة انطلاق للمنظمات الإرهابية حول العالم، من خلال اتباع أسوأ أشكال السياسات التي تعتمد على استغلال الصراعات بين القوى المتصارعة وابتزازها في أكثر من ملف، منها على سبيل المثال ملف النازحين السوريين، وكذلك في ملف ما يسمى «المعارضة السورية» التي جعلت من تركيا وليَّ أمرها، لتخرج الأخيرة عن سوريّتها وتتحول إلى مجرّد مرتزقة جاهزة وتحت الطلب في خدمة الأجندات التركية حول العالم، في حين أن تركيا نفسها تنفذ ما أوكل لها من مخططات لتقسيم منطقة الشرق الأوسط.

انغمست تركيا في مستنقعات لا يمكن لها النجاة منها:

نتيجة الأزمات المتلاحقة التي تعصف بها اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، وبعد ذلك نتيجة طبيعية للعقلية العسكرتارية الفاشية التي تعتمدها في مقارباتها من قضايا الشعوب، وعلى رأسها قضية الشعب الكردستاني، وكذلك القضية الفلسطينية وقضايا شعوب المنطقة، على وجه العموم.

إن بوصلة الأحداث والتطورات التي يشهدها العالم والتي وصلت إلى حافة الهاوية، وتنذر بحرب عالمية ثالثة، تثبت أن كل السياسات المتبعة فاشلة، بدءاً من خرافة «سياسة القطب الواحد» وحتى سياسة «تقسيم العالم إلى قطبين» أو متعدد الأقطاب وتشكيل التحالفات والاصطفافات، وبنفس الشكل ثبت للمرة المليون فشل نظرية حروب تكلفتها صفر، كما تتشدق بها العديد من القوى..! والحرب الأوكرانية أثبتت ذلك، كما وأثبتت في الوقت عينه فظاظة وتوحّش هذه السياسات وكيف أثرت على العالم أجمع، وعلى رأسها القوى المهيمنة على السياسة العالمية، التي كانت – ولا تزال – تتبع معيار الكيل بمكيالين تجاه العديد من القضايا؛ مؤكّدة أن الأزمة ليست أزمة شعوب العالم وحسب، إنما هي أزمة القوى المهيمنة ذاتها.

وفق هذه النتيجة المنطقية؛

يتبيّن أنّه لا مفرّ للقوى المهيمنة على العالم من الإقدام على تغيير جوهري في مجمل سياساتها التي تعتمد على المنفعة وحيدة الجانب، واعتماد سياسات عادلة تجاه قضايا الشعوب العادلة، وتفعيل المؤسسات الدولية في خدمة إحقاق الحقوق والعدالة والحرية والديمقراطية، وإخراجها من تحت عباءة قوى بعينها، لتكون مؤسسات إنسانية خالصة.

هجرة الشباب السوري

تاريخها... آثارها... هل تتكرر الأسباب والنتائج؟ وحاجة القارة الأوروبية لمهاجري الشرق الأوسط، والأسباب.

جيهان عبدو

النرويج

مقدمة

بعد أكثر من عقد أدت الاضطرابات والحرب الأهلية في سوريا، نتيجة الربيع العربي، إلى إحدى أكثر الحروب الأهلية دموية في الشرق الأوسط مع عواقب وخيمة على حياة الجميع ومن ضمنهم الشباب، بالإضافة إلى إحداث تغيير اجتماعي هائل على المستوى الهيكلي للأنظمة القانونية، الاجتماعية، التعليمية، الصحية والاقتصادية، وأهمها الانهيار الاقتصادي وتفشي البطالة في قلب الحياة الأسرية اليومية. بالنسبة للشباب السوريين النازحين واللاجئين، أدت الحرب الأهلية إلى دمار بشري؛ مما أعاد التنمية في البلاد 25 عاماً إلى الوراء. منذ عام 2011 تسبب العنف السياسي في سوريا في حدوث أكبر أزمة لاجئين في العالم، حيث عبَرَ أكثر من 5.5 مليون لاجئ سوري الحدود الوطنية إلى تركيا ولبنان والأردن والعراق ومصر ومنها إلى أوروبا، ويشكل الشباب نصف هؤلاء السكان النازحين، وبحلول عام 2019، وُلد أكثر من مليون طفل سوري لاجئ في بلدان المنطقة.

إن إعادة التوطين الإقليمي بالنسبة للعديد من اللاجئين السوريين هو وضع محدود، حيث اضطر الكثير منهم إلى الانتقال بصورة متكررة غير قادرين على العودة إلى ديارهم، ويُمنعون أو لا يرغبون في جعل مكان إقامتهم الحالي موطنهم الطويل الأجل. في عام ٢٠١٩ نقلت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ٢٤٧٠٠ لاجئ من تركيا ولبنان والأردن إلى دولة ثالثة في كندا وأستراليا وأوروبا، ويتم منح هؤلاء الأفراد الحماية القانونية الكاملة كلاجئين رسميين، سواء في المنطقة أو في البلدان ذات الدخل المرتفع في الغرب. يواجه الأطفال والمراهقون السوريون اللاجئون مسار حياة متغيراً عن الحياة التي تخيلوها هم وأولياء أمورهم. إن المواقف تتغير كإعادة تشكيل ديناميكيات الشخص - العالم الاجتماعي والبيئة. تأخذ هذه المقالة منظور هجرة الشباب السوري: تاريخها، آثارها، هل تتكرر الأسباب والنتائج، وحاجة القارة الأوروبية لمهاجري الشرق الأوسط والأسباب.

تاريخ هجرة الشباب السوري وآثارها عليهم:

من شمال إفريقيا إلى الشرق الأوسط، أحدثت الانتفاضات العربية عام ٢٠١١ تحولات غير مسبوقة، وعلى عكس الأنظمة التي أطيح بها في الربيع العربي، ظل النظام السوري في زمام القيادة للإشراف على صراع تحول من احتجاج محدود إلى صراع سياسي شامل يتسم بمخاطر نشوب حرب أهلية عرقية - طائفية. يستمر العنف بلا هوادة داخل سوريا، أكثر من ١٦ مليون شخص في حاجة ماسة للمساعدات الإنسانية، ١٢،٢ مليون منهم داخل سوريا وحدها. ٥،٦ مليون من هؤلاء هم من الأطفال. وبالإضافة إلى ذلك، نزح أكثر من ٧،٦ مليون شخص داخليًا، يقيم حوالي ٤،٨ مليون منهم في مناطق يصعب الوصول إليها، بما في ذلك ما لا يقل عن ٤٤٠ ألف شخص محاصرين في مناطق محاصرة من قبل القوات الحكومية أو المعارضة. تبلغ المتطلبات غير المستوفاة داخل سوريا حوالي ١،٥ مليار يورو، وقد أجبر هذا العديد من الجهات الفاعلة الإنسانية على تقليل دعمهم داخل البلاد، فكان لا بد من قطع الحصص الغذائية؛ حيث عانى ما يصل إلى ٥ ملايين شخص، نصفهم من الأطفال من انقطاعات كبيرة في إمدادات المياه، مما أدى إلى مخاطر كبيرة للإصابة بالأمراض نتيجة لذلك. يُعدّ نقص المساعدات الإنسانية التي تصل داخل سوريا سببًا رئيسيًا آخر لمغادرة السوريين لبلادهم التي هي في حالة حرب، علاوة على انعدام الأمن الذي يواجهونه يوميًا. لقد تحول ما يصل إلى ٢ أو ٣ ملايين نازح داخلي إلى لاجئين في البلدان المجاورة خلال أشهر قليلة أثناء فرارهم من الفقر والعنف ونقص المساعدة. تُعتبر الاحتياجات الإنسانية شديدة الأهمية بشكل خاص في المناطق التي تشهد أعلى معدلات نزوح ناجمة عن القتال المستمر، ولا سيما في مناطق حلب ودرعا ودير الزور وريف دمشق، وكذلك في المحافظات التي تدعم أكبر عدد من النازحين. تظل قطاعات التدخل ذات الأولوية هي الصحة والغسيل والحماية والغذاء، ولا تزال الصحة هي أكثر القطاعات إثارة للقلق في سوريا. إن وصول المساعدات الإنسانية إلى الأشخاص المحتاجين في سوريا مقيّد بشدة بسبب انعدام الأمن والعوائق الإدارية والبيروقراطية، فضلاً عن الحرمان المنهجي من الوصول. وبالإضافة إلى ذلك، يساهم انعدام الأمن والضغوط المتزايدة على الجهات الفاعلة الإنسانية للعمل في وعبْرَ المناطق الخاضعة لسيطرة الجماعات المسلحة المختلفة، في حدوث فجوات وتأخيرات في المساعدة الإنسانية مقارنةً بالحجم المتزايد للاحتياجات في سوريا. لقد أودى هذا الوضع بحياة أكثر من ٢٠ ألف شخص وأجبر ما يقرب من ٤٠٠ ألف سوري على الفرار من وطنهم. إن أعداد المتضررين مذهلة، فبحسب إحصائيات عام ٢٠١٥ فقد تضرر ما يقرب ٣ مليون شخص من الأزمة، و ٢،٥ مليون بحاجة إلى المساعدة، و١،٥ مليون شُرِّدوا.

رحلة إلى الأمل

بالإضافة إلى الاحتياجات المتزايدة داخل سوريا، سعى أكثر من أربعة ملايين سوري إلى الأمان في البلدان المجاورة مثل تركيا ولبنان والأردن والعراق ومصر، ولكن تواجه حكوماتهم ضغوطًا أمنية

واجتماعية واقتصادية وسياسية هائلة في استضافة هذا العدد الكبير من اللاجئين. مع تصاعد التوترات تجاه مجتمعات اللاجئين، ونتيجة لذلك، تم تشديد القيود الحدودية على الأشخاص الفارّين من الصراع والاضطهاد في سوريا. تتنوع أسباب الهجرة بين كل منطقة في سوريا على اختلاف جهات السيطرة. فسوريا أصبحت مقسّمة إلى عدة أقسام داخلية، حيث إن كل منطقة عائدة إلى مجموعة معينة تسيطر عليها.

هناك أسباب مشتركة للهجرة خارج أو داخل سوريا، من أهمها تردّي الأوضاع المعيشية والتضييق الأمني، ونذكر مثالاً عن حالة من الحالات هي أن نسبة الطلب تزداد على جوازات السفر في مناطق سيطرة النظام، والتأشيرات في الدوائر الحكومية للسفر إلى دول مختلفة من أبرزها الدول التي تسّهل حركة دخول السوريين مثل مصر. الأسباب الإضافية الأخرى هي التجنيد الإلزامي حيث أن مناطق سيطرة النظام شهدت تزايداً في عمليات الخروج هرباً من الواقع الحالي المعاش من غلاء المعيشة والتضييق الأمني، عبر طرق التهريب بأسعار باهظة الثمن، وهذا أيضاً بسبب التجنيد الإلزامي الذي يلاحق الشباب، حيث إنه يستمر من سنة إلى عشر سنوات دون أمل العودة إلى عائلاتهم وحياتهم الطبيعية. إن مناطق الحدود السورية التركية تشهد حركة هروب مستمرة وبشكل شبه يومي لمدنيين شباب للدخول إلى تركيا، ومنها إلى دول أوروبية مع مواجهة الشباب الكثير من الصعوبات والتحديات والمتاعب ليتمكنوا من الخروج، حيث إن من لا يستطيع الخروج أو السفر عبر الطرق الرسمية كالطيران أو عن طريق البرّ بالمرور من الحدود بشكل نظامي، وجب عليه التوجه إلى الشمال السوري والوصول إلى الحدود السورية التركية عبر طرق التهريب المليئة بالمخاطر وبمبالغ كبيرة. تبلغ المتطلبات غير المستوفاة في البلدان المجاورة لسوريا ٢ مليار يورو، وهناك حاجة إلى مزيد من المساعدات الإنسانية لتغطية الاحتياجات الأكثر إلحاحاً للاجئين في البلدان المجاورة، ولا سيما اللاجئين الجدد وكذلك الفئات الأكثر ضعفًا بين اللاجئين. هناك حاجة إلى مزيد من المساعدة طويلة الأجل والموجّهة نحو الصمود لتحسين الدعم لسبل

"إن إعادة التوطين الإقليمي بالنسبة للعديد من اللاجئين السوريين هو وضع محدود، حيث اضطر الكثير منهم إلى الانتقال بصورة متكررة غير قادرين على العودة إلى ديارهم، ويمنعون أو لا يرغبون في جعل مكانُ إقامتهم الحالي موطنهم الطويل الأجل. في عام ٢٠١٩ نقلت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ٢٤٧٠٠ لاجئ من تركيا ولبنان والأردن إلى دولة ثالثة في كندا وأستراليا وأوروبا."

العيش، والوصول إلى الخدمات الأساسية مثل الصحة والتعليم. في تركيا عدد المهاجرين وصل إلى أكثر من ٣ مليون لاجئ سوري مسجل. يستضيف لبنان أكبر معدل للاجئين لكل فرد في العالم، حيث يشكل اللاجئون السوريون واحداً من كل أربعة مقيمين، وفي الأردن تضاعف تقريباً عدد اللاجئين المصابين بالحرب الشديدة. أدى الصعود السريع لداعش أو الدولة الإسلامية في العراق والشام إلى زيادة تعقيد الوضع، وتغيير الديناميكيات والخطوط الأمامية الجغرافية للصراع، فالهجمات الانتقامية واسعة النطاق ضد السكان المدنيين في المناطق المحررة حديثًاً بدعم من التحالف الدولي تبعث على القلق الشديد، وبالمثل، فإن تصاعد العنف العشوائي في المناطق المتنازع عليها له تأثير كبير على السكان المدنيين. منذ بداية عام ٢٠١٥، نزح أكثر من ٢٥٠٠٠٠ شخص داخل وعبر محافظات الحسكة وإدلب ودرعا والقنيطرة في أعقاب الهجمات العنيفة والقصف الجوي، لقد تم تهجير العديد منهم عدة مرات، مع وجود عدد غير معروف من الأشخاص الذين يعيشون في

ترتيبات مليئة بالمخاطر ومؤقتة في حلب وأجزاء من ريف دمشق، وهذه الاتجاهات تحثّ على تعزيز التخطيط للطوارئ الإنسانية.

أظهرت جميع أطراف النزاع باستمرار تجاهلًا تامًا للقانون الإنساني الدولي وقانون حقوق الإنسان، مع تجاهل الأطراف المتحاربة للتمييز الإلزامي بين المدنيين والمقاتلين، ولا يزال العنف بما في ذلك الاستخدام العشوائي للبراميل المتفجرة والسيارات المفخخة وقذائف الهاون والقصف، يتسبب في سقوط قتلى وجرحى في صفوف المدنيين. الصحة هي القطاع الأكثر إثارة للقلق في سوريا، لقد انهارت المرافق ولم يعد بإمكان السكان الحصول على العلاج الجراحي وإعادة التأهيل بعد العملية وما إلى ذلك، وهناك نقص واضح في الأدوية والطاقم الطبي في البلاد. يُصاب ما معدله ٢٥٠٠٠ شخص كل شهر، ويعاني عدد متزايد منهم من مضاعفات بسبب النقص الحادّ في الإمدادات الجراحية. يؤثر تدمير البنية التحتية للمياه والكهرباء في المناطق المتنازع عليها على آلاف الأشخاص، ليس فقط من حيث الوصول إلى المياه النظيفة، ولكن أيضًا في زيادة مخاطر انتشار الأمراض. وبالمثل، دمرت الهجمات والقصف عددًا من المدارس والمستشفيات والأسواق، مما أدى إلى تعطيل الخدمات الأساسية النادرة بالفعل والمطلوبة لبقاء الناس. تتعرض قدرة المجتمعات المضيفة لضغوط هائلة، إذ تفيد التقارير بوجود قيود متزايدة على بعض الطرق والوصول إلى المدن والقرى، لمنع وصول أعداد المشرَّدين داخلياً الذين يفوق عددهم في بعض المناطق عدد السكان المحليين. إن توفير المأوى المناسب لهؤلاء السكان المهجَّرين هو مصدر قلق كبير، وبالإضافة إلى الاحتياجات المتزايدة داخل سوريا، سعى ما يقرب من أربعة ملايين سوري إلى الأمان في البلدان المجاورة، فهجرة الشباب السوري هي نتيجة كل هذه الأسباب مما يؤدي إلى زيادة وتكرار عمليات الهجرة والعيش في سوريا، بالأخص مناطق الحرب.

حاجة القارة الأوروبية لمهاجري الشرق الأوسط، والأسباب:

حكمة "مصائب قوم عند قوم فوائد" يمكن تطبيقها وبشدة في أزمة اللاجئين، حيث أنّ القارة الأوروبية بحاجة إلى اللاجئين لتعويض تباطؤ النمو السكاني، والحاجة إلى اليد العاملة لتطوير البلاد أكثر، وتحسين الاقتصاد، ولكن لا يوجد معطيات تساعد على ادّعاء ذلك. يمكن توقّع ذلك من خلال متابعة الإعلام بمختلف انحيازاته السياسية، بالإضافة إلى تتبّع وسائل التواصل الاجتماعي، ويمكن الوصول إلى النتائج التالية: أولها وجود مصلحة قومية واقتصادية لأوروبا، حيث تعتبر هذه من أهم الأسباب والأكثر منطقية، لأن بعض الدول الأوروبية ـ أولها ألمانيا ـ كانت من أكثر الدول كرماً واندفاعاً في استقبال عدد كبير جداً من اللاجئين لحاجتها إلى اليد العاملة الشابة أو الرخيصة، بالإضافة إلى زيادة عدد الشباب في البلاد لتقوية الاقتصاد. يتم ربط ذلك بحقائق إحصائية عن تدني مستويات النمو السكاني في أوروبا بسبب ارتفاع نسبة الأوروبيين ممن هم في سن التقاعد والشيخوخة، حيث إن ارتفاع نسبة الشيخوخة أو المتقاعدين في البلاد يؤدي إلى انهيار اقتصاد البلاد بشكل تدريجي. بعض الدول الأوروبية مثل النرويج والدنمارك والسويد وبولندا وغيرها، ترفض استقبال اللاجئين بسبب العنصرية، ويتوقعون أن اللاجئين يأخذون مكان سكان البلاد الأصليين في أماكن العمل، ولولا ضغط بعض دول الاتحاد الأوروبي لما استقبلوا اللاجئين. يمكن تقديم بعض الأمثلة بخصوص هذه القضية وهي أن دولة النرويج تتمتع بمساحة كبيرة ذات طبيعة جميلة، وهي بلد غني ويمكن لهذا البلد قبول المزيد من اللاجئين، ونتيجة هذه الضغوطات من دول الاتحاد الأوروبي وافقت على استقبال نسبة معينة من اللاجئين، حيث إن دولة النرويج تعتقد أن هناك ما يكفي من المهاجرين في النرويج، لأنه من المكلف دفع ثمن ما يحتاجه السكان الجدد، كما يمكن أن يخلق عنصرية لأن المواطنين يشعرون أنهم يدفعون لأشخاص ليسوا من النرويج، ويعتقد البعض الآخر أن اللاجئين يحصلون على كل شيء مجانًا دون عمل.

عندما يصل اللاجئون إلى بلد جديد، يتغير البلد

قليلاً. فاللاجئون لديهم لغات مختلفة ويخشى بعض النرويجيين من دخول الإرهابيين إلى البلاد، حيث بعضهم لا يحب مقابلة أشخاص جدد، وهذه الموافقة تكون مقابل عمل الشباب في البلاد ودفع الضرائب. وهذا تفكير غالبية الدول الأوروبية التي قبلت استقبال اللاجئين.

دولة الدنمارك بعد قبول نسبة جيدة من اللاجئين، بدأت بترحيل بعضهم إلى سوريا بحجة أن هذه المناطق أصبحت آمنة للعيش فيها. دولة السويد خلقت بعض المشاكل وهي حرمان بعض اللاجئين من أولادهم وأخذهم إلى دار حماية الطفل لأسباب بسيطة. يرى العديد من الخبراء الاقتصاديين أن تدفق هذا العدد من المهاجرين إلى أوروبا، الذين يشكل الشباب النسبة الأعظم منهم، على دول صناعية كبرى مثل ألمانيا، سوف ينعش اقتصادها بشكل ملحوظ. إضافة إلى ذلك هي نظرية المؤامرات وأولها تكون مؤامرة على المسلمين حيث أن هناك عدد لا بأس فيه من المهاجرين المسلمين منتشرين في أوروبا وهذا مرتبط بنظرية المؤامرة الغربية هدفها إجبار المسلمين على الهجرة واللجوء إلى أوروبا لكي يقوموا ببنائه بأسعار رخيصة وحرفهم أو إبعادهم عن الدين الإسلامي. الهدف الآخر هو المؤامرة السكانية الطائفية حيث أنّ هدف أوروبا هو إحداث تغيير ديموغرافي في سوريا والعراق بهدف إخلاء المسلمين منها وتحويل هذه المناطق إلى شيعية وعلوية. حيث أن البعض يعتقد بأن اللاجئين السوريين هم نتيجة لمؤامرة طورانية وهابية صهيونية غربية هدفها القضاء على الأقليات العلوية والشيعية والمسيحية والدرزية والإسماعيلية وغيرها. علاوة على ذلك مؤامرة على مسيحيي الشرق الأوسط حيث أن الهدف من الأزمة السورية والعراقية هو إخلاء الشرق الأوسط من المسيحيين. إن الغاية من الأزمة السورية وهرب السوريين وترحيب أوروبا بهم هي ضرب قوة سوريا بوصفها دولة ممانعة مقاومة لإسرائيل بقيادة عائلة الأسد وحلفائها النظام الإيراني وحزب الله اللبناني، يمكن تسميتها بالمؤامرة على الممانعة والمقاومة. هناك سبب آخر يمكن إضافته وهو أن بعض الأوروبيين يعتقدون

> **"حكمة "مصائب قوم عند قوم فوائد" يمكن تطبيقها وبشدة في أزمة اللاجئين، حيث أن القارة الأوروبية بحاجة إلى اللاّجئين لتعويض تباطؤ النمو السكاني، والحاجة إلى اليد العاملة لتطوير البلاد أكثر، وتحسين الاقتصاد، ولكن لا يوجد معطيات تساعد على ادعاء ذلك. يمكن توقّع ذلك من خلال متابعة الإعلام بمختلف انحيازاته السياسية، بالإضافة إلى تتبع وسائل التواصل الاجتماعيّ".**

أن هجوم اللاجئين على أوروبا هو جزء من مؤامرة إسلامية ضد أوروبا لأسلمتها. هذه هي غالبية الأسباب التي توضح هدف أو حاجة أوروبا إلى اللاجئين الشباب السوري أو لاجئي الشرق الأوسط. اللاجئون بأغلبهم يسافرون هرباً من أوضاع معيشية صعبة جداً، أوضاع حرب دموية مدمرة، أو أوضاع فقر شديد وافتقار إلى التعليم والرعاية الصحية والحقوق القانونية؛ أي أنهم جماعات بشرية اضطرّتها متغيرات قاهرة وخطرة إلى أن يكونوا في حالة نفسية وصحية ومادية سيئة جداً، ومن ثم ستتكلف الدول المضيفة كثيراً في عمليات تأسيس برامج مساعدة وإعادة تأهيل اللاجئين.

في بعض الأحيان يضطر الناس إلى مغادرة البلاد هرباً من ظروف معيشية لا تُطاق، بسبب الحرب أو العنف أو الجوع أو المرض أو المناخ السياسي، فهناك حاجة ماسة إلى توسيع نطاق العمليات عبر الحدود لمساعدة ما يُقدّر بنحو مليوني شخص محتاج يمكن الوصول إليهم من خلال إيصال

المساعدات عبر الحدود. من المعلوم أن الشاب السوري يُعرف بطموحاته دائماً وتطلعه لمستقبل جميل يرسم ملامحه منذ بداية المراحل الأولى من حياته. فالبحث عن هذا المستقبل وتحديد مسار لحياته هو الدافع الأكبر الذي جعل الشاب السوري يسافر من سوريا، خلال هذه المرحلة بعد كل ما عانته البلاد من دمار على جميع الأصعدة. يحق لكل فرد أن يغادر المكان الذي لا يجد فيه طمأنينة وتحقيق طموحاته وأحلامه، بل ويقيّده عن إنجاز أي شيء في حياته مثل ما يحدث في سوريا حقيقة، فبعض الشباب أصبح الزواج بالنسبة له هاجساً بسبب عدم توفر المال، وأصبحت الدراسة ليست بالمستوى المطلوب وخصوصاً فيما يتعلق بالجامعات في الشمال السوري التي لا تحظى باعتراف دولي، وأصبح العمل والوظيفة حلماً بالنسبة للشاب السوري، ناهيك عن التضييق الأمني والملاحقة والنزوح الداخلي لآلاف الشباب. هذه البيئة ليست بالبيئة المناسبة ليكمل أو يؤسس فيها الشاب السوري حياته بشكل جيد، بعيش حياة كريمة تتماشى مع تطلعاته، فأصبحت الهجرة هي الملاذ الوحيد والحل الأمثل لهؤلاء الشباب. ومع هجرة الملايين من الشباب والعائلات السورية خارج القطر يبقى مشروع الهجرة غاية وهدفاً يطمح إليه الكثير من الناس الذي لا زالوا موجودين في الداخل السوري، حيث إنه لم يعد هناك ما يشجّع على البقاء في سوريا، لأن كل شيء بحاجة إلى تأهيل وترميم لتصبح الحياة الكريمة تتناسب مع تطلعات الشاب السوري. ويصبح السفر والهروب من الحرب هو سقف أحلام الشاب السوري ليتمكن من تأمين مستقبله، بعد سنوات من الحرب المدمّرة ولعدم وجود بوادر أو أمل بحل قريب يمكن التعلق به للبقاء.

المصادر.

أبو الطير، م. (17. سبتمبر، 2021). الهجرة إلى أوروبا حلم الشباب السوري في الزعتري. البيان. عمان https://www.albayan.ae/world/arab/2021-09-17-1.4249229

HUMANITARIAN .(2015 ،أكتوبر .SYRIA CRISIS. (02 IMPLEMENTATION PLAN (HIP). ص. 1- 4. https:// ec.europa.eu/echo/files/funding/decisions/2015/HIPs/syria_en.pdf

Fargues ، P. Fandrich ، C. (2012). The European Response to the Syrian Refugee Crisis What Next? . MPC — Migration Policy Centre. Co-financed by the European Union. ص، 1_3. https://cadmus.eui. eu/bitstream/handle/1814/24836/MPC_RR2012-14.pdf?sequence=1&isAllowed=y

صالح، ه. (10 سبتمبر، 2021). من المسؤول عن هجرة شباب سوريا؟ https://shaamtimes.net/349008/%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%B3%D8%A3%D9%84-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%A4%D9%88%D9%84-%D8%B9%D9%86-%D9%87%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%D8%B4/

Larsson ، R. K. (2020). «I hvilken grad er kultur- og verdi utveksling ved norske integreringsarenaer enveis eller toveis. S. 3_5. https://ntnuopen.ntnu.no/ntnu-xmlui/bitstream/handle/11250/2672258/no.ntnu:inspera:55712439:34951776.pdf?sequence=1

الذكاء الاصطناعي والثورة الصناعية الخامسة وملامحها

مصطفى السيد قنصوة
مصر

في البداية يحضرني ما كتبه الدكتور أحمد بهاء الخبير المتخصص في الشؤون التقنية حول معالم الثورة الصناعية الخامسة، وتأثير ذلك على سوق العمل، حيث ستشهد الأعوام القادمة تحكم الروبوتات بنحو 40 من مجموع القوى العاملة في العالم، وذلك قبل قدوم العام 2030، وأيضاً حديثه حول ما سوف يحدث في العالم خلال السنوات القليلة القادمة من تطورات ستمسّ جوانب حياتنا بمختلف توجهاتها، وكذلك ما قد يحصل على الساحة الدولية من قضايا ستغيّر وجه العالم.

إن ما يميز العالم المعاصر حالياً هو التطور التكنولوجي بجميع مجالاته في الحياة، حيث أنها ـالحياةـ متوقفة على ما تقدمه التكنولوجيا للإنسان من خدمات وفوائد، ولعل هذه الطفرة التكنولوجية المتطورة قد مرت بمراحل تاريخية عديدة، حتى وصلت بها الحال إلى ما نحن عليه في يومنا هذا، وربما ستتطور إلى نماذج أكثر تطوراً لاحقاً لدرجة لا يدركها عقلنا البشري.

ما هي الثورة الصناعية الخامسة وما هي معالمها، وما المراحل التي سبقتها وكيف بدأت وإلى أين وصلت، وإلى أين تمضي وما شكل المستقبل القريب، وأين منطقة الشرق الأوسط من هذه الثورات المعرفية والتقنية، وكيف ستؤثر على الحياة السياسية والجيوسياسية والاقتصادية للدول وتغير من وجه العالم؟.

سنسلط الضوء في بحثنا على هذه التساؤلات:

الثورة الصناعية:

الثورة الصناعية هي بتعريفها البسيط انتشار وإحلال الآلة أو المكننة محلّ العمل اليدوي البسيط، حيث شهدت بدايةً القارة الأوروبية ظهور بوادر أول هذه الثورات، وذلك خلال القرن الثامن عشر حيث شهدت نهضة علمية شاملة، فتنوعت الأبحاث والتجارب لتشمل مختلف فروع العلم، ولتؤدي إلى اختراعات واكتشافات مهمة كانت السبب المباشر في قيام الثورات الصناعية اللاحقة.

أولاً: مراحل الثورات الصناعية:

١ـ الثورة الصناعية الأولى:

يمكننا ربط بداية الثورة الصناعية الأولى باكتشاف الآلة البخارية سنة ١٧٨٤ حيث مثلت الثورة الصناعية نقطة تحول رئيسية في التاريخ، تقريباً فإن كل جانب من جوانب الحياة اليومية تأثر بها بطريقة ما، وبالذات بدأت مستويات الحياة تنمو وتتطور، والسكان أخذوا يُظهرون نموّاً مستداماً غير مسبوق.

لقد أورد بعض الاقتصاديين الغربيين في آرائهم أن أهم تأثير للثورة الصناعية، هو أن مستوى المعيشة لجميع السكان في الغرب بدأ في الارتفاع باستمرار لأول مرة في التاريخ، على الرغم من أن آخرين قالوا إنه لم يبدأ في التحسن بشكل ملموس حتى أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين.

٢ـ الثورة الصناعية الثانية:

غالباً ما تتعلق هذه الثورة بالحديد والصلب باعتباره المصدر الأول للإنتاج الصناعي الضخم في عدة مجالات جديدة، والتي يقال إنها ميزت الثورة الصناعية الثانية التي بدأت حوالي ١٨٤٧ م، على الرغم من أن طريقة التصنيع الشامل للصلب لم يتم اختراعها حتى عقد ١٨٦٠م، عندما اخترع هنري بسمر الفرن الذي يصهر المعادن، بحيث يمكنه تحويل الحديد المصهور إلى صلب، وأصبح ذلك الفرن متاحاً على نطاق واسع فقط في عقد ١٨٧٠م بعد تعديل العملية لإنتاج جودة أكثر تنظيماً.

لقد نمت الثورة الصناعية الثانية تدريجياً لتشمل المواد الكيميائية، مثل الصناعات الكيميائية والنفط، ثم ظهر في القرن العشرين صناعة السيارات، فأدت الوفرة المتزايدة للمنتجات البترولية الاقتصادية إلى تقليل أهمية الفحم وزيادة إمكانية التصنيع.

وتميزت تلك الثورة بانتقال القيادة التكنولوجية من بريطانيا إلى الولايات المتحدة وألمانيا، وبدأت كذلك تطورات جديدة في عالم الصناعة والإنتاج مع اختراع وتوليد الكهرباء بدايات عام ١٨٧٢م وإدخالها في الصناعات، حيث أدى إدخال توليد الطاقة الكهرومائية من جبال الألب إلى تمكين التصنيع السريع لشمال إيطاليا المحرومة من الفحم، بدءاً من تسعينيات القرن التاسع عشر.

وبحلول تلك الفترة أدى التصنيع في تلك المناطق إلى ظهور شركات صناعية عملاقة ذات مصالح عالمية مزدهرة. فانضمت شركات مثل شركة فولاذ الولايات المتحدة وجنرال إلكتريك وستاندرد أويل وباير، إلى شركات السكك الحديدية والسفن في أسواق الأسهم العالمية.

٣ـ الثورة الصناعية الثالثة:

وتسمى الثورة الرقمية، حيث تشير الثورة الصناعية الثالثة أو الثورة الرقمية، إلى تقدم التكنولوجيا من الأجهزة الإلكترونية والميكانيكية التناظرية إلى التكنولوجيا الرقمية المتاحة اليوم، بدأت هذه الحقبة خلال الثمانينات من القرن العشرين وما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، وتشمل التطورات التي حدثت خلال الثورة الصناعية الثالثة الكمبيوتر الشخصي والأنترنت وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات ومصادر الطاقة المتجددة.

وتبدأ هذه الثورة بداية استخدام الكمبيوتر في الصناعات والتي ظهرت بدايات عام ١٩٦٠م

٤ـ الثورة الصناعية الرابعة:

تتميز هذه الثورة بالتقنيات الحديثة المتقدمة وهي التي تم التلميح لها مراراً في مؤتمر دافوس الاقتصادي في سويسرا، والتي ترتبط بها كجزء فعّال ومخطط من استراتيجيات عمل المنظمات، مثل تبني الأنظمة الذكية سعياً لتحقيق التميز في الأداء ودعم التحول الرقمي، وكذلك تبني تقنيات الذكاء الاصطناعي، وأنترنت الأشياء، والطباعة ثلاثية الأبعاد وغيرها.

وتشير الدراسات إلى أن نحو ٦٥٪ من الأطفال الذين بدؤوا تعليمهم الآن في المدرسة الابتدائية، سينتهي بهم الأمر بمهن ووظائف غير موجودة بعد، وبالإضافة إلى ذلك فإن أكثر من نصف الوظائف الحالية سيكون لديها إمكانية التشغيل الآلي بدون عمالة بشرية مستقبلاً، وحينها ستبدأ الثورة الصناعية الخامسة.

وتسمى الثورة الرابعة كذلك بثورة الروبوتات والتي تصبح فيها جزءاً لا يتجزأ من المجتمعات وحتى جسم الإنسان، وتتميز هذه الثورة باختراق التكنولوجيا الناشئة في عدد من المجالات، بما في ذلك الروبوتات، والذكاء الاصطناعي، وتكنولوجيا النانو، والحوسبة الكمومية، والتكنولوجيا الحيوية، وأنترنت الأشياء (IoT)، والطباعة ثلاثية الأبعاد، والمركبات المستقلة.

في كتابه «الثورة الصناعية الرابعة»، يصف كلاوس شواب، المؤسس والرئيس التنفيذي لـ «المنتدى الاقتصادي العالمي»، كيف أن هذه الثورة الرابعة تختلف اختلافاً جوهرياً عن الثلاثة السابقة، التي تميزت بشكل رئيسي بالتقدم التكنولوجي.

تتمتع هذه التقنيات بإمكانات كبيرة للاستمرار في توصيل مليارات الأشخاص إلى الويب، وتحسين كفاءة الأعمال والمؤسسات بشكل جذري، والمساعدة في تجديد البيئة الطبيعية من خلال إدارة أفضل للأصول.

كان «إتقان الثورة الصناعية الرابعة» موضوع الاجتماع السنوي لـ «المنتدى الاقتصادي العالمي» لعام ٢٠١٦ في اجتماع دافوس، في سويسرا.

٥ـ الثورة الصناعية الخامسة:

وتعريفاً تعني القوة المدفوعة بالروبوتات القادرة على التعايش مع البشر، ومن المحتمل أن تظهر هذه الثورة بدايات ٢٠٤٠م.

لقد أشارت الثورة الصناعية الخامسة بأنها عصر الاضطرابات الذهنية.

لقد تم الحديث من قبل أشخاص مثل إيلون ماسك الرئيس التنفيذي لشركة تسلا (Tesla)، و"سام ألتمان" المدير التنفيذي لشركة "أوبن إيه آي" (OpenAI) حول احتمالية أن يكتسب الذكاء الاصطناعي "الوعي" في لحظة ما، لا سيما مع الجهود الكبيرة المبذولة من قبل كبرى شركات التكنولوجيا في العالم مثل "غوغل"

و"مايكروسوفت" (Microsoft) و"أنفيديا" (Nvidia) لابتكار وتدريب "روبوتات ونماذج وبرامج لغوية متطورة" تعتمد على الذكاء الاصطناعي.

بل إن مثل هذه النقاشات تعود إلى فترة أبكر من ذلك حين تم ابتكار "إليزا" (ELIZA)) وهي روبوت محادثة بدائي نسبياً تم إنشاؤه ستينيات القرن الماضي، ولكن مع ظهور التعلم العميق والكميات المتزايدة باستمرار من بيانات التدريب، أصبحت النماذج اللغوية أكثر تطوراً وإقناعاً في الحديث، كإنسان أو كتابة نص يصعب تمييزه عن كتابات البشر، وذلك حسب ما ذكرت منصة "وايرد" (wired)) في تقرير لها عن الموضوع مؤخراً.

وقد أدى التقدم الأخير إلى ادعاءات مفادها أن النماذج اللغوية أساسية "للذكاءالعام الاصطناعي" (artificial general intelligence)، وهي النقطة التي سيعرض فيها البرنامج قدرات شبيهة بالبشر في مجموعة من البيئات والمهام، وتكون قادرة على نقل المعرفة فيما بينها.

ـ ملامح الثورة الصناعية الخامسة:

لعل أبرز ملامح هذه الثورة تتجسد في تفوق الصناعات العسكرية بشكل بارز وحادّ، حيث تؤكد الدراسات وجود صراع متصاعد فيما بين الدول الغربية وروسيا والصين، في حين أكد الرئيس الروسي أن الذكاء الاصطناعي هو المستقبل، وأن من يتفوق في هذا المجال فسيحكم العالم.

وفي ٢٠١٨ صرح الرئيس الصيني شي جين بينغ أن على بلاده أن تحتل مركزاً متقدماً في مجال الذكاء الاصطناعي.

وجاء في تصريحات وزير الدفاع الأميركي السابق مارك إسبر أن الدولة التي تسبق في ميدان الذكاء الاصطناعي، ستتقدّم في أرض

"الثورة الرابعة تسمى بثورة الروبوتات والتي تصبح فيها جزءاً لا يتجزأ من المجتمعات وحتى جسم الإنسان، وتتميز هذه الثورة باختراق التكنولوجيا الناشئة في عدد من المجالات، بما في ذلك الروبوتات، والذكاء الاصطناعي، وتكنولوجيا النانو، والحوسبة الكمومية، والتكنولوجيا الحيوية، وأنترنت الأشياء (IoT)، والطباعة ثلاثية الأبعاد، والمركبات المستقلة، وتختلف اختلافاً جوهرياً عن الثلاثة السابقة، التي تميزت بشكل رئيسي بالتقدم التكنولوجي"

المعارك لسنوات وسنوات عديدة، وعلى الولايات المتحدة أن تكون السباقة.

والسباق على أشده بين الولايات المتحدة وروسيا والصين وألمانيا والهند وبريطانيا وإسرائيل والكوريتين، وغيرها من الدول في مجال تطوير التكنولوجيا العسكرية، التي تحاكي القدرات الذهنية البشرية وأنماط اشتغالها، وانتشار استخدام المركبات المسيّرة الجوية والبحرية والبرية، وأنظمة القتال التي تعتمد على الذكاء الصناعي ليس بحاجة إلى دليل، وأخطر ما تحقق دخول النظم الالكترونية مجال اتخاذ قرارات ضرب الأهداف.

وأشهر الأمثلة على هذا التوجه الخطير: الرشاش الآلي الذكي «اس جي آر- أ ١» الذي يحرس حدود كوريا الجنوبية، ورشاش كلاشينكوف الروسي الذكي، فكل منهما مزوّد بنظام تحكم ذاتي متكامل لتولي المراقبة، ورصد أية حركة أو صوت، وتتبّع الهدف، وإطلاق النار.

يتوقع معهد ماكينزي الدولي أن يضيف الذكاء الاصطناعي أكثر من ١٥ تريليون دولار للنشاط الاقتصادي الدولي بحلول عام ٢٠٣٠، وأكبر الاستثمارات في هذا المجال تقوم بها الولايات المتحدة، فقد طرح وزير دفاعها السابق تشاك هاجيل في عام ٢٠١٤ «إستراتيجية التغيّر الثالثة» مؤكداً أن التقدم السريع في مجال الذكاء الاصطناعي هو الذي سيحدد الجيل القادم من الحروب، زادت وزارة الدفاع الأميركية استثماراتها في مجال الذكاء الاصطناعي، وذكرت «جابان تايمز» عام ٢٠١٨ أن حجم الاستثمار الخاص في هذا المجال في الولايات المتحدة ٧٠ مليار دولار سنوياً، واعتمدت برامج أبحاث جديدة، وتم زيادة تمويل «مشروع مافن»، والسفينة الحربية «سي هنتر» ذاتية التحكم، المصمَّمة للعمل لفترات طويلة في البحر من دون طاقم، والأسلحة الذكية العديدة التي يجري تطويرها، ومنها الطائرتان المسيّرتان «اكس ٤٧ بيجاسوس» «إم كيو ٢٥ ستنجراي»، أمثلة على التقدم الأميركي في هذا المجال.

بالمقابل هناك طموح الصين المصممة على أن تصبح الدولة الرائدة في هذا المجال بحلول عام ٢٠٣٠، وهي توجه استثمارات ضخمة إلى مجالات الذكاء الاصطناعي، والمدن الذكية والآمنة، والطائرات المسيّرة بلا طيار، وفي تقرير لموقع غلوبال داتا، يظهر أن الصين تتقدّم سريعاً في تطوير تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي العسكرية بزيادة سيطرتها على منشآت البحث المحلية، وفي عام ٢٠١٧ تلقت الشركات الصينية الناشئة في مجال الذكاء الاصطناعي نصف التمويل العالمي لهذا النوع من الشركات.

ومنذ ذلك العام تُوكَّل الصين عقود تكنولوجيات حساسة، مثل الطائرات بدون طيار والذكاء الاصطناعي، إلى شركات خاصة، ويملك الصينيون خمسة أضعاف ما يملك الأميركيون من براءات الاختراع في هذا المجال، لقد برزت المخاوف من أجهزة الذكاء الاصطناعي قبل عشر سنوات، وقرعت شخصيات بارزة مثل ستيفن هوكينج وبيل غيتس وإيلون موسك، أجراس الخطر، ورأى

”إن ما يميز العالم المعاصر حالياً هو التطور التكنولوجي بجميع مجالاته في الحياة، حيث أنها بالحياة، متوقفة على ما تقدمه التكنولوجيا للإنسان من خدمات وفوائد، ولعل هذه الطفرة التكنولوجية المتطورة قد مرت بمراحل تاريخية عديدة، حتى وصلت بها الحال إلى ما نحن عليه في يومنا هذا، وربما ستتطور إلى نماذج أكثر تطوراً لاحقاً لدرجة لا يدركها عقلنا البشري.“

البعض أن التقدم الكبير في مجال الذكاء الاصطناعي أكبر تهديد وجودي للبشرية، وأنه يشبه «استدعاء الشيطان»، وحذّر خبراء من أن الاعتماد المتزايد على أنظمة الذكاء الاصطناعي يمكن أن يؤدي إلى حرب نووية بحلول عام ٢٠٤٠.

وفي إحدى التقارير الصادرة عن مؤسسة «أند» الاستشارية أن «الأمر لا يتعلّق بالقلق من الروبوتات القاتلة في أفلام هوليوود، وإنما مصدره الطريقة التي قد تتحدى بها الحواسيبُ القواعدَ الأساسية للردع النووي، وتقود البشر إلى اتخاذ قرارات مدمّرة».

وحدّد أسباب تهديد الأنظمة المعزَّزة بالذكاء الاصطناعي للأمن العالمي، وأهمها غياب المعرفة الدقيقة لقدرات النظم الذكية، ومعدلات الخطأ الواردة في عملها، إذ أنها لم تخضع للاختبارات الجادة بعد، الأمر الذي قد تترتب عليه عواقب خطيرة، وغلبة روح التصعيد والمواجهة والضرب الاستباقي لتحقيق الردع، بدلاً من حل الخلافات سلمياً.

وفي مقارنته بين توجه كل من الصين وروسيا نحو الاعتماد الكامل على تكنولوجيات الذكاء الاصطناعي في المنظومة العسكرية، يشير الباحثون إلى وجود شواهد على إلحاق الصواريخ النووية والبالستية الخاصة بمعززات الذكاء الاصطناعي، ما يجعلها قابلة للانطلاق وتدمير الأهداف المحددة مسبقاً في حالة استشعارها بوجود أي خطر أو هجوم، الأمر الذي ينطوي على آثار تدميرية تهدد البشرية

ـ أبرز المجالات التي يمكن للذكاء الاصطناعي العمل فيها على نمو الاقتصادات هي:

أولاً: الأتمتة الذكية أي أتمتة المهام المادية المعقدة التي تتطلب مقداراً كبيراً من التكيف واتخاذ القرارات مثل العمليات الصناعية والتجارية المتكررة على سبيل المثال قراءة المستندات وتحليلها، إعادة توجيه رسائل البريد الإلكتروني.

ثانياً: عملية التنبؤ من خلال خوارزميات التعلم العميق (Deep learning) التي تقدم حلاً فعالاً لعمليات تحليل البيانات داخل المؤسسات وربطها بمئات التصورات والاحتمالات للوصول إلى أدق توقع يشكل أساساً لاتخاذ القرارات.

ثالثاً: تسريع الإنتاج وزيادة كفاءة العمل من خلال تطبيقات تعلم الآلة (Machine Learning) التي يمكنها القيام بالعديد من المهام بنسبة خطأ قد تلامس الصفر في الكثير من العمليات داخل المؤسسات.

الذكاء الاصطناعي أيضاً:

التعريف هو العلم الذي يضم كل الخوارزميات والطرق النظرية منها والتطبيقية التي تعنى بأتمتة عملية أخذ القرارات مكان الإنسان سواء كان ذلك بطريقة كاملة أو جزئية بمعية الإنسان، مع القدرة على التأقلم أو الاقتباس أو التنبؤ، عادة، يكون البرنامج ذكيا إذا قام تلقائيا بسلوك غير مبرمج مسبقا حيث يستطيع من نفسه اخذ قرارات جديدة للتكيف مع حالته وحالة محيطه عبر الزمن، إنّ خصائص الذكاء الاصطناعي من التصرفات التلقائية والتطور الذاتي والتعلم الآلي التلقائي توحي بفكرة حرية الآلة المطلقة في أخذ القرارات في المستقبل القريب ومنه التخوفات المتصاعدة حاليا على الساحتين الإعلامية والأكاديمية، لكن الواقع التقني والعوائق الأخلاقية والتكنولوجية إشكالية أخلاقية البرامج المعلوماتية والآلات الذكية ليست بجديدة وهي مطروحة منذ البداية وتستمر في مرافقة التطور التكنولوجي بل أنها خلقت فرعاً جديداً في علم المعلوماتية والحقوق يتخصص في هذا المجال.

من خلال بحثنا يمكن إعطاء أسس الذكاء الاصطناعي وخصائصه والبعض من نماذجه الحية دون الدخول في تفاصيله التقنية كي نسلط الضوء على واقع تطوراته وطموحاته بين ما وصل اليه فعلا وما يأمل للوصول اليه، هدفنا في هذه الدراسة كمختصين هو رسم صورة أفق التكنولوجيات الذكية المتنامية بشكل حقيقي.

الآثار المترتبة والناجمة عن الثورة الصناعية الرابعة ومحركاتها ومستقبل الذكاء الاصطناعي:

لقد دخلت البشرية مرحلة ثورة صناعية هي خليط بين تطور التكنولوجيا الجديدة وانتشار الإنترنت مع وسائل التواصل، من أمثلة هذه الثورة التقدمُ في مجالات أنترنت الأشياء، تصنيع الإنسان الآلي، والطباعة الثلاثية الأبعاد وكذلك الذكاء الصناعي.

ومن محركات هذه الثورة انتشار وسائل التواصل؛ فعدد من يملكون هواتف يبلغ تقريباً خمسة مليارات شخص، مع ٣،٧ مليارات شخص يستخدمون الأنترنت، ومليارين وثمانمئة مليون شخص يستخدمون منصات التواصل الاجتماعي.

تقوم الثورة الصناعية الرابعة على أساس تعويض اليد العاملة بالآلة والتقنية والذكاء

الصناعي، لهذا إيجابيات منها تسريع معدلات النمو الاقتصادي، تخفيض التكاليف وتحسين الجودة، وكذا تقديم خدمات أوسع للناس، لكن لهذه الثورة سلبيات من ذلك تقليص فرص العمل، وإمكانية اتساع الفجوة بين الفقراء والأثرياء.

بحسب شركة ماكنزي الاستشارية فإن نصف العمالة القائمة حاليا يمكن استبدالها بالآلة والتقنية، مما يوفر تقريبا ستة عشر تريليون دولار، هي عبارة عن رواتب عالمية.

في آفاق عام ٢٠٣٠ ستستولي الروبوتات على ٣٨٪ من الوظائف في الولايات المتحدة الأمريكية، ٣٠٪ في بريطانيا، ٣٥٪ في ألمانيا، و٢١٪ في اليابان.

وفقًا للمنتدى الاقتصادي العالمي دافوس فإن سبعة ملايين وظيفة اختفت منذ عام ٢٠٢٠ وهناك ملايين الوظائف المتعلقة بالكمبيوتر والبرمجيات تخلت عن القوة البشرية وتم استبدالها بالآلات.

من ملامح تسارع هذه الثورة قفزةُ التجارة الإلكترونية في عامين فقط وارتفاعها من ١٦ إلى ٢٢ تريليون دولار، قفزة تشير إلى حجم التغيير الكبير الذي حصل وسيستمر بذلك.

في المحصلة:

نرى أن خصائص الذكاء الاصطناعي ومن ملامح الثورة الصناعية الخامسة أنّ التصرفات التلقائية والتطور الذاتي والتعلم الآلي التلقائي توحي بفكرة حرية الآلة المطلقة في أخذ القرارات في المستقبل القريب وقد خلقت منه التخوفات المتصاعدة حالياً على الساحتين الإعلامية والأكاديمية والسياسية والعسكرية.

لكن الواقع التقني والعوائق الأخلاقية والتكنولوجية تقول غير ذلك، وأنّ الإشكالية الأخلاقية لبرامج المعلوماتية والآلات الذكية ليست بجديدة وهي مطروحة منذ البداية وتستمر في مرافقة التطور التكنولوجي الصناعوي بل خلقت فروعاً جديدة ستخلق معها كوارث بشرية في سوق العمل وستتسبب بارتفاع مستويات البطالة والصراع على العمل وتخلق مشاكل اجتماعية كبيرة.

إنّ الاستمرار في الزمن سيتغير التطور التكنولوجي إيجابياته وسلبياته، حتى عمّا تم ذكره في هذا البحث، ففي المستقبل القريب ربّما سيتغيّر منظور رؤية الحياة، والكثير من التقنيات الجديدة الناشئة ستظهر وقد يكون بعضها مفيداً وقد يتسبب البعض في تهديد للبشرية كالذكاء الاصطناعي حيث يرى الخبراء أنّ الذكاء الاصطناعي قد يتفوق على ذكاء الإنسان في عام ٢٠٣٥ تقريبًا، فإذا حصل الذكاء الاصطناعي على مستوى إنساني فيمكنه تطوير نفسه أضعافاً مضاعفة وهذا قد يؤدي لدمار البشرية.

إضافة لأمور أخرى كالتكنولوجيا الحيوية والطاقة الخضراء وعلوم الفضاء والحواسيب الكمية والتكنولوجيا العسكرية وغيرها الكثير من التكنولوجيا المستقبيلة التي حتمًا ستؤثر على الحياة ومستوياتها.

المراجع والمصادر:

1- الذكاء الاصطناعي بين الواقع والمأمول، سامية قمورة، الملتقى الدولي للذكاء الاصطناعي، الجزائر، ٢٠١٨م.

2- الذكاء الاصطناعي، مركز البحوث والمعلومات، غرفة أبها، السعودية، ٢٠٢١م.

3- الذكاء الاصطناعي في الشرق الأوسط، هديل كرنيب، لبنأن، صحيفة النهار، ٢٠٢١م

4- من يتفوق سيحكم العالم، رافع البرغوثي، القبس العلمي، الكويت، ٢٠٢٠م.

5- الذكاء الاصطناعي، محمد سناجلة، السعودية ٢٠٢٢م

6- أربع ثورات صناعية غيرت حياة البشرية، مؤسسة الخليج، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٢١م.

الناتو الشرق أوسطي ما بين المساعي الأمريكية والواقع الجيوسياسي

أحمد العناني
مصر

لا شكّ أنّ الولايات المتحدة الأمريكية بمختلف إداراتها سعت نحو إقامة نظام شرق أوسطي سياسي عسكري في ظل تراجع الهيمنة الأمريكية التي أدت إلى انتكاسة أمريكية في منطقة الشرق الأوسط وتراجع ملحوظ للدور الأمريكي في المنطقة، وصعود النفوذ الروسي الصيني الذي أصبح يتواجد في الشواطئ الدافئة في سوريا والمتوسط من ناحية ومن ناحية أخري داخل افريقيا من خلال استثمارات صينية وتواجد عسكري روسي.

في الوقت الذي انسحبت فيه الولايات المتحدة الأمريكية من أفغانستان انسحاب غير منظم ومفاجئ مما أعطي مساحة وآلية شاسعة للتواجد الروسي الصيني.

كل هذه الأمور دفعت الرئيس الأمريكي الحالي جو بايدين إلى تشكيل تحالف شرق أوسطي تشارك فيه إسرائيل على دعم المساعي الأمريكية من دول حليفة للولايات المتحدة، وعلى رأسها دول مثل الخليج ومصر والأردن، لكنّ الواقع الجيوسياسي والجيواستراتيجي تعارض وبشكل كبير مع المساعي الأمريكية والأحلام الإسرائيلية التي أرادت من خلالها الدولتان كبح جماح إيران وتقليم أظافرها النووية والعسكرية.

ولأنّ هناك واقعاً سياسيّاً فرضته الأحداث الدولية أثناء الحرب الروسية الأوكرانية قد أعاد ترتيب صياغة الأوراق وفق مصالح الدول، وخلق سياسة جديدة تعتمد على المهادنة والتهدئة من جانب، ومن جانب آخر المصالح الاقتصادية جعلت إيران تنهج سياسة الحوار مع دول المنطقة وتغير في سياستها تجاه دول الخليج.

وهذا يعتبر أحد أهم المتغيرات السياسية التي أدت إلى تنازلات إيرانية وخليجية في آن واحد ولمن ينظر لظروف المنطقة والمتغيرات يرى أن الواقع السياسية والجيو استراتيجي يذهب بشكل عام إلى سياسي التهدئة والتخلي عن سياسة التصعيد.

إنّ المصالح الخليجية مع قطر ما تسمى بقمة العلا مثال نحو التحول، والتغيير في سياسة تركيا تجاه مصر والمملكة العربية السعودية والإمارات تحول آخر.

ولأن البعض رأى أنّ ما تهدف إليه واشنطن هو فخ للدول العربية ويراعي المصالح الإسرائيلية كان هناك تباين في التوافق حول إقامة ناتو شرق أوسطي بمشاركة إسرائيل، تصريحات أنور قرقاش تجاة عدم نية أبو ظبي في الدخول في مغامرات سياسية تحاول طهران فتحت آلية الحوار.

بدورها اعتمدت المملكة العربية السعودية على سياسة الحوار التي قابلها ترحيب إيراني لتفويت الفرصة على واشنطن وتل أبيب.

ثمة مواقف وتباينات يحكمها إطار جامع من المصالح البرجماتية لبعض الدول قد حكمت العلاقة من إقامة ناتو، إضافة إلى الأزمة الاقتصادية العالمية التي إصابة العالم بالركود والتضخم

لأنّ الدول الغربية أن تفهم نفسها في مقامرة غير محسوبة الخواطر، ناهيك عن مصر التي لا يربطها جوار بري أو بحري مع إيران وايضا الاردن التي تنتهج نفس سياسة القاهرة والتي ترى أن المصاح العربية والتحديات التي تواجه المنطقة تحل بالحوار وتحت مظلة الجامعة العربية.

يبقى الناتو هو ضرورة أمريكية ملحة ولكن اصطدم بواقع جيو استراتيجي جديد ومرحلة تشكيل النظام الإقليمي الذي يتزامن مع صعود الصين وظهور القطب الثاني بقوة روسيا التي بدورها هي حليف قوى لكلا من بكين وطهران.

كل هذا المسائل وقفت حائلاً ضد هذا الناتو، ومن جانب آخر لزم التأكيد عليه أنّ هذا الحلف باطنه الرحمة وظاهرة العذاب، فباطنه كبح نووي إيراني، وتقليم أظافرها، بينما باطنه هو مواجهة روسيا والصين، ولأن الدول العربية الفاعلة قد قرأت المشهد، والهدف من تلك المساعي الأمريكية والأحلام الإسرائيلية.

كانت كل هذا المعطيات والمتغيرات السياسية أحد أسباب تراجع فكرة الناتو رغم التمسك الأمريكي الحالي.

نهاية أود الإشارة إلى أن المفاوضات النووية الإيرانية مع الدول الكبرى التي تدور حاليا في فيينا توصلت في النهاية إلى اتفاق سينهي أحلام أمريكا وإسرائيل في تشكيل هذا الحلف.

وان فشلت أعتقد أن ستعاود امريكا استنساخ فكرة الناتو مجدّدا لكبح نووي إيران.

العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل منذ ١٩٥٨ حتى ٢٠٢٠

«الدوافع والمقومات»

حميد المنصوري

الإمارات العربية المتحدة

المقدمة:

لقد تم إعداد هذه المادة البحثية لكشف الأبعاد المكونة للعلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل، ووجدنا أن هذه العلاقات مرتبطة بشكل وثيق مع المتغيرات الأمنية لبيئة الخليج، والتي تؤثر على إدراك وتصورات ومدى دقة معلومات أصحاب القرار السياسي للمخاطر الأمنية والمصالح الخاصة في عملية السياسة الخارجية[1]. فعملية اتخاذ القرارات السياسية تخضع لإدراك محددات ومتغيرات وخيارات البيئة الدولية والإقليمية، وأيضاً البيئة المحلية، فعلى سبيل المثال، بعد معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، اغتيل الرئيس المصري أنور السادات أكتوبر 1981، وعلى نفس الأسباب، حدث اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين نوفمبر 1995، لأنه كان يتجه نحو السلام مع الفلسطينيين، والأمر هذا يؤكد أهمية معتقدات الشعوب على مستوى البيئة الداخلية في السياسية الخارجية[2].

- ١For more information on the political decision-making process ,please see :For more imormation about Alex .M .and DeRouen .K .2016 .Understanding Foreign Policy Decision Making .Abu Dhabi :ECSSR.

- ٢For more information on the role of religion in international relations as a source of legitimacy for some governments, please see :Jonathan Fox ,Religion as an overlooked Element Of International Relations ,International Studied Re-

حقيقةً، تندرج معظم الدول في هذه الأوراق البحثية في تصنيف الدول الصغيرة مثل البحرين وقطر والكويت والإمارات وحتى إسرائيل رغم امتلاكها القوة النووية، أما سلطنة عُمان فتعتبر دولة متوسطة الحجم الجغرافي والاقتصادي وصغيرة بحجم سكانها مقابل مساحتها الجغرافية، بينما هناك قوة اقتصادية ثقيلة للدول الصغيرة معتمدة على النفط والغاز مثل الكويت وقطر والإمارات، كما أن إسرائيل ذات قدرات اقتصادية وتكنولوجية، في حين أن المملكة العربية السعودية تمتلك حجماً جغرافياً كبيراً مع مكانتها الإسلامية الدولية، ولكن قوتها الاقتصادية معتمدة على النفط بشكل أساسي ووحيد، مما جعلها تصنف دولة ضعيفة[٣]. أهمية هذا التصنيف يرجع إلى كونهِ السبب الرئيسي الذي جعل هذه الدول تعتمد على قوى خارجية في تحقيق أمنها، وخاصةً الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة-بريطانيا في فترات معينة.

تقسم المادة البحثية هنا إلى أربعة محاور لفترات تاريخية متتالية، تحمل متغيرات إقليمية ودولية متعددة ومختلفة قادت إلى وجود دوافع ومقومات لتطور العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل في حلقات متعددة ومختلفة من صراعية وتعاونية سرية منقطعة، وعلاقات غير مباشرة، إلى جانب وجود علاقات مباشرة غير رسمية وأخرى رسمية وقانونية.

المحور الأول: العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل في فترة من ١٩٥٨ حتى ١٩٧٩.

يكشف هذه المحور عن أن العلاقات بين الدول الخليجية (المؤسسة لمنظمة مجلس التعاون الخليجي ١٩٨١) وإسرائيل، كانت مع المملكة السعودية وسلطنة عُمان بشكل سري عبر قوى دولية متمثلة في بريطانيا، كما إن هاتين العلاقتين تندرجان تحت ما يعرف بالحرب الباردة العربية بين الدول الملكية والجمهورية العربية وفي مسار الحرب الباردة. أما العلاقات بين الكويت وإسرائيل فكانت بشكل غير مباشر في محاولة تقريب العلاقات الإيرانية العربية ١٩٦٩ على حساب العلاقات الإيرانية الإسرائيلية.

أولاً: ملامح البيئة الأمنية الخليجية (١٩٥٨ـ١٩٧٩):

ففي هذه الفترة كانت الحرب الباردة العربية (١٩٥٨ -١٩٧٠) بين الأنظمة الملكية والجمهورية العربية[٤]، جدير بالذكر بأن دولتين مستقلتين في هذه الفترة، الكويت ١٩٦١، والمملكة العربية السعودية المتكونة عام ١٩٣٢. بينما تميزت الفترة من ١٩٧٠-١٩٧٩ بأن بقية دول الخليج المكونة لمنظمة مجلس التعاون الخليجي اكتمل استقلالها السياسي والقانوني، وحظيت باستقرار داخلي بسبب توقف المدّ الاشتراكي الناصري عبر وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في عام ١٩٧٠ باستثناء عُمان، التي كانت تعاني من الثورة الاشتراكية «ثورة ظفار» من ١٩٦٣ حتى ١٩٧٥.

علاوة على ذلك، كانت هناك نزاعات حدودية برية وبحرية عديدة بين دول الخليج الثمانية «الدول المكونة لمجلس التعاون الخليجي والعراق وإيران»، مع قضية احتلال إيران للجزر الإماراتية المستمر، كما أن اليمن دخلت في نزاعات حدودية كدولة

٣ - In the matter of country classification ,please see: Michael ,H .(1981) ,.Weak states in the international system. London :Publication Info.

view ,Vol ,3 ,3 .Issue ,3 Fall ,2001 Pages ,73–53 https//:doi. org10.1111/1521-9488.00244/.

٤ - يعود المصطلح السياسي الحرب الباردة العربية إلى مالكوم كير، وهو صاحب كتاب في هذا الشأن: عبد الناصر والحرب العربية الباردة. انظر:

Malcolm H .Kerr .The Arab Cold War :Gamal Abd al Nasir and His Rivals .1958-1970 ,London .Publish for The Royal Institute of International Affairs by OXFORD UNIVERSITY PRESS .Third edition ,publishe.1981

من دول الجزيرة العربية[٥]. ففي هذه الفترة حدثت متغيرات مهمة مثل سقوط نظام الشاه، وبعد ستة عشر يوماً من الثورة الإيرانية، خرجت «حركة جهيمان السلفية والسيطرة على الحرم المكي[٦]».

أما على الصعيد الدولي، فجاءت المشاركة في حرب أكتوبر ١٩٧٣ من خلال استخدام النفط في الحرب؛ دليلاً على الارتباط الوثيق بين أمن الخليج والأمن العربي والقضية الفلسطينية، الذي بدوره أثّر على المستوى العالمي، حيث خرج الأمن القومي الأميركي من أولوية الخطر من الشيوعية إلى نفاد وتدفق النفط. وعلى الصعيد العالمي المتعلق بالحرب الباردة، فإن جميع دول الخليج كانت قريبة من الكتلة الغربية، باستثناء العراق، وتجدر الإشارة في هذه الفترة إلى وجود محاولة للعثور على اتفاقية أمنية بين دول الخليج الثمانية، التي فشلت في مؤتمر مسقط عام ١٩٧٦[٧].

ثانياً: العلاقات السعودية الإسرائيلية:

١- مسار العلاقة:

قاد سقوط النظام الملكي العراقي في يوليو ١٩٥٨ إلى ما يعرف باسم الحرب الباردة العربية حتى وفاة عبد الناصر ١٩٧٠، وهو صراع بين الدول العربية الملكية وبين الجمهوريات العربية تحت إطار المد القومي العربي الاشتراكي، وترتب على هذه الحرب تهديد مصالح بريطانيا والولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط خاصة استراتيجية حلف بغداد[٨]، حيث نزلت قوات أمريكية في لبنان استجابة لطلب الرئيس اللبناني كميل شمعون بدعم بريطانيا وفرنسا وذلك لصد المعارضة اللبنانية المتعاطفة مع المد القومي العربي الناصري والاتحاد المصري السوري، بينما أتى الدعم البريطاني إلى الأردن، وعلى جانب مياه الخليج كانت هناك مدمرة أمريكية بحرية قريبة من مدينة الظهران السعودية[٩]. واشتدت مستويات الحرب الباردة العربية مع حدوث انقلاب ضد المملكة المتوكلية اليمنية المجاورة للسعودية في عام ١٩٦٢، حيث أعلنت مصر وبقية الدول العربية باستثناء السعودية والأردن اعترافها بالجمهورية اليمنية الجديدة، ثم وجدت الرياض نفسها في حلقة صراع خاصة مع مصر عندما

"تندرج معظم الدول في هذه الأوراق البحثية في تصنيف الدول الصغيرة مثل البحرين وقطر والكويت والإمارات وحتى إسرائيل رغم امتلاكها القوة النووية، أما سلطنة عُمان فتعتبر دولة متوسطة الحجم الجغرافي والاقتصادي وصغيرة بحجم سكانها مقابل مساحتها الجغرافية، بينما هناك قوة اقتصادية ثقيلة للدول الصغيرة معتمدة على النفط والغاز مثل الكويت وقطر والإمارات، كما أن إسرائيل ذات قدرات اقتصادية وتكنولوجية."

٥ - عبد الجليل زيد مرهون، أمن الخليج بعد الحرب الباردة، (بيروت: دار النهار للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧)، ص١٤٦ -١٨٦.

٦ -كانت تسمى الجماعة المحتسبة فقد تأسست بقصد الدعوة والاحتساب والاهتمام بمنهج السلف ومحاربة البدع والمنكرات، انطلقت من المدينة المنورة بصفتها العلنية، وحسب أحد أفراد الجماعة السلفية المحتسبة «ناصر الحزيمي، الذي يقدم الرواية الحقيقية لذلك الفكر، أن «حركة جهيمان» صدقت أحلامها في المهدي المنتظر، حيث بدأت كحركة سلفية ثم توهمت في تفسير أحلامها التي كانت تدور حول المهدي، إلى إسقاط تلك الأحلام على رجل هاشمي النسب كان ضمنها، بأنه المهدي. انظر: لقاء مع ناصر الحزيمي، صناعة الموت جهيمان العتيبي اقتحام الحرم المكي الكعبة، قناة العربية، ٢٤-٧-٢٠١٤. الرابط: https://ly.bit/3R4bfpf

٧ - حميد المنصوري ، الاتفاق النووي الإيراني ومستقبل الأمن الخليجي، المرجع السابق.

٨ - حلف بغداد تأسس ١٩٥٥ ويضم العراق وتركيا وإيران وباكستان إلى جانب بريطانيا وهو موجه ضد الشيوعية في الشرق الأوسط.

٩ -مايكل أ. بالمر، حراس الخليج: تاريخ توسع الدور الأمريكي في الخليج ١٨٣٣-١٩٩٢، ترجمة نبيل زكي، (القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٥، ص ٨٣

أرسلت القاهرة بعض المستشارين وأعداداً كبيرة من عناصر الجيش المصري لدعم الانقلاب مقابل وقوف الرياض مع الملكيين. وهذه الدعم المصري يعزز من صورة الزعيم العربي عبد الناصر بعد انفصال الاتحاد المصري السوري[١٠].

وعلى الرغم من أن أحداث اليمن كانت حالة من الانعكاس على خطوط الحرب الباردة الدولية، حيث كان هناك تأييدٌ من قبل الدول الشيوعية كالصين والاتحاد السوفيتي لتحول اليمن الشمالي من النظام الملكي إلى الجمهوري، فإن الولايات المتحدة اعترفت في ديسمبر ١٩٦٢ بالنظام الجمهوري اليمني، (ربما واشنطن في حاجة القاهرة لمساعي الانفراج عن الأسرى من المقاتلين الأمريكيين في حرب فيتنام، والغريب أنه سبق هذا الاعتراف بداية أزمة الصواريخ الكوبية أكتوبر ١٩٦٢). وقفت واشنطن مع مصالح بريطانيا وأمن كلّ من السعودية والأردن، فاليمن الشمالي مرتبط باليمن الجنوبي حيث التواجد البريطاني، ويعتبر تهديداً للمنطقة الغنية بالنفط من السعودية المجاورة لليمن حتى إلى الكويت وإمارات الخليج المندرجة تحت الانتداب البريطاني[١١].

ففي ساحة اليمن الشمالي عبر سياق الحرب الباردة العربية تصادمت المصالح الأمنية بين القاهرة وكلّ من الرياض، فسعت الرياض للدعم المادي والعسكري من معدات وأسلحة وجلب المرتزقة إلى الملكيين وقواتهم، وكان ذلك بالتعاون مع بريطانيا، التي أدخلت إسرائيل في هذه الحرب العربية العربية بشكل سري[١٢]. وعلى جانب آخر قد شرعت السعودية في جهود دبلوماسية لإقامة تحالف إسلامي للوقف أمام المد الشيوعي والناصري[١٣]، والتي أسفرت عن إقامة المؤتمر الإسلامي ١٩٦٩ الذي انعقد لأول مرة في ٢٥ أغسطس ١٩٦٩ بعد الحادثة الآثمة لحرق المسجد الأقصى من قبل متطرف صهيوني[١٤]. وفي ظل هذه الظروف يمكن القول بأن أولى العلاقات بين دول الخليج المؤسسة لمجلس التعاون الخليجي وإسرائيل كانت مع السعودية في الستينيات تحت مسار «الحرب الباردة العربية» وبشكل سري في حرب اليمن.

وفي حالة صراعية، لعبت المملكة العربية السعودية دوراً فعالاً في الصراع العربي الإسرائيلي عندما تم استخدام الحظر النفطي العربي المفروض في ١٧ أكتوبر١٩٧٣ كوسيلة لردع الولايات المتحدة عن دعمها لإسرائيل خلال حرب أكتوبر مع مصر وسوريا[١٥]. جدير بالذكر بأن الإمارات سبقت السعودية في عملية الحظر النفطي.

٢- الدوافع والمقومات:

١- تلاقي مسار الحرب الباردة الدولية في منطقة الشرق الأوسط مع مسار الحرب الباردة العربية ١٩٥٨-١٩٧٠ بين الأنظمة الجمهورية والملكية العربية، الذي خلق مصالح أمريكية بريطانية مع الدول الملكية العربية وتحديداً السعودية والأردن والكويت وأيضاً مع إسرائيل لمنع تمدد المد الناصري القومي الاشتراكي في المنطقة.

٢- الطابع السري والرعاية البريطانية للتعاون بين السعودية والأردن والملكيين اليمنيين مع إسرائيل.

٣- استخدام الرياض الورقة النفطية في حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان نابعاً من دعم مصر والقضية الفلسطينية.

ثالثاً: العلاقات العُمانية الإسرائيلية:

١٠ - مايلز كوبلاند، لعبة الأمم، ترجمة مروان خير، (بيروت، انتناشنال سنتر، الطبعة الأولى ١٩٧٠)، ص ٣٠.

١١ - المرجع السابق، ص٣٠٤-٣٠٥

١٢ - Orkaby Asher, "Arabia Saudi s' Secret History of Cooperation", Foreign Affairs, 13 March 2015.

١٣ - مايلز كوبلاند، مرجع سابق، ص٣٠٩.

١٤ - منظمة المؤتمر الإسلامي، https://bit.ly/3wgatxi.

١٥ - Uzi Rabi & Chelsi Mueller.The Gulf Arab states and Israel since 1967: 'no negotiation 'to tacit cooperation .To link to this article :http//:dx.doi.org10.1080/1353019/4.2017.1360013

أ- مسار العلاقة:

ففي إقليم ظفار العماني، بدأت ثورة ظفار ١٩٦٣ في إطار قلبي، ثم تشكلت جبهة تحرير ظفار ضد حكم السلطان سعيد بن تيمور بسبب ضعف التنمية والتعليم والفقر، ولم تستطع هذه الحركة أن تكون فاعلة وقوية إلا بعد انسحاب بريطانيا من عدن عام ١٩٦٧ وظهور الحكومة اليسارية الشيوعية لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، التي دخلت ودعمت الثورة الشعبية عبر التدريب العسكري والعقائدي الإيديولوجي، فإقليم ظفار العماني قريب من اليمن الجنوبي عرقياً وثقافياً وجغرافياً، وكان هناك دعم من العراق والاتحاد السوفيتي والصين وألمانيا الشرقية[١٦]. وفي مسار الحرب الباردة الدولية كانت الدول الرأسمالية مثل بريطانيا والولايات المتحدة صفاً داعماً للدول الملكية العربية وإيران ضد هذه الثورة الظفارية وتمدد الشيوعية والاشتراكية في الخليج والجزيرة العربية.

من خلال هذا الإطار بدأت العلاقات بين سلطنة عُمان وإسرائيل في فترة السبعينيات من القرن المنصرم، واقتصرت تلك العلاقة على تقديم المساعدة والمشورة العسكرية ضد ثورة ظفار الاشتراكية والشيوعية (١٩٦٣-١٩٧٥)، ويصف البروفسور كلايف جونز Clive Jones والدكتور يوئيل جوزانسكي «Yoel Guzanzk هذه العلاقة بين عُمان وإسرئيل "بالحليف الزئبقي"، لأن الاتصالات المفتوحة بين إسرائيل وعُمان لم تحدث إلا بعد مؤتمر مدريد عام ١٩٩١[١٧].

"العلاقات بين الدول الخليجية وإسرائيل، كانت مع المملكة السعودية وسلطنة عُمان بشكل سري عبر قوى دولية متمثلة في بريطانيا، كما إن هاتين العلاقتين تندرجان تحت ما يعرف بالحرب الباردة العربية بين الدول الملكية والجمهورية العربية وفي مسار الحرب الباردة. أما العلاقات بين الكويت وإسرائيل فكانت بشكل غير مباشر في محاولة تقريب العلاقات الإيرانية العربية ١٩٦٩ على حساب العلاقات الإيرانية الإسرائيلية."

ب- الدوافع والمقومات:

١- سياق الحرب الباردة العربية والحرب الباردة الدولية.

٢- حداثة سلطنة عمان في السياسة الدولية، التي جعلت بريطانيا تدعم وتشارك بقوة السلطان قابوس بن سعيد في إدارة الدولة، وكان هذا الدعم البريطاني مصحوباً بالتعاون الإسرائيلي والأردني والإيراني.

٣- إبما هناك تشجيع معنوي عبر أحداث «أيلول الأسود ١٩٧٠» بين الجماعات الفلسطينية والنظام الأردني الملكي، والدور البريطاني والإسرائيلي في مساندة النظام الملكي الأردني وردع الدعم السوري والعراقي للجماعات الفلسطينية.

٤- مهدت هذه العلاقة السرية في أن تكون سلطنة عُمان إلى جانب السودان والصومال في عدم الانضمام إلى المقاطعة العربية في قمة

١٦ -رياض الريس، ظفار الصراع السياسي والعسكري في الخليج العربي، لبنان، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٦، ص ٨٣-١١١. انظر في العلاقات العُمانية الظفارية وثورة ظفار: فريد هاليداي، الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية، ترجمة محمد الرميحي، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ٣٧٠-٤٢٠.

١٧ -CLIVE JONES YOEL GUZANSKY Fraternal Enemies Israel and the Gulf Monarchies .Published in the United States of America by Oxford University Press198 Madison Avenue ,New York ,NY 10016 Copyright .2019 P.49

بغداد ١٩٧٨ على مصر بسبب معاهدة السلام مع إسرائيل.

ثالثاً: الكويت في التأثير على العلاقات الإيرانية الإسرائيلية:

أ- مسار العلاقة:

عندما أنشئت دولة إسرائيل، اعترفت حكومة مصدّق الإيرانية بإسرائيل عام ١٩٥١، كحقيقة واقعية في المنطقة دون إقامة علاقات دبلوماسية رسمية، حيث أدرك شاه إيران بأن دولة غير عربية موالية للغرب في الشرق الأوسط يمكن لها المساعدة في دعم أمن إيران من خلال العوامل المشتركة التالية:

- استنزاف اهتمام وموارد الدول العربية التي كانت تعتبر منافساً تقليدياً لإيران في المنطقة.

- الشعور المشترك في خطورة المد القومي العربي الناصري خاصة في منطقة الخليج التي تحاول إيران الهيمنة عليها.

- مد إسرائيل بالنفط خاصة بعد العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦.

- أصبحت طهران ممر آمن لهجرة يهود العراق وإيران إلى إسرائيل.

- تحقيق هدف تقوية نفوذ طهران في واشنطن لمواجهة دعم موسكو للمعارضة الإيرانية الشيوعية لكل من: (The Muja-e Khalq, The Tudeh Party, and The Fedayeen-e Khalq).

- خوف الشاه من تحول القوميين العرب والفلسطينيين إلى مساعدة موسكو في دعم الشيوعية في إيران.

- ناهيك عن التعاون الإيراني الإسرائيلي في التدريب العسكري والمخابراتي والزراعي ودعم الأكراد لإضعاف العراق في الخلاف الحدودي بين طهران وبغداد[١٨].

حدث تغير مهم في مسار هذه العلاقة عبر نجاح الوساطة الكويتية عام ١٩٦٩ في تطبيع العلاقات المصرية الإيرانية، خاصةً وأنها أتت بعد الهزيمة العربية في يونيو١٩٦٧، وتمت إعادة العلاقات بين الطرفين في أغسطس ١٩٧٠[١٩]. الأمر الذي قاد شاه إيران إلى ممارسة شيء من الضغط السياسي على إسرائيل نحو الذهاب إلى السلام والانسحاب من الأراضي العربية التي احتلت في النكسة ١٩٦٧، وكان ذلك في لقاء سري مع وزير الخارجية الإسرائيلي «أبا إيبان» في ديسمبر ١٩٧٠، وذلك بعد رحيل عبد الناصر[٢٠].

وفي العلاقات غير المباشرة لابد من ذكر بأن الكويت كانت مكاناً لنواة تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية «فتح»، كما أن الجالية الفلسطينية العاملة في تنمية الكويت مثلت دعماً مادياً ومعنوياً وسياسياً لصالح قضيتهم. وعلى الجانب الآخر هناك تاريخ لتواجد وتفاعل اليهود في مجتمع الكويت والخليج[٢١].

ب- الدوافع والمقومات:

١- الكويت تجاور العراق والسعودية وإيران، وهي قوى إقليمية خليجية لها وزنها، وقد واجهت الكويت تهديداً وجودياً عبر العراق في فترة عبد الكريم قاسم عند استقلالها ١٩٦١، وهي تحاول إيجاد علاقات متميزة مع جوارها. ومن الأهمية بمكان ذكر بأن سياسة إيران الشاه براجماتية بشكل كبير ومتقلبة، على سبيل المثال، في الخمسينيات كان يحاول إقناع بريطانيا بإعطائه جزراً كويتية، كما أنهُ يهدد أمن البحرين باعتبارها جزءاً من إيران، وقبيل استقلال الإمارات بيومين

١٨ -Trita Parsi .Treacherous Alliance :The Secret Dealings Of Israel ,Iran ,and The U.S),.Yale University press, ,.(2007p.20-28

١٩ - Ibid .p31.

٢٠ -Ibid .P.33

٢١ - انظر: نبيل الربيعي تاريخ يهود الخليج : (البحرين - عمان - الاحساء — الكويت)، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٢١.

احتل جزرها الثلاثة. ومع توقيع معاهدة الجزائر لإنهاء الصراع مع العراق تخلى عن دعم الأكراد. ومع انتصار مصر في حرب أكتوبر ١٩٧٣ توترت علاقاته مع تل أبيب.

٢- تحركات الكويت السياسية والدبلوماسية كدولة صغيرة ستصبح فيما بعد نموذجاً لدول الخليج المتوسطة والصغيرة كالإمارات وقطر والبحرين.

المحور الثاني: العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل في فترة ١٩٨٠ حتى ١٩٩١.

تنفرد هذه المرحلة باعتبار العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل شبه معدومة وغير مباشرة. على الرغم من أنها شهدت مخاطر أمنية خطيرة على المستوى الإقليمي والدولي.

أولاً: ملامح البيئة الأمنية الخليجية ١٩٧٩-١٩٩٠:

تداخلت المخاطر الداخلية والإقليمية والدولية والعالمية بشكل كبير. فالثورة الإيرانية الشيعية أسقطت شرطي الخليج «نظام الشاه» والذي كان مرتبطاً باستراتيجية أميركية لأمن الخليج عبر العمودين المتوازيين «إيران والسعودية». وأتى «مبدأ كارتر». الذي ينص على أن أميركا «ستعتبر أي محاولة من قبل أي قوة خارجية للسيطرة على منطقة الخليج. اعتداءً على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأميركية. وسيتم صد مثل هذا الاعتداء بأي وسيلة ضرورية. بما في ذلك القوة العسكرية». وجاء الإعلان بعد الغزو السوفييتي لأفغانستان في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٩. وبعد انتصار الثورة الإيرانية في ١١ فبراير ١٩٧٩. ومن الأهمية بمكان الاعتراف بأن التدخل السوفييتي في أفغانستان مثّل حافزاً كبيراً لبروز المليشيات الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط.

وفي أجواء التداخل الكبير بين المستوى الإقليمي والدولي والعالمي. تأسست منظمة مجلس التعاون الخليجي في مايو ١٩٨١ بعيداً عن العراق العربي وإيران الفارسية الثورية. فعدم انضمام العراق كان بسبب نظامه الاشتراكي الذي لا ينسجم مع الدول الملكية. كما أن المملكة العربية السعودية كانت تريد لنفسها دور القيادة. ويجب عدم إغفال أن العراق سيحظى بدعم عربي كبير في حربهِ مع إيران. وبسبب الخلاف بين «البعث» العراقي والسوري اخترقت إيران الخميني النظام العربي عبر خلق علاقات قوية مع دمشق. كما أن اجتياح إسرائيل للبنان ١٩٨٢ مكّن من توغّل النفوذ الإيراني. والاعتماد على قوى لبنانية غير حكومية كـ«حزب الله».

ولعل احتلال الكويت هو الحدث الأخطر على أمن الخليج. فاحتلال الكويت جعل أمن الخليج يدخل التحالف الدولي بقيادة واشنطن لتحرير الكويت ١٩٩١. والذي سيحدث تحولاً كبير بين علاقات دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل في الفترة الثالثة القادمة من الدراسة.

ثانياً: العلاقات السعودية الإسرائيلية:

أ - مسار العلاقة:

اقتصرت العلاقة بين المملكة العربية السعودية وإسرائيل على صورة غير مباشرة. وذلك عبر إطلاق مبادرة السلام في أغسطس ١٩٨١ من قبل الملك فهد بن عبد العزيز الذي كان يشغل منصب ولي عهد المملكة السعودية٢٢. ولم تنل هذه المبادرة أي قبول من الطرف العربي أو الطرف الإسرائيلي.

ب- الدوافع والمقومات:

١- تعكس قبولاً لمعاهدة السلام بين مصر

٢٢ -Uzi Rabi & Chelsi Mueller.The Gulf Arab states and Israel since :1967 from' no negotiation 'to tacit cooperation .To link to this article :http//:dx.doi.org10.1080/13530194/.2017.1360013

"شرعت السعودية في جهود دبلوماسية لإقامة تحالف إسلامي للوقوف أمام المد الشيوعي والناصري، والتي أسفرت عن إقامة المؤتمر الإسلامي ١٩٦٩ الذي انعقد لأول مرة في ٢٥ أغسطس ١٩٦٩ بعد الحادثة الآثمة لحرق المسجد الأقصى من قبل متطرف صهيوني. فكانت أولى العلاقات بين دول الخليج المؤسسة لمجلس التعاون الخليجي وإسرائيل كانت مع السعودية في الستينيات تحت مسار "الحرب الباردة العربية".

وإسرائيل بشكل غير مباشر.

٢- تتوجس الرياض من الوضع الأمني في الخليج منذ بداية الحرب العراقية الإيرانية في سبتمبر ١٩٨٠، خاصةً وهناك محاولة لتصدير الثورة الإيرانية إلى منطقة الخليج، على سبيل المثال، حدوث إضرابات أمنية من قبل سعوديين شيعة في يناير ١٩٨٠ بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وكان راديو طهران بالعربية يتحدث عن تخطيط لإسقاط الأسرة الحاكمة «آل سعود»، إلى جانب زعزعة أمن البحرين عبر المعارضة الشيعية[٢٣].

٣- تعكس مبادرة ولي عهد السعودية طريقاً حول مساعدة الولايات المتحدة في تحقيق الأمن في الشرق الأوسط خاصة في ظل الصراع الدولي بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي الذي أخذ يشتد بتدخل موسكو في أفغانستان وقربها من منطقة الخليج، وخاصة بأن واشنطن خسرت دور نظام الشاه في أمن الخليج.

ثالثاً: موقف إسرائيل من احتلال الكويت:

عند الاحتلال كانت تل أبيب تتوجس من فكرة ربط انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة في ١٩٦٧ وتحرير الكويت، كما أن الولايات المتحدة كانت قد اتخذت سياسة عدم مشاركة إسرائيل في تحرير الكويت، حفاظاً على الدعم العربي وعدم التعاطف مع الرئيس العراقي[٢٤].

المحور الثالث: العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل في فترة من تحرير الكويت ١٩٩١ـ ٢٠٠٩ :

تمتد هذه الفترة من تحرير الكويت المولّدة لبداية المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية، والتي فتحت علاقات نشطة بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل، وتتوقف هذه الفترة قبل اندلاع الربيع العربي.

أولاً: ملامح البيئة الأمنية الخليجية ١٩٩١ - ٢٠٠٩ :

بعد تحرير الكويت ومع رجوع النزاعات الحدودية بين دول مجلس التعاون الخليجي على سبيل المثال قطر والسعودية، قطر والبحرين، والسعودية والإمارات، برز منظور القُطْرية في منطقة الخليج بشكل قوي، وهو سلوك للدول يُعبر عن جزء كبير من استقلاليته عن النظام العربي والسياسات العربية المتضاربة أصلاً. وفي غضون ذلك، بدأت القضية الكردية تتبلور في استقلالها سياسياً شمال العراق (كردستان العراق)، وأصبحت إيران قوية في لبنان عبر «حزب الله» وسوريا، وتزامن تطور العلاقة بين إيران و«حماس» مع فتور في علاقة طهران بمنظمة التحرير الفلسطينية.

٢٣ -محمد السعيد إدريس، النظام الإقليمي للخليج العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠ الطبعة الأولى، ص ٤٦٤

٢٤ -مرهون، مرجع سابق، ص٢٧٣.

خاصة بعد حرب الخليج الثانية واختيار المنظمة المفاوضات سبيلاً وحيداً للحل مع إسرائيل. وساد هذه الفترة حصار العراق مع ضعف أداء وتطور منظمة مجلس التعاون الخليجي.

على الجانب الآخر، أخذ تنظيم «القاعدة» في البروز بعد حرب تحرير الكويت إلى أن ارتبط على المستوى الدولي عبر أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١، فأتت واشنطن حاملة راية الحرب على الإرهاب وإشاعة الديمقراطية عبر خلق نموذج لها باحتلال وبناء العراق مع السيطرة على موارده النفطية، بينما موسكو أتت بإيران عبر إستراتيجية تقليص فكرة هيمنة واشنطن على الخليج ومنطقة الشرق الأوسط. جدير بالذكر، بأن لإيران دوراً في المعارضة العراقية التي نسّقت مع واشنطن لإسقاط نظام «البعث» العراقي، وبعدها شكلت إيران قوة في العراق من خلال البعد الشيعي السياسي، مما فرض على واشنطن التعاطي مع إيران للتعامل مع الوضع في بلاد الرافدين بعد سقوط نظام «البعث» العراقي.

لقد قاد تحرير الكويت بالقيادة الأميركية وانهيار الحرب الباردة، إلى قناعة إقليمية بتحقيق السلام في القضية الفلسطينية، وهنا لابد من ذكر حقيقة أن السلطة الفلسطينية كانت ترغب في ركوب قطار السادات للسلام، ولكن الموقف العربي كان رافضاً ومانعاً. وفي هذه الفترة ظهرت تحالفات سياسية نتج عنها «محور الاعتدال» و«الممانعة» في الشرق الأوسط، وإن كان كلا المحورين تشكلا بسبب القضية الفلسطينية؛ حيث إن محور الاعتدال يميل إلى التسوية مع إسرائيل مقابل محور الممانعة الذي يميل للمقاومة ضد إسرائيل وسياسة واشنطن في المنطقة. إلا أن الحقيقة غير ذلك، فمحور الممانعة هو عبارة عن اختراق إيراني للنظام العربي وتصدير ثورته الإسلامية الشيعية.

ثانياً: العلاقات الكويتية الإسرائيلية:

أ- مسار العلاقة:

رفعت الكويت المقاطعة غير المباشرة عن إسرائيل، ففي يونيو ١٩٩٣ أعلن صباح الأحمد الصباح وزير الخارجية الكويتية رفع المقاطع الكويتية عن الشركات التي تتعامل مع إسرائيل، وقد رحبت كلّ من إسرائيل والبيت الأبيض بقرار الكويت، بينما دعت الجامعة العربية متأثرة بقرار الكويت إلى مقاومة الضغوط الهادفة لوقف مقاطعة إسرائيل[٢٥]. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن كل دول مجلس التعاون الخليجي تبعت الكويت في رفع الحظر المفروض على التعامل مع الشركات الأمريكية وغيرها من الشركات الأجنبية التي تتعامل مع إسرائيل[٢٦].

ب - الدوافع والمقومات:

١- الضغط الأمريكي لدعم السلام في المنطقة المتمثل في بداية المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية.

٢- موقف منظمة فتح الفلسطينية في أزمة احتلال الكويت، حيث كانت مؤيدة للعراق.

٣- القناعة لدى صناع القرار بأن حل القضية الفلسطينية سيأتي عبر المفاوضات برعاية ودعم الولايات المتحدة، علاوة على أهمية العلاقة الأمنية مع واشنطن والحصول على الأسلحة المتطورة.

ثالثاً: العلاقات البحرينية الإسرائيلية:

أ- مسار العلاقة:

استقبلت المنامة في ٢٤ أكتوبر ١٩٩٤ «يوسي ساريد» وزير البيئة، حيث ترأس اجتماعات لجنة البيئة في إطار المفاوضات المتعددة الأطراف المنبثقة عن مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١[٢٧].

٢٥ - عبد الجليل زيد مرهون، مرجع سابق، ص٢٩٤-٢٩٥.

٢٦ - Uzi Rabi & Chelsi Mueller.The Gulf Arab states and Israel since ١٩٦٧: from 'no negotiation' to tacit cooperation. To link to this article: http://dx.doi.org/١٠,١٠٨٠/١٣٥٣٠١٩٤,٢٠١٧,١٣٦٠٠١٣

٢٧ - عبد الجليل مرهون، مرجع السابق، ص ٢٨٦-٢٨٧.

ب- الدوافع والمقومات:

١- العلاقات الأمريكية المرتبطة بالأمن البحريني، ومعضلة التهديدات الإيرانية والمد العقيدي الشيعي في البحرين.

٢- دعم المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية.

رابعاً: العلاقات السعودية الإسرائيلية:

أ- مسار العلاقة:

استقبلت السعودية وفداً من المجلس اليهودي الأمريكي واللجنة اليهودية الأمريكية عام ١٩٩٤، ثم زيارة أخرى من وفد رابطة مناهضة تشويه السمعة اليهودية برئاسة أبراهام فوكسمان ١٩٩٥، الذي صرّح بأن سعود الفيصل وزير خارجية السعودية الذي استقبل الوفد، قد أرسل معهُ برقية تعزية إلى أرملة اسحق رابين[٢٨].

أتت مبادرة السلام الثانية ٢٠٠٢ التي أطلقتها السعودية في أجواء الانتفاضة الفلسطينية الثانية (٢٨ سبتمبر٢٠٠٠- ٨ فبراير ٢٠٠٥)، وعرفت بمبادرة عبد الله بن عبد العزيز وكان ولي عهد السعودية، وقد مررت مسقط رسالة من الرياض تدعو رئيس وزراء إسرائيل أرئيل شارون بعدم رفض المبادرة[٢٩]، وهو ما حدث فعلًا.

ب- الدوافع والمقومات:

١- تعزيز العلاقات الأمريكية السعودية، وتجنب عدم إمداد السعودية بالأسلحة الأمريكية الأكثر قوة وتطوراً، وهذا الأمر «الحصول على الأسلحة الأمريكية» يعد أداة ضغط لفتح اتصالات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل.

٢- دعم المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية.

خامساً: العلاقات العُمانية الإسرائيلية:

أ- مسار العلاقة:

في عام ١٩٩٤ وعبر لجنة الموارد المائية المنبثقة من مفاوضات مدريد وأوسلو، تم الاجتماع بالوفد الإسرائيلي في مسقط، وفي الختام طرحت فكرة مركز أبحاث لتحلية المياه في مسقط. وفي سابقة تاريخية استقبلت سلطنة عُمان في ديسمبر ١٩٩٤ رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحق رابين لدعم عملية السلام، وأثارت هذه الزيارة ردود فعل عربية معارضة وقد عقدت قمة عربية مصغّرة في الإسكندرية[٣٠]. وعندما اغتيل اسحاق رابين في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٥، قام وزير الخارجية العماني يوسف بن علوي بزيارة إسرائيل وهي الزيارة الأولى العمانية لحضور جنازة رابين[٣١].

تبلورت العلاقة بين مسقط وتل أبيب عام ١٩٩٦، حيث أنشئت منظمة تحلية مياه في الشرق الأوسطMEDRC، وهي منظمة دولية مكلفة بإيجاد حلول لندرة المياه العذبة والتنمية المستدامة، وقد تكونت هذه المنظمة كجزء من عملية السلام في الشرق الأوسط، ومقرها مسقط، وإسرائيل ضمن أعضائها[٣٢]. وجدير بالذكر بأن هذه المنظمة مثلت طريقاً لمسار تقارب الرؤى الأمريكية الإيرانية في الملف النووي لاحقاً، ومحلاً للزيارات الإسرائيلية إلى سلطنة عمان[٣٣].

ب- الدوافع والمقومات:

١- يمكن النظر إلى أنها تعتبر نتاجاً لتطور العلاقة بين سلطنة عُمان والولايات المتحدة في أعقاب سقوط نظام الشاه، حيث وقّعت

٢٨ - المرجع السابق، ص٢٨٨.

٢٩ - Sigurd Neubauer.The Gulf Region and Israel: Old Struggles ,New Alliances 2020 .Publishe Kodesh Press L.L.C.New York .P.8

٣٠ - عبد الجليل مرهون، مرجع سابق، ٢٨٩-٢٩٠.

٣١ - Sigurd Neubauer.The Gulf Region and Israel: Old Struggles ,New Alliances 2020 .Publishe Kodesh Press L.L.C.New York .P.130

٣٢ - Ibid .p128-192.

٣٣ - Ibid.p 137-140.

مسقط مع واشنطن عام ١٩٨٠ اتفاقية تحت مسمى تطوير منطقة مسندم، وفتحت موانئ عُمان وجزيرة مسندم لخلق قواعد عسكرية وتجسسية مقابل الحماية الأمنية لسلطنة عمان[٣٤].

٢- البحث عن حلول لقضايا شحّ المياه.

٣- السعي العُماني في تحقيق دور بارز في منطقة الشرق الأوسط والعلاقات بين أطراف مهمة ومتصارعة في المنطقة؛ تحديداً إيران وإسرائيل والسعودية.

سادساً: العلاقات الإسرائيلية القطرية:

أ- مسار العلاقة:

على الرغم من وجود علاقات بين شخصيات حكومية قطرية وإسرائيلية تعود إلى لقاء عام ١٩٩٣ بين الشيخ حمد بن جاسم وزير خارجية قطر ونظيره الإسرائيلي شيمون بيرز في الأمم المتحدة في نيويورك، الذي ترتب عليه لقاءات وزيارات أخرى بين الطرفين[٣٥]. إلا إن التحول الكبير حدث في العلاقة بين قطر وإسرائيل في سياق محاولة كلّ من المملكة العربية السعودية والبحرين (لديها خلاف حدودي بحري على جزر مع قطر آنذاك) والإمارات العربية المتحدة ومصر لتنفيذ تدخل عسكري ضد أمير دولة قطر حمد بن خليفة (المنقلب على أبيه في ١٩٩٥)، فاكتشاف هذه العملية في فبراير ١٩٩٦ والتي تسمى «عملية أبو علي» قاد إلى نتائج جيوسياسية مهمة على الدوحة، بما في ذلك إسرائيل، فبعد ثلاثة أشهر من «عملية أبو علي»، افتتح رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك شيمون بيريز مكتبًا تجاريًا إسرائيليًا في الدوحة بدعوة من أمير قطر، وقد قامت الدبلوماسية العمانية بتنسيق زيارة بيريز إلى قطر عبر وزير الخارجية العماني يوسف بن علاوي ونائبه السيد بدر بن حمد بن حمود البوسعيدي أمين عام وزارة

> **"واجهت الكويت تهديداً وجودياً عبر العراق في فترة عبد الكريم قاسم عند استقلالها ١٩٦١، وهي تحاول إيجاد علاقات متميزة مع جوارها. ومن الأهمية بمكان ذكر بأن سياسة إيران الشاه براجماتية بشكل كبير ومتقلبة، على سبيل المثال، في الخمسينيات كان يحاول إقناع بريطانيا بإعطائه جزراً كويتية، كما أنه يهدد أمن البحرين باعتبارها جزءاً من إيران، وقبيل استقلال الإمارات بيومين احتل جزرها الثلاثة."**

الخارجية العمانية، وتم الحديث عن فرص تصدير الغاز القطري إلى إسرائيل، وفي نفس رحلته «بيريز» إلى قطر أبريل ١٩٩٦ افتتح مكتبا تجارياً إسرائيلياً في مسقط بشكل رسمي[٣٦].

ونشطت الدوحة إقليمياً عبر استضافتها القمة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا (MENA) في نوفمبر ١٩٩٧، والذي واجهت مقاطعة عربية موجهة ضد تنامي الدور القطري وعدم التقدم في عملية السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين، بينما خرجت إسرائيل في هذا المؤتمر بالتوقيع على إنشاء منطقة التجارة الحرة في مدينة إربد الأردنية[٣٧]. كما أن سلسلة هذه المؤتمرات مثلت فرصة لبناء المنطقة من جديد بمشاركة إسرائيل، خاصةً في ظل مسار السلام مع السلطة الفلسطينية.

واتسعت فعالية قطر مستغلة وجود علاقات مع إسرائيل عبر القضية الفلسطينية في

٣٤ - محمد إدريس، مرجع سابق، ص ٣٢٥-٣٢٦.

٣٥ - مرهون مرجع سابق، 291.

٣٦ - Sigurd Neubauer ,Ibid ,p ,107 p123

٣٧ -Ibid ,p.109

اندلاع انتفاضة ٢٠٠٠، قطعاً إسرائيل تفهمت قطر بأنها تريد دوراً في قضايا المنطقة، ففي عام ٢٠٠٥، طلبت الدوحة من تل أبيب دعمها في ترشحها لعضوية مجلس الأمن الدولي، وفي عام ٢٠٠٦، لعبت الدوحة دوراً دبلوماسياً فعالاً في المساعدة على إنهاء حرب إسرائيل وحزب الله عبر قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١، حيث كانت تتولى رئاسة مجلس الأمن. ومع حرب غزة أُغلق المكتب الإسرائيلي التجاري في الدوحة عام ٢٠٠٩[٣٨].

ب - الدوافع والمقومات:

١- الهاجس الأمني القطري من دول الجوار، حيث تجاور قطر المملكة العربية السعودية في حدود برية وبحرية، بينما تجاور إيران بحرياً وتشترك معها في حقل غاز الشمال الضخم. فالعلاقات القطرية السعودية دائماً تحمل الهاجس الأمني من قبل قطر الدولة الصغيرة في حجمها الجغرافي والبشري، فقد حدث صدام مسلح على خلاف حدودي عرف باسم مركز الخفوس الحدودي ١٩٩٢، وهددت الدوحة في عدم التقيد باتفاقية الحدود لعام ١٩٦٥، وهنا طالبت الرياض في اختيار وسيط لترسم الحدود حسب هذه الاتفاقية[٣٩]. جدير بالذكر بأن السعودية كانت ترفض ترسيم الحدود البحرية مع قطر وأيضاً ترفض امدادات الغاز القطري إلى الكويت عبر أراضيها البرية.

٢- انقلاب الابن حمد بن خليفة على أبيه سنة ١٩٩٥، الذي ترتب عليه محاولة كلّ من السعودية والإمارات والبحرين ومصر إفشال الانقلاب عبر التخطيط لعملية تدخل عسكري عرفت باسم عملية «أبو علي» ترجع الأب خليفة بن حمد إلى السلطة.

٣- القدرات الاقتصادية، تعتبر قطر دولة صغيرة ولكنها غنية في الغاز على المستوى الدولي، وتستطيع لعب دور إقليمي ودولي، فقد استطاعت أن تكون دولة فاعلة بعلاقاتها الدولية، وبقناة الجزيرة، وباستضافاتها الدولية المتعددة.

٤- مكّنت قناة الجزيرة وصول الآراء الإسرائيلية للمشاهد العربي.

٥- تقوم العلاقة بين الدوحة وتل أبيب في مسار العلاقة مع واشنطن التي تطورت مع دعم انقلاب الابن حمد بن خليفة على أبيه سنة ١٩٩٥، وإنشاء القاعدة العسكرية الأمريكية في منطقة العديد القطرية.

سابعاً: العلاقات الإماراتية الإسرائيلية:

أ- مسار العلاقة:

على الرغم من وجود علاقات بين الإمارات وإسرائيل بشكل غير مباشر في فترة التسعينيات من القرن العشرين، مثل تجارة الألماس ورفع الحظر عن الشركات التي تتعامل مع إسرائيل، غير أن التطور الكبير والمهم يمكن إرجاعهُ إلى مساعي وتحركات أبو ظبي إلى تكوين علاقة قوية مع المشرّعين والساسة من كلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي في واشنطن. وكانت البداية القوية مع قضية شركة موانئ دبي العالمية- (التي استحوذت ٢٠٠٥ على شركة The Peninsular Steam Navigation Company البريطانية، مما قاد إلى حصول شركة موانئ دبي العالمية على حقوق عمليات إدارة ستة موانئ رئيسة في الولايات المتحدة، ولكن رفضت الولايات المتحدة هذه الإدارة للموانئ، حيث رأى السياسيون الأمريكيون بأن اثنين من الخاطفين التسعة عشر في ١١ سبتمبر / أيلول ٢٠٠١ هما مواطنان إماراتيان وأنهما قد سحبوا أموالاً من بنوك دبي قبل ارتكابهم أعمالهم الإرهابية على الأراضي الأمريكية[٤٠]. تطورت العلاقة بين الإمارات وإسرائيل عبر السفير الإماراتي في واشنطن يوسف العتيبة حيث تم الاجتماع والتحدث مع اللواء عاموس جلعاد ٢٠٠٨، بعد الاجتماع الأول بين جلعاد وعتيبة، أقام البلدان قناة تواصل بين

٣٨ -Ibid ,p.111-118

٣٩ -مرهون مرجع سابق، ص155-153.

٤٠ - Sigurd Neubauer.Ibid ,.p83.

وزارة الدفاع الإسرائيلية ونظيرتها الإماراتية، كان التركيز على المخاطر الإيرانية على المنطقة، وتم إنشاء المكتب التجاري رسميًا في عام ٢٠٠٨[٤١].

وقد نجحت الإمارات في الحصول على ثقة دولية عالية وخاصة مع الولايات المتحدة والتي ساعدت في استضافتها لمقر منظمة إرينيا في أبوظبي»الوكالة الدولية للطاقة المتجددة» التابعة للأمم المتحدة، والتي إسرائيل أصبحت عضواً فيها، ومن نجاحات الإمارات إقامة محطة نووية سلمية بترحيب ومشورة أمريكية بالتعاون مع كوريا الجنوبية[٤٢]، وعدم وجود معارضة دولية تقديراً لجهود الإمارات في التنمية والتعاون والسلام الدوليين.

ثمة حالة توتر حدثت في بداية العلاقات غير الرسمية بين الإمارات وإسرائيل، حيث كاد أن يتسبب في إغلاق المكتب التجاري الإسرائيل الذي افتتح في ٢٠٠٨، وتعود القضية إلى يناير ٢٠١٠ في عملية اغتيال محمود المبحوح القيادي في حركة حماس في مدينة دبي، والمبحوح هو أحد مؤسسي كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، وله دور في قتل جنديين إسرائيليين عام ١٩٨٩[٤٣].

أ- الدوافع والمقومات:

١- تسعى الإمارات إلى تكوين قوة عسكرية نوعية عبر الحصول على الأسلحة الأمريكية الأكثر تطوراً.

٢- الحصول على مكانة دولية متميزة اقتصادياً وتقنياً عبر فتح العلاقات مع إسرائيل المتطورة في تكنولوجيا تحلية المياه والزراعة والأمن السيبراني.

٣- التوجس من تخفيف التواجد الأمني الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط والخليج خاصة.

٤- تجيد دولة الإمارات العلاقات الدولية في حلقات التعاون والصراع في نفس الوقت، ومثال ذلك علاقاتها التعاونية مع إيران في التجارة، حيث تعتبر الإمارات الشريك التجاري الأكبر لإيران في الخليج، وذلك لا يلغي حلقات الصراع في اليمن عبر الجماعة الحوثية ومطالبة الإمارات بجزرها المحتلة من إيران، وصد نفوذ إيران في المنطقة.

المحور الرابع: العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل ٢٠١٠-٢٠٢٠.

يحمل المحور الأخير من المادة البحثية فترة حرجة من أمن الخليج خاصة مع أبعاد الربيع العربي والهاجس الأمني المرتبط بتصور انسحاب الوجود الأمريكي من منطقة الخليج والشرق الأوسط.

أولاً: ملامح البيئة الأمنية الخليجية ٢٠١٠-٢٠٢٠:

تأثرت البيئة الأمنية الخليجية بشكل كبير عبر اندلاع «الربيع العربي»، حقيقةً، عدم وجود الحد المقبول من التنمية والعدالة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع يقود حتماً إلى تهاوي النظام السياسي من الأعلى إلى الأسفل في سقوط مدوٍّ بانقلاب عسكري أو ثورة شعبية ضده، وهذا هو ما حدث في «الربيع العربي» بسقوط بعض الأنظمة العربية الجمهورية، فالنظام السياسي له مدخلات ومطالب داخلية وخارجية تحوَّل لقرارات داخلية وخارجية تعكس فعالية وشرعية بقاء النظام السياسي[٤٤]. إن تأثير «الربيع العربي» كان بدرجات متفاوتة في دول الخليج، فالبعض منها تأثر كثيراً كالبحرين وعُمان، والبعض بشكل أقل كالسعودية والكويت، والبعض الآخر لم يتأثر على الإطلاق كالإمارات وقطر. أما العراق وإيران فوضعهما يختلف لأن العراق يعاني من الصراع الطائفي

٤١ - Ibid .p85-86.

٤٢ -Ibid .p86-88.

٤٣ - Ibid.p88-89.

٤٤ - Easton.D,1957.pp .,.(383-400.linked :http//: online.sfsu.edu/sguo/Renmin/June2_system/Political20% System_Easton.pdf.

"تطورت العلاقة بين الإمارات وإسرائيل عبر السفير الإماراتي في واشنطن يوسف العتيبة حيث تم الاجتماع والتحدث مع اللواء عاموس جلعاد ٢٠٠٨، بعد الاجتماع الأول بين جلعاد وعتيبة، أقام البلدان قناة تواصل بين وزارة الدفاع الإسرائيلية ونظيرتها الإماراتية، كان التركيز على المخاطر الإيرانية على المنطقة، وتم إنشاء المكتب التجاري رسمياً في عام ٢٠٠٨"

والنفوذ الإيراني. أما إيران فكانت براجماتية عبر دعمها لنظام بشار على حساب الشعب السوري. واستمرار تصوير نفسها أنها مع المستضعفين من المذهب الشيعي. ولنا هنا أن نذكر أن «الربيع العربي» استفادت منه إيران عبر نفوذها على التجمعات الخليجية الشيعية في زعزعة أمن البحرين وغيرها بدرجات أقل وضوحاً وبروزاً. على سبيل المثال فقط لا الحصر. اكتُشفت أسلحة تعود لما يسمى جماعة تتبع «حزب الله» في الكويت. وفي هذه الفترة بدأت عاصفة الحزم ٢٠١٥ بقيادة السعودية ومشاركة عربية من الإمارات والبحرين وقطر والكويت والسودان وغيرها كالأردن والمغرب ومصر بصورة رمزية. وذلك لدعم الشرعية اليمنية والتصدي لأذرع إيران في الشمال اليمني عبر جماعة الحوثيين الشيعية «أنصار الحق». علاوة على ذلك أعلن ترامب في ٨ مايو ٢٠١٨، الخروج من الاتفاق النووي مع إيران الذي تم ٢٠١٥ في عهد الرئيس الأمريكي أوباما[٤٥].

ثانياً: العلاقات القطرية الإسرائيلية:

الربيع العربي دفع تركيا وقطر لمحاولة دعم صعود جماعة الإخوان المسلمين للتخلص من الأنظمة التقليدية. في غضون ذلك. تبنت الإمارات سياسات تتعارض مع مصالح تركيا. ودعمت التعاون الإسرائيلي اليوناني. وأرسلت إشارات فيما يتعلق بالإبادة الجماعية للأرمن[٤٦]. وهناك تضارب في السياسة التركية مع حزب العدالة والتنمية من ٢٠٠٢ وحتى الربيع العربي من استراتيجية صفر مشاكل إلى التورط في الوضع العربي وتبعات الربيع العربي[٤٧]. ووصلت الخلافات حول السياسة القطرية الداعمة للتيار السياسي الإسلامي والتحولات العربية والمتلاقية مع بعض السياسات التركية والإيرانية في الربيع العربي. إلى مقاطعتها من قبل الإمارات والسعودية والبحرين ومصر عام ٢٠١٧.

وعلى الرغم من تجميد إغلاق المكتب التجاري الإسرائيلي في الدوحة ٢٠٠٩. بسبب حرب غزة. إلا أن العلاقات مستمرة في الزيارات والتجارة غير المباشرة. كما أن تل أبيب تستفيد من نفوذ قطر في غزة وعلاقاتها مع حماس. فالعلاقات القطرية الإسرائيلية تحمل تبادلاً للمصالح في إيصال الدعم القطري للحياة في قطاع غزة. مع لعب الدوحة دوراً إقليمياً ودولياً وإنسانياً في ذلك. وعلى الجانب الآخر تستطيع إسرائيل إدارة الصراع مع حماس ومع طهران الداعمة لها. وخفض وتأجيل الصدامات المسلحة مع حماس التي ليس لها بديل في غزة حتى الآن[٤٨].

---

٤٥ - About Iran Nuclear Deal ,please see :Alcaro.R. Deal , .IstitutoAffariInternationali .http//:www.iai.it/en/pubblicazioni/west-and-middle-east-after2015The West and the Middle East after the Iran Nuclear.

٤٦ - Başkan ,B .2016 ,.Turkey and Qatar in the Tangled Geopolitics of the Middle East .Doha ,Qatar :School of Foreign Service in Qater ,Georgetown University

٤٧ - Cook ,A .S .2012 .Turkish Relation with the Middle East ,ECSSR ,Abu Dhabi.

٤٨ - Yoel Guzansky ,The Gulf States ,Israel ,and Hamas ,2017 ,.Tel Aviv :Institute for National Security ,p160-163.

ثالثاً: التعاون بين المثلث الخليجي «الإمارات والسعودية والبحرين» بين إسرائيل:

أ- مسار العلاقة:

تختلف هنا العلاقة عمّا سبقها التي كانت علاقات ثنائية، وهنا يمكن الحديث عن علاقات منسقة جمعت كلاً من الإمارات والبحرين والسعودية مع إسرائيل، وكانت تلك العلاقة يغلب عليها التنسيق الأمني مع إسرائيل ثم إبرام اتفاقية أبراهام، التي قادت إلى إقامة علاقات دبلوماسية وقانونية بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة ومملكة البحرين، ودخلت هذه الاتفاقية حيز التنفيذ في ١ سبتمبر ٢٠٢٠[٤٩]، وأقيم التوقيع عليها في واشنطن برعاية أمريكية، وكان يتوقع أن تساعد على إعادة انتخاب ترامب ولكن لم يحدث هذا، كما لم يحدث مع كارتر الذي وقع في عهدهِ اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل. وهذه الاتفاقية والدور الأمريكي قاد إلى تطبيع العلاقات بين المملكة المغربية وإسرائيل قبل التطبيع مع السودان، فالرباط كسبت من التطبيع في الدرجة الأولى دعم واشنطن وتل أبيب وأبوظبي والرياض والمنامة في سيادتها على الصحراء الغربية وصراعها مع جبهة البوليساريو والجزائر في هذه القضية[٥٠].

ب - الدوافع والمقومات:

ا- في التعاون السيبراني بين المثلث الخليجي وإسرائيل، بدأت دولة الإمارات علاقاتها مع شركة NOS Group صاحبة برنامج بيجاسوس- Pegasus للتجسس في عام ٢٠١٣، ويشكل هذا التعاون معضلة بين الضرورات في السياسة الواقعية لتحقيق الأمن من المخاطر الداخلية والخارجية، وبين حقوق الإنسان[٥١]. وأخذ هذا البرنامج لا يتم إلا بموافقة وزارة الدفاع الإسرائيلية، ولقد تمت عملية شراء هذا البرنامج من قبل دول خليجية مثل السعودية والبحرين[٥٢]. ولابد من الإشارة هنا بأن زيارة نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى سلطنة عُمان ومقابلة السلطان قابوس عام ٢٠١٨ كانت بسبب هواجس مسقط من تقدم دولة الإمارات في الأجهزة الأمنية وخاصةً برنامج بيجاسوس الذي يتبع الشركة الإسرائيلية NSO، والذي لا يباع إلا بموافقة من وزارة الدفاع الإسرائيلية وللحكومات فقط[٥٣].

٢- اتفاقية أبراهام وسيلة لتحقيق أهداف مهمة عدة للمثلث «أبوظبي، الرياض، والمنامة» مع تل أبيب، وقد سرد Steven Simon أهمها[٥٤]:

- احتواء الخطر الإيراني الذي يمثل تهديدًا للاستقرار الإقليمي، إلى جانب خطر الإخوان المسلمين وغيرهم من الجماعات الإسلامية على أمن المنطقة. ومن الأهمية بمكان ذكر بأن مقاطعة قطر يونيو ٢٠١٧ من قبل السعودية والامارات والبحرين ومصر، ترجع إلى أن الدوحة تدعم الثورات السياسية في المنطقة العربية مع دعمها للتيار الإسلامي للوصول للسلطة.

- تنظر الإمارات والسعودية والبحرين إلى بناء العلاقات مع إسرائيل على أنهُ تحوّلٌ ضد تراجع الاهتمام الأمريكي بالشرق الأوسط، فهناك مساعٍ بين بعض دول الخليج العربي لملء الفراغ

٤٩ - Steven Simon .Israel and the Persian Gulf :A Source of Security or Conflict ?QUINCY INSTITUTE FOR RESPONSIBLE STATECRAFT .https//:quincyinst.org/report/israel-and-the-persian-gulf-a-source-of-security-or-conflict/

٥٠ - Yasmina Abouzzohour.,Partial Normalization: Morocco's Balancing Act ,.The Arab Reform Initiative .Linked: https//:bit.ly3/Ct9NbX

٥١ - Neri Zilber ,Gulf Cyber Cooeration with Israel: Balancing Threats and Rights 17 ,.Jan ,.2019 linked :https//:bit.ly3/Keth5C

٥٢ - Chaim Levinson ,.With Israel‹s Encouragement, NSO Sold Spyware to UAE and Other Gulf States .Haaretz25 , ,08-2020article ,linked :https//:bit.ly3/PA6pyM

٥٣ - Sigurd Neubauer ,Ibid.135 ,

٥٤ -Steve Simon ,Ibid.

الجيوسياسي على أثر فكّ الارتباط المتوقع لحامي أمن الخليج والشرق الأوسط الولايات المتحدة الأمريكية.

- وعلى الجانب الآخر تنظر طهران إلى اتفاقات إبراهام باعتبارها تهديدًا خطيرًا. فقد أصبحت إيران والثورة الإسلامية الشيعية موجودة على الحدود الشمالية لإسرائيل منذ الثمانينيات بسبب حرب لبنان بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٨٤. والآن أصبحت إسرائيل موجودة في الخليج بعلاقاتها الرسمية مع الإمارات والبحرين وغير الرسمية مع السعودية. والتي "الرياض" تعتبر داعمة لهذه الاتفاقية. ويرى Simon Tanios بأن هناك محورين متصارعين مذهبياً في المنطقة. ويمكن لإسرائيل أن تلعب الدور الرادع للصدامات المسلحة. فإسرائيل في محور الدول السنية[٥٥]. بينما تركيا التي توجت علاقاتها مع قطر التعاونية الداعمة للتيار الإسلامي والتحولات السياسية في المنطقة العربية عبر قاعدتين عسكريتين. مازالت «أنقرة» لا تمتلك علاقات قوية مع السعودية والإمارات والبحرين في أن تكون محوراً رادعاً لإيران الشيعية. فهناك أيضاً مصالح بين أنقرة وطهران تجارية وأمنية في منع تمدد القضية الكردية نحو الحكم الذاتي في إيران وتركيا كما حدث في كردستان العراق. ومن الأهمية بمكان ذكر بأن الإمارات تعتبر أكبر شريك تجاري خليجي لكلّ من إيران وتركيا. فالعلاقات الدولية تحمل الصراعات والتعاون في نفس الوقت.

- تشترك الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل أيضًا في مصلحة مواجهة النشاط التركي في عهد الرئيس رجب طيب أردوغان. فمنذ التوقيع على اتفاقيات أبراهام. قامت الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل بالطيران جنبًا إلى جنب في التدريبات العسكرية التي رعتها اليونان في عام ٢٠٢١. والذي يشكل دعماً لأثينا في الخلافات الحدود البحرية مع أنقرة.

- الاستفادة من التكنلوجيا الإسرائيلية في الزراعة وتحلية المياه. مع تعزيز التجارة والسياحة. وتصدير النفط الخليجي عبر إسرائيل إلى أوروبا.

- وجود مستويات عالية من القبول الشعبي السعودي والإماراتي والبحريني لإقامة علاقات مع إسرائيل.

- العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي خاصة الإمارات والبحرين والسعودية بشكل غير رسمي حتماً ستقود إلى تقويم السياسة الإيرانية مع دول المنطقة الخليجية.

الخاتمة:

تشهد العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل تطوراً ما عدا الكويت. فالإمارات والبحرين وإسرائيل تربطهم اتفاقية ابراهام ومجريات التعاون التجاري والصحي والتكنولوجي والسياحي والأمني. على سبيل المثال فقط. دعمت وموّلت الإمارات الاستثمار المتبادل بين الأردن وإسرائيل في الطاقة الشمسية من الأردن مقابل المياه من إسرائيل كحلقة اعتماد متبادل.

أما سلطنة عُمان والسعودية وقطر فمازالت تنطبق عليها نظرية أنظمة الأمن الضمنية لكلّ من البروفسور كلايف جونز Clive Jones والدكتور يوئيل جوزانسكي «Yoel Guzanzky» والتي تقوم على وجود تعاون في مجالات محددة بين الدول دون التصادم في مسائل وقضايا أخرى كالمرتبطة بالوضع الداخلي الشعبي ومعتقداتهِ. أو التأثير على طبيعة علاقات دولية ما. على سبيل المثال. تتعاون قطر بشكل غير رسمي مع إسرائيل في التجارة غير المباشرة وفي إدارة الصراع في غزة والحفاظ على مستويات مقبولة للعيش فيها. النظرية تنطبق على المملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان أيضاً إلى كتابة هذه المادة. فاتفاقية أبراهام أتت بمباركة السعودية التي لها علاقات مباشرة. لكن لم تصل إلى العلاقات القانونية. فالسعودية بحصولها على جزيرتي تيران وصنافير من

٥٥ - Simon Tanios ,.Iran ,Israel ,the Persian Gulf ,and the United States :A conflict Resolution Perspective .Linked: https//:bit.ly3/pzXSB8

مصر تواصلت مع إسرائيل حسب ما تقتضيه معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل. وقد أعلنت السعودية مؤخراً فتح أجوائها حسب المواثيق الدولية في الملاحة الجوية والذي يعكس السماح للطيران الإسرائيلي بالتحليق فوق الأجواء السعودية. علاوة على كل ذلك، فهناك زيارات متبادلة مستمرة بشكل غير معلن، فمازالت السعودية تخشى إعلان علاقة رسمية مع إسرائيل بسبب هوية ودور السعودية في العالم الإسلامي، مع تعرقل مسار إقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس. وتبدو العلاقة العُمانية الإسرائيلية تتجه إلى التطبيع. وهذه النظرية فقدت واقعيتها مع توقيع معاهدة أبراهام بين الامارات والبحرين وإسرائيل برعاية أمريكية، لأن العلاقات أصبحت قانونية ودبلوماسية في إطار العلاقات الدولية.

مستقبل العلاقة بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل مازال مرتبطاً بإعادة المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية وفي إقامة دولة فلسطينية مستقلة، فالقضية الفلسطينية والقدس تحتل مكانة عقائدية وإنسانية في المجتمعات العربية والشرقية والإسلامية والمسيحية، فإقامة دولة فلسطينية يمثّل مصداقية لتوجه إسرائيل إلى السلام، والذي سينعكس بشكل كبير على منطقة الشرق الأوسط وحقوق المجتمعات والشعوب في الحياة الآمنة المتطورة، إلى جانب ذلك، ستركز دول المنطقة وشعوبها ومجتمعاتها على التنمية ومواجهة تحديات المستقبل من الطاقة والمياه والتطور الزراعي والصناعي، والحفاظ على الموروث الثقافي الشرقي المتعدد.

"حدثت حالة توتر في بداية العلاقات غير الرسمية بين الإمارات وإسرائيل، حيث كاد أن يتسبب في إغلاق المكتب التجاري الإسرائيل الذي افتتح في ٢٠٠٨، وتعود القضية إلى يناير ٢٠١٠ في عملية اغتيال محمود المبحوح القيادي في حركة حماس في مدينة دبي، والمبحوح هو أحد مؤسسي كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، وله دور في قتل جنديين إسرائيليين عام ١٩٨٩."

المراجع:

١- Alcaro.R. 2015. The West and the Middle East after the Iran Nuclear Deal. ، IstitutoAffariInternationali. http://www.iai.it/en/pubblicazioni/west-and-middle-east-after-Iran-Nuclear-Deal [Accessed on 14/09/2015].

2- Alex. M. and DeRouen. K. 2016. Understanding Foreign Policy Decision Making. Abu Dhabi: ECSSR.

Asher Orkaby. March 13، 2015. Rivals with Benefits: 3- Israel and Saudi Arabia's Secret History of Cooperation،" Foreign Affairs.

BaŞkan، B. 2016. Turkey and Qatar in the Tangled Geo- 4- politics of the Middle East. Doha، Qatar: School of Foreign Service in Qatar، Georgetown University.

Chaim Levinson. 25-08-2020. With Israel's Encourage- 5- ment، NSO Sold Spyware to UAE and Other Gulf States. Haaretz، ، article، linked: https://bit.ly/3PA6pyM

CLIVE JONES YOEL GUZANSKY. 2019 Fraternal 6- Enemies Israel and the Gulf Monarchies.. Published in the United States of America by Oxford University Press 198 Madison Avenue، New York، NY 10016 Copyright 2019.

Cook، A. S. 2012. Turkish Relation with the Middle East، 7- ECSSR، Abu Dhabi.

Easton.D.1957،pp.383-400). http://online.sfsu.edu/sguo/ 8- Renmin/June2_system/Political%20System_Easton.pdf.

Jonathan Fox، Religion as an overlooked Element Of 9- International Relations، International Studied Review،

Vol. 3، 3، Issue 3، Fall 2001، Pages 53–73، https://doi.org/10.1111/1521-9488.00244.

10- Malcolm H. Kerr. 19810 The Arab Cold War: Gamal Abd al Nasir and His Rivals، 1958-1970. London. Publish for The Royal Institute of International Affairs by OXFORD UNIVERSITY PRESS. Third edition، publishe 1981.

11- Michael، H.، (1981). Weak states in the international system. London: Publication Info

12- Neri Zilber. 17 Jan 2019. Gulf Cyber Cooperation with Israel: Balancing Threats and Rights. link: https://bit.ly/3Keth5C

13- Neubauer. S. (2020). GULF REGION and ISRAELOLD STRUGGLES: OLD STRUGGLES، NEW ALLIANCES،

14- Robins. P. (2001). Turkish-Israel Relations: From the Periphery to the Center. Abu Dhabi: The Emirates Center for Strategic Studies and Research.

15- Simon Tanios. Iran، Israel، the Persian Gulf، and the United States: A conflict Resolution Perspective. Linked: https://bit.ly/3pzXSB8.

16- Steven Simon. 30-06-2021 Israel and the Persian Gulf: A Source of Security or Conflict? QUINCY INSTITUTE FOR RESPONSIBLE STATECRAFT.

17- https://quincyinst.org/report/israel-and-the-persian-gulf-a-source-of-security-or-conflict/

18- Trita Parsi. 2007. Treacherous Alliance: The Secret Dealings Of Israel، Iran، and The U.S. Yale University press

19- Uzi Rabi & Chelsi Mueller. 6-09-2017. The Gulf Arab states and Israel since 1967: from 'no negotiation' to tacit cooperation. link this article: http://dx.doi.org/10.1080/13530194.2017.1360013

20- Yasmina Abouzzohour،. 10-08-2021. Partial Normalization: Morocco's Balancing Act.، The Arab Reform Initiative. Linked: https://bit.ly/3Ct9NbX

21- Yoel Guzansky، The Gulf States، Israel، and Hamas. 2017 Tel Aviv: Institute for National Security، p 160-163.

المراجع باللغة العربية:

١- لقاء مع ناصر الحزيمي، صناعة الموت جهيمان العتيبي اقتحام الحرم المكي الكعبة، قناة العربية، 24-7-2014. الرابط: https://bit.ly/3R4bfpf

2- حميد المنصوري، الاتفاق النووي الإيراني ومستقبل الأمن الخليجي. جريدة الاتحاد، أبوظبي، 12 أغسطس 2013. https://bit.ly/3QUzoyV

3- د. محمد السعيد إدريس. النظام الإقليمي للخليج العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000 الطبعة الأولى.

4- رياض الريس. 1976. ظفار الصراع السياسي والعسكري في الخليج العربي. رياض الريس للكتب والنشر، لبنان ، الطبعة الأولى، 1976.

4- عبد الجليل زيد مرهون. 1997. أمن الخليج بعد الحرب الباردة، دار النهار للنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

5- مايكل أ. بالمر. 1995. حراس الخليج: تاريخ توسع الدور الأمريكي في الخليج 1992-1833، ترجمة نبيل زكي، (القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى.

6- مايلز كوبلاند. 1970. لعبة الأمم. ترجمة مروان خير، انتناشنال سنتر، بيروت الطبعة الأولى.

7- نبيل الربيعي. 2021. تاريخ يهود الخليج : (البحرين - عمان - الاحساء — الكويت)ز دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع.

8- فريد هاليداي.2008. الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية. ترجمة محمد الرميحي، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى.

المنطقة الآمنة شمال سوريا...
توافقات ومقايضات

أفين يوسف
سوريا

تلوّح تركيا في كل فرصة بضرورة إنشاء منطقة آمنة في الشمال السوري، وتهدد منذ أشهر بشن عملية عسكرية جديدة في شمال سوريا، وخصوصاً المناطق التي تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية، وتصرّ تركيا على التغلغل في الأراضي السورية الشمالية بعمق 35 كم، متذرّعة بحماية أمنها القومي من المخاطر التي تهددها من الجماعات الإرهابية على حدّ زعمها (مشيرة إلى قوات سوريا الديمقراطية).

تحاول أنقرة منذ عام ٢٠١٢ كسب التعاطف الدولي، وقد استخدمت اللاجئين السوريين كورقة ضغط على الدول الأوربية في عدة مناسبات، كما تعترض على أي وجود كردي على حدودها، وتعتبر مشروع الإدارة الذاتية مشروعاً انفصالياً يهدف إلى تقسيم سوريا وإنشاء دولة كردية على حدودها، وتعتبر ذلك تهديداً مباشراً وخطراً على أمنها القومي.

مع اقتراب موعد الانتخابات في تركيا، يحاول الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، الوفاء بوعده بإنشاء مناطق آمنة على الحدود التركية-السورية لإعادة مليون لاجئ سوري، وتوطينهم في تلك المناطق في محاولة لإرضاء الشعب التركي وحصول حزبه «العدالة والتنمية» على الأصوات، خاصة وأن تركيا تعاني من أزمة اقتصادية وسياسية داخلية.

اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية قوات سوريا الديمقراطية كشريك وحليف سوري لها في القضاء على تنظيم داعش، وأنشأت قواعد عسكرية للقوات الأمريكية على الأراضي التي تسيطر عليها قسد، وبالتالي اعتمدت الأخيرة على التواجد الأمريكي في منع الهجوم التركي على مناطق سيطرتها، وشهدت العلاقات بين أمريكا وتركيا توتراً شديداً خاصة بعد محاولة الانقلاب التركي عام ٢٠١٦ ورفض أمريكا تسليم فتح الله كولن المنشق التركي المتهم بتدبير الانقلاب، إضافة إلى اعتراض أمريكا على شراء تركيا لمنظومة الصواريخ S٤٠٠ من روسيا، باعتبار تركيا عضواً رئيسياً في حلف الناتو.

واستمر التوتر بين الجانبين حول مدينة منبج التي تسيطر عليها قسد، ورغبة تركيا حينذاك بتطهير المدينة من "وحدات حماية الشعب" التي تعتبرها تركيا امتداداً "لحزب العمال الكردستاني". وحرصاً على إعادة توطيد العلاقات بينهما خرج الطرفان بنتيجة "خارطة طريق منبج" وافق عليها الجانبان التركي والأمريكي، وتتضمن انسحاب وحدات حماية الشعب من منبج، لكنها لم تنفذ بشكل كامل بحسب تركيا، ما أثار غضب الجانب التركي الذي أعلن عدم دخوله صفقة مشابهة مع أمريكا في المستقبل.

وبادر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بالإعلان عن عدم تسامحه مع استمرار تواجد قسد على الحدود التركية السورية، وطالب الولايات المتحدة بالموافقة على عقد صفقة من شأنها إزالة تلك القوات من تلك المناطق، مهدداً بأن عدم القبول يعني شن تركيا غزواً واسع النطاق ضد الأراضي التي تحت سيطرة قسد شرق الفرات، وأن تركيا عازمة على إنشاء منطقة آمنة تحتلها على طول الحدود، الأمر الذي اعتبرته أمريكا غير مقبول، لذلك دخلت أمريكا في مرحلة مفاوضات جديدة مع تركيا بشأن المنطقة الآمنة ومحاولة الوصول لاتفاق حول تواجد قسد في شمال سوريا، إلا أن المحاولة باءت بالفشل بسبب إصرار تركيا على المطالبة بمنطقة عازلة عمقها من ٣٠-٥٠كم، بينما اقترحت أمريكا مسافة ٥-١٥كم بحيث تخضع لسيطرة أمريكية تركية مشتركة.

بعد شدّ وجذب بين الطرفين التركي والأمريكي توصل الجانبان في السابع من أغسطس عام ٢٠١٩ إلى اتفاق مبدئي، من شأنه منع أي عملية عسكرية تركية جديدة في شمال سوريا، وتضمن الاتفاق إنشاء مركز عمليات مشترك من شأنه إنشاء ممرّ سلام على الجانب السوري من الحدود السورية التركية دون البوح بالتفاصيل حول حجم ونطاق الممر.

وترفض أمريكا حتى الآن أي توسع تركي في مناطق شرق الفرات، بينما موقفها في غرب الفرات (منبج وتل رفعت) بريف حلب مازال متردداً بين رافض ومحايد، بسبب الوجود الروسي هناك.

من جهةٍ أخرى ما تزال تركيا تحاول الحصول على صفقة طائرات F١٦ ، وهو أمر متوقف على موافقة الكونغرس الأمريكي، وتركيا لا تريد خسارة الصفقة وإغضاب واشنطن في الوقت الحالي، لذلك من المستبعد قيام تركيا بعملية

عسكرية شرق الفرات في الوقت الحالي، بينما يبقى التهديد مستمراً على مناطق منبج وتل رفعت بدرجة أكبر، ويعتمد ذلك على التوافق الروسي-التركي أو التركي-الإيراني، وما جرى خلال القمة الثلاثية في يوليو المنصرم، وتجلي موقف إيران من خلال رفضها للعملية العسكرية في تل رفعت، التي تجاور بلدتي النبل والزهراء الشيعيتين، واللتين تهمّان طهران التي دعت تركيا إلى احترام التفاهمات التي توصلتا إليها خلال مفاوضات مسار أستانة.

في ظل الأحداث والتوترات التي طالت العلاقات التركية الأمريكية، سرعان ما اتجهت أنقرة لتصفية الأجواء بينها وبين موسكو وكسب ثقتها مجدداً، خاصة بعد إسقاط المقاتلة الروسية عام ٢٠١٥، ومن ثم تم تشكيل مسار أستانة برفقة إيران عام ٢٠١٧، والذي نتج عنه اتفاق خفض التصعيد والمصالحة وانسحاب المعارضة من بعض المناطق، وحققت مكاسب للطرفين تدريجياً.

ولعبت روسيا دوراً في تهجين الفصائل السورية المسلحة التابعة لتركيا، والتي أتاحت للأخيرة السيطرة على مناطق ومدن غرب الفرات وشرقه، عبر عملياتها العسكرية المتكررة على المدن الحدودية الجنوبية والتي تقطنها الغالبية الكردية التي يعاديها أردوغان واحتلالها.

من جهتها تستغل روسيا عداء تركيا لقوات سوريا الديمقراطية للضغط عليها وجرّها لتقديم تنازلات للنظام، دون حدوث تصادم بين النظام والميليشيات الداعمة له من جهة مع الجيش التركي والفصائل التابعة له من جهة أخرى، وعلى ما يبدو أن قمة طهران الثلاثية خرجت بعملية توافقية مفادها الضغط على قوات سوريا الديمقراطية وإضعافها من خلال استهداف قيادات بارزة بالمسيّرات التركية من جهة، والقصف المدفعي على المناطق السكانية الحدودية لإحداث حالة عدم استقرار في المنطقة وتشتيت القوات العسكرية بين تلك المناطق.

"اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية قوات سوريا الديمقراطية كشريك وحليف سوري لها في القضاء على تنظيم داعش، وأنشأت قواعد عسكرية للقوات الأمريكية على الأراضي التي تسيطر عليها قسد، وبالتالي اعتمدت الأخيرة على التواجد الأمريكي في منع الهجوم التركي على مناطق سيطرتها، وشهدت العلاقات بين أمريكا وتركيا توتراً شديداً خاصة بعد محاولة الانقلاب التركي عام ٢٠١٦ ورفض أمريكا تسليم فتح الله كولن."

سعى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لإقامة توافق جديد مع بوتين ضمن قمة سوتشي مؤخراً، خاصة بعد الرفض الإيراني للعملية العسكرية التركية بشدة في تل رفعت، بينما الموقف الروسي يؤكد على دعمه للنظام السوري ومحاولته إعادة سيطرة الأخير على الحدود التركية-السورية، وإجبار تركيا على تقديم تنازلات للنظام والاتفاق على إبعاد قسد عن الحدود التركية، لذلك تتمسك روسيا ببنود اتفاقية أضنة بين تركيا والنظام عام ١٩٩٨ والتي تسمح لتركيا التوغل مسافة خمس كيلومترات فقط داخل الأراضي السورية، بينما تركيا تطالب بما لا يقل عن عمق ٣٠ كم، وقد أيّد ذلك الفصائل السورية المدعومة من تركيا.

فيما لم يُفهم بعدُ أبعاد التصريح الذي أدلى به وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو مؤخراً، والذي أعرب فيه عن جاهزية بلاده لتقديم الدعم السياسي للنظام السوري ومحاربة الإرهابيين ويقصد (قوات سوريا الديمقراطية).

ما يمكن تخمينه من هذه التصريحات بأن نقاشاً ثنائياً قد جرى بين أنقرة وموسكو أفضى إلى نتائج وتوافقات جديدة، وقد تنتهي بالعودة إلى اتفاقية أضنة جديدة، وربما تكون موسكو قد نجحت في إيقاف العملية العسكرية التركية المرتقبة أو تجميدها لفترة معينة، لحين تتم التنازلات المرتقبة من تركيا والاتفاق على بعض المقايضات التي من المحتمل حصولها، كما حدث في العملية العسكرية على عفرين (عملية غصن الزيتون) التي تم خلالها مقايضة عفرين مقابل انسحاب الفصائل المعارضة الموالية لتركيا من مناطق في الداخل السوري المجاورة للعاصمة دمشق.

وتتجه آراء أخرى إلى أن التصعيد العسكري الذي قامت به القوات الحكومية السورية في جبل الزاوية بريف إدلب خلال الأيام الأخيرة، وقصف المنطقة بعدد كبير من القذائف، يرجّح إمكانية إجراء مقايضة روسية تركية، تقضي بسيطرة تركيا على مناطق تل رفعت ومنبج ومنّغ، مقابل سيطرة روسيا على جبل الزاوية.

إضافة إلى العديد من التوافقات الأكثر أهميةً للطرفين التي كانت محور تركيز القمة الثنائية. ويتمركز التقارب الروسي التركي حول مصالح اقتصادية وسياسية بين البلدين، واستغلال الرئيس التركي الظروف الحالية والحرب الأوكرانية لمصلحة بلاده، فهناك تقاطع للمصالح بين البلدين منذ بداية الأزمة في سوريا، وصلت لحد المواجهة بعض الأحيان خاصة بعد إسقاط الطائرة الروسية في سوريا، فهناك مواقف متباينة لتركيا مع روسيا، لكن أيضاً هناك علاقات اضطرارية تفرضها التطورات التي حدثت مؤخراً، خاصة فيما يتعلق برغبة روسيا الاستثمار في تركيا، والمواجهات التركية في محور حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة والتصعيد السياسي مع أوروبا فيما يتعلق بملف اللاجئين السوريين، واستثمرت روسيا تلك الأمور لبناء علاقات اقتصادية منها تحويل خط الغاز والاستثمار في تركيا، ودخول تركيا إلى اتفاقية تصدير الحبوب الأوكرانية العالقة في البحر الأسود، إضافة إلى مسألة المفاعل النووي جنوبي تركيا الذي سيلبي ١٠٪ من حاجة تركيا للطاقة، وتُعدّ الرغبة بتفاهم اقتصادي مع تركيا نقطة مهمة لروسيا في حديثها مع حلف شمال الأطلسي، وعدم انخراط تركيا بالعقوبات الاقتصادية على روسيا.

تَعتبر روسيا العملية التركية عملية تبادل مصالح، فروسيا تحتاج إلى إعادة فتح المضائق أمام السفن الروسية المتجهة من وإلى البحر الأسود، بالإضافة لفتح ممرات تجارية مع تركيا، والتسهيلات من المنافذ البحرية التركية، لذلك يُستبعد أن يكون التوافق الروسي التركي غالباً على أساس تبادل مناطق النفوذ في سوريا، نظراً لانسحابها من عدة مناطق كانت تتواجد فيها وتسليمها للميليشيات الإيرانية، بينما روسيا لها أطماع أخرى تتجلى في تثبيت نفوذها في الساحل السوري وقاعدة حميميم ومناطق حيوية أخرى.

تُغير السياسات والمصالح الإقليمية والدولية مجريات الأحداث الميدانية على الأرض السورية، واستمرار التهديدات التركية بضرورة القيام بعملية عسكرية تركية جديدة في الآونة الأخيرة، يوحي بوجود توافقات جديدة بين الأطراف الفاعلة في سوريا، ومن الواضح أن تركيا تستغل الظروف الدولية الحالية لصالحها ولتحقيق مصالحها، وقد تكون العملية العسكرية في طريقها للبدء حسب المعطيات والتحركات على الأرض، بالإضافة لمواقف تلك الأطراف على الأرض السورية لا سيما روسيا التي تواجه ضغوطاً قد تدفعها للقبول أكثر بمقايضة مع تركيا، مع احتمالية قبولها بعملية عسكرية في الشمال السوري في غربي الفرات تحديداً (منبج وتل رفعت)، بمقابل الاستحواذ على مناطق جديدة في ريف إدلب الجنوبي وبالتحديد في منطقة جبل الزاوية، وتبقى بذلك سوريا مشاعاً للتوافقات والمقايضات الدولية والإقليمية.

الشرق الأوسط وأزمة المواطنة

زيرين محمد خير

تُظهر منطقة الشرق الأوسط تعابيرَ دقيقة ومتنوعة للانتماء والهوية والمواطنة، ويحتاج الأمر إلى فهم تلك التعابير، فبصورتها التقليدية كانت مفاهيم المواطنة والانتماء مرتبطة بمفهوم المواطنة السياسية كما يحدث في الديمقراطيات الليبرالية، وبالتالي تم تجاهل العديد من أشكال المواطنة الأخرى المختلفة والمتنوعة التي تطورت في سياقات أخرى.

حيث «ترتبط الكثير من القضايا التي نتعامل معها، من الجغرافيا السياسية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية إلى التغيير الاجتماعي إلى الهجرات، ارتباطاً وثيقاً بمفاهيم المواطنة المتطورة، ولذلك فإن فهم هذه العلاقة وتجاوز التبسيط، أمر بالغ الأهمية لفهم الاتجاهات والتحديات الحالية التي تواجهها المنطقة».

إن تطبيق منظور المواطنة لدراسة الديناميكيات الاجتماعية والسياسية في منطقة الشرق الأوسط يُحدث التركيزَ على الأشخاص الذين يعيشون في هذه البلدان.

هناك تساؤلات مستمرة تخطر على بال الكثيرين ممن عاشوا ولا يزالون، وأولئك الذين فضّلوا الابتعاد والهجرة ومغادرة أوطانهم.

وأهم هذه التساؤلات هي :

١. ماذا يعني أن تكون من مواطني منطقة الشرق الأوسط ؟

٢. ما هي أهم قيم المواطنة والانتماء لمكان ما أو لدولة ما ؟

٣. لماذا لا تلعب المواطنة دوراً مهماً في تحليل الدولة والمجتمع والسياسة في منطقة الشرق الأوسط؟

٤. لماذا لا يشعر المواطن في الشرق الأوسط بانتمائه إلى وطنه؟

المواطنة ليست هي الكلمة الأولى التي تتبادر إلى الذهن عند تحليل السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط.

يتحدث الباحثون عن المواطنين، ولكن بطريقة مضللة بشكل عام "مواطنو هذا البلد أو ذاك يفعلون هذا أو يفعلون ذاك، ويتفاعلون مع هذا أو ذاك".

تعتبر المواطنة أمرًا مفروغاً منه، لكن لا يتم تحليلها حقاً.

«نيلز بودينشون» طرح هذه الأسئلة حول من هو المواطن، وما هي حقوقه، وكيف تتشكل المواطنة؟ وتصوَّرها ضرورية لفهم منطقة الشرق الأوسط.

هناك عناصر كثيرة تدخل في المواطنة: الشعور بالانتماء والهوية، أفكار حول الحقوق والعمالة والعدالة والأمن، وتقديم خدمات مثل التعليم والصحة والسلامة. القاعدة العامة هي أن المواطنة تتطور بمجرد ظهور الدولة الحديثة، والعلاقة بين الاثنين عقد اجتماعي تحصل فيه الدولة على الشرعية مقابل الخدمات والأمن والعدالة.

ومن منظور الدراسات المدنية يمكن تحليل منطقة الشرق الأوسط ، كمحاولة مستمرة لإنشاء عقد اجتماعي يشمل جميع المجموعات العرقية والدينية والأقليات، واحترام حقوق الشعوب واحترام المرأة والقانون، لكنه فشل في جلب مجموعات محددة. فالعقد الاجتماعي يلبي العديد من المطالب.

ولو عدنا إلى مفهوم المواطنة فهي تعني التمتع بالحقوق المختلفة، سواء كانت مادية أو معنوية والالتزام بالواجبات الوطنية، الشعور بالانتماء والولاء للوطن والدولة، التي تعدّ مصدر إشباع للحاجات الأساسية وحماية الحقوق العامة للمجتمع، كما أن المفهوم الحيوي للمواطنة أشمل من الولاء للعشيرة أو القبيلة أو الطبقة، بل يتجاوز الولاء الأطر الضيقة.

نقصد بالوطن لغوياً مكان الإقامة والحماية للفرد، ومن الناحية السياسية، يعني أن يتمتع المواطن بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى الوطن، وعلى أنه يدل على مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد ونظام سياسي في أي دولة، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول «المواطن» الولاء، ويتولى الطرف الثاني «الدولة» الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة.

إن مفهوم المواطنة يعني العلاقة بين الفرد والدولة كما يحدد قانون أية دولة، وما تتضمن هذه العلاقة من واجبات وحقوق في ظل دولة القانون.

إن تحقيق صفة المواطنة في ظل الدولة،

يعني أن المواطن في هذه الدولة يتمتع بحقوق سياسية، قانونية، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية.

يقوم الدستور على أساس توافق مجتمعي في الدولة، ويكون عبارة عن عقد اجتماعي يمثل مصدراً للحقوق وحامياً للواجبات بالنسبة لكل مواطن يتمتع بجنسية هذه الدولة، دون تمييز عنصري أو عرقي أو طبقي.

وبالنسبة لبناء الدولة، فهناك من يسعى إلى تجاوز مؤسسة القبيلة وبناء دولة وطنية تقوم على مؤسسات ديمقراطية، تضفي الشرعية على العمل السياسي داخل الدولة.

مازالت الدول في الشرق الأوسط تفتقد إلى ديمقراطية تصنعها الشعوب من خلال الشراكة السياسية الواسعة والرقابة السياسية القانونية.

تفتقد الدول في الشرق الأوسط إلى استراتيجيات وطنية تتجاوز الذهنيات السياسية القائمة على القبلية والعروشية والجهلوية والعرقية والدينية، وتكرس ثقافة سياسية ديمقراطية، يشارك في بلورتها الفئات الاجتماعية المختلفة للمجتمع، من أحزاب المجتمع المدني والجامعات ومراكز البحث والمثقفين والسياسيين، بالاعتماد خاصة على مؤسسات التنشئة الاجتماعية والسياسية، فبعد عقود على الاستقلال السياسي لدول الشرق الأوسط ، مازالت هشاشة العلاقات بين الدولة والمجتمع بادية وظاهرة، إذ أن ذلك البلاء هو الإخفاق في تأسيس سلطة ناجحة في صهر تلك التباينات في هوية وطنية، لأن كل السلطات المتعاقبة فشلت في صياغة علاقة قائمة على أساس المواطنة، بل لجأت إلى اختزال هذه العلاقة الواسعة في أطر إيديولوجية أو مناطقية أو طائفية ضيقة، استخدمت في تكريسها أشكالاً من الاستبداد والقمع والترهيب أو الفساد بمختلف أوجهه.

إن جميع هذه الأشكال يمكن اعتبارها أداة أو وسيلة تحافظ على هيكل السلطة، لكنها عاجزة عن بناء الدولة، حيث تؤسس المواطنة قاعدة صلبة للانتماء والافتخار، ومن ثم تنطلق مشاعر العطاء.

"نقصد بالوطن لغوياً مكان الإقامة والحماية للفرد، ومن الناحية السياسية، يعني أن يتمتع المواطن بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى الوطن، وعلى أنه يدل على مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد ونظام سياسي في أي دولة، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول "المواطن" الولاء، ويتولى الطرف الثاني "الدولة" الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة."

هكذا عندما انفجرت أزمات الدول وتناقضاتها خلال الهبّات التي سمّيت بالربيع العربي، فكانت في تونس، مصر، ليبيا واليمن ثم سوريا، لكنها كشفت أنه ما من دولة تجنح لتعذيب مواطنيها قادرة على الثبات والتقدم مع حركة التاريخ، فالثورات نفسها أكدت أنه ما من وطن يبقى متماسكاً ومواطنوه متنافرون.

خيبة عارمة خيمت على الساحات الشعبية المائجة بالطموحات في دولة المواطنة الكاملة، إذ اكتشفت أنها استبدلت قصص معاناة مكرورة بخفايا فلكلورية عتيقة.

المشهد الشرق أوسطي الراهن مصابٌ بأزمة مستفحلة إزاء إمكانية إيجاد سلطة قادرة على معالجة تناقضات الدولة المزمنة، من الخيبة الإيرانية إلى التونسية التي لا تقل عنها الفاجعة المصرية أو الصدمة الليبية أو الاحتقان اليمني وصولاً إلى الدوّامة السورية، نعم وهي مشاعر الاكتئاب نفسها المتفشية في السودان، حيث فرضت التجزئة نفسها ولا تزال تنهش

كيان الدولة، وهي مظاهر التفسخ ذاتها في العراق، ثم هي ألسنة اللهب المتصاعدة في سوريا.

هكذا يفضح المشهد عملية الانتكاس من الدولة إلى الجماعة بغضّ النظر عن انتمائية هذه الفئة، وهكذا تعيش الشعوب والمواطنون مرحلة إخفاق جماعي إزاء إمكانية بناء دولة قاعدتها مواطَنة ملؤها المساواة بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات.

كل هذه العناصر تشيع الكراهية بين المواطنين، ومن ثم تفرز جفوة أو فجوة بين الدولة ومواطنيها، والحال هذه؛ فإنه ما من سبيل لتغيير هذه الصورة القاتمة ما لم تتم معالجة هذه القضايا المزمنة، بعقلية منفتحة على جذور الأزمة وعلى العصر.

لا يكفي تصنيف الجماعات الخارجة على سلطة الدولة، بالتمرد والتشكيك في انتمائهم الوطني، في غياب مساءلة السلطة عما تقدمه لهؤلاء من حقوق واعتراف بدورهم في التمثيل السياسي، ومساءلتها عن مساهمتها في إرساء المواطنة والتقصير الفادح إزاء نشر الخدمات الأساسية وقاعدة إغاثية.

إن تكريس مبدأ المواطنة داخل المجتمعات الشرق أوسطية والأساس الذي يقوم عليه مجتمع الدولة، يعيش أزمة مواطنة حقيقية، فبعد أكثر من نصف قرن من الزمن، شهدت المجتمعات الشرق أوسطية تحولات عميقة على المستويين السياسي والشعبي، دون أن يواكب ذلك تطور على مستوى المواطنة.

خلاصة القول يمكننا أن نوضح هذه النقاط:

١. لا يمكن بناء مواطنة حقيقية في المجتمعات الشرق أوسطية إلا بتجاوز المؤسسات القبلية والدينية ومثيلاتها، وصولاً إلى بناء دولة وطنية تقوم على مؤسسات وطنية تضفي الشرعية على العمل السياسي داخل الدولة.

٢. إن الأزمات السياسية، الأمنية، الاقتصادية، الاجتماعية التي تعرفها الكثير من الدول الشرق أوسطية، وفي مقدمتها الدول العربية التي تتنوع فيها المذاهب والتيارات والأعراق والأيديولوجيات مثل العراق، سوريا ، تركيا ، إيران، تعود أساساً إلى غياب مشروع مجتمع وطني يجسّد التوافق الوطني الشامل.

٣. إن استمرار البناء الاجتماعي التقليدي في المجتمعات الشرق أوسطية، يشكل مقاومة للدولة الوطنية الحديثة، وبالتالي مقاومة للوطن وللمواطنة.

٤. الربط بين الإصلاح السياسي والإصلاح الاقتصادي لحل المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها المواطن في الشرق الأوسط لمواجهة التحديات المختلفة.

المراجع:

١. عبد الوهاب بن خليف، جيوسياسية العلاقات الدولية; التغيرات، القواعد والأدوار. الجزائر; دار قرطبة، ٢٠١٦ م .

٢ -عبد السالم إبراهيم بغدادي، الوحدة الوطنية والمشكلات الأقلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ٢٠٠٠م .

٣. نعوم تشومسكي، صناعة المستقبل; الاحتلال، التدخلات، الإمبراطورية والمقاومة، ط 5 ، بيروت شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠١٩ م.

٤. زهرة بابار، «دليل روتليدج للمواطنة ، جامعة جورج تاون ، ٢٠٢١م.

في الحديث عن الهوية الكردية.. نحو مشروع سياسي جديد

روشن مسلم

سوريا

المقدمة:

الأرض، اللغة، الثقافة، كلمات ثلاث تكاد تتلازم، طارحة أكبر قضية في منطقة الشرق الأوسط، وهي التحدي الأول لحصول الشعوب والقوميات على حقوقها المشروعة باعتبارها هدفاً إنسانياً، وهذا التحدي ينطبق على مجمل بلدان العالم، ولا فرق بينها مطلقاً.

وتشكل الهوية الوطنية الذاكرة الحيّة للفرد والمجتمع الذي يجب أن يكون الحوار بين قومياته هو الأساس الذي ينطلق من أجل تحقيق الهدف النهائي لأي شعب، والذي يتلخص في إقامة الدولة المستقلة العلمانية المتقدمة التي تساوي بين كافة مواطنيها، وبذلك ينعكس هذا الأساس على كيان الدولة ووحدتها كدولةٍ مستقرة سياسياً واجتماعياً، دولةٍ يتعايش فيها الجميع بتنوعهم العرقي والديني والطائفي، ويجمعهم نظام ودستور كإطار جامع يحتوي الجميع.

يجب أن يعترف الجميع أن للهوية خصوصيةٌ، فهي المعبّر عن ملامح أي شعب، وأن الأرض واللغة هما القاعدة الأساسية لهذه الهوية، وبالطبع يضاف إليهما وقائع التاريخ وأحداثه التي تتحول بحكم الزمن إلى جزء من الشخصية العامة للفرد والأمة. وتقول حقائق التاريخ إن هوية الشعوب ظلت هدفاً للقوى الاستعمارية، وسعت الأنظمة الحاكمة لتدميرها أو تزييفها وطمس ملامحها، ولهذا كان نضال الشعوب على مرّ التاريخ ضد الاحتلال الأجنبي أو أنظمة القمع القومية، يرتكز على طرد المستعمر ومقاومة هذه الأنظمة والاحتفاظ بالهوية القومية، أي أن النضال الوطني ارتبط بالنضال الثقافي، وربط ما بين التحرر والحفاظ على الهوية الثقافية.

إن أحد التحديات التي تواجه الشعوب في نضالها هو استعادة الحقائق، وامتلاك الوعي لأهمية الهوية، وهذه التحديات بدورها تثير إشكالية القدرة على احترام التنوع الثقافي والاعتراف بالآخر، والتصدي لمفهوم الثقافة الأحادية، ولعل الأحداث التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط بل والعالم، قد أثارت أسئلة كثيرة حول مفهوم الدولة والأمة، وخصوصاً في مجتمعات سعت لما يمكن أن نسميه بالاندماج السياسي بل الجغرافي الذي يتجاوز الحدود الوطنية، فهل يمكن القول إن هذا الطرح يُعتبر شكلاً جديداً من أشكال عولمة العالم وخصوصاً في الجانب الاقتصادي، أم هو شكل آخر ومختلف لمفهوم الهوية الوطنية؟.

إن هذا الطرح يستلزم الإجابة على عدد من التساؤلات الفرعية وهي:

أولاً: ما هو مفهوم الهوية[1]؟

ثانياً: قراءة لواقع الهوية الكردية في سوريا.

ثالثاً: إشكالية الاعتراف بتعددية الهوية.

رابعاً: نحو مشروع سياسي جديد.

أولاً: مفهوم الهوية:

"الهوية مصطلح يُستخدم لوصف مفهوم الشخص وتعبيره عن فرديته وعلاقته مع الجماعات (كالهوية الدينية أو الوطنية أو العرقية)، ويُستخدم المصطلح خصوصاً في علم الاجتماع وعلم النفس، وتلتفت إليه الأنظار بشكل كبير في علم النفس الاجتماعي، فكلمة «هوية» منسوبة إلى الضمير «هُوَ»."

ويُشتقّ المعنى اللغوي لمصطلح الهوية المركب من تكرار (هو)، فقد تم وضعه كاسم معرّف ب «أل»، ومعناه «الاتحاد بالذات». ويشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء هو، أي من حيث تشخّصه، وتحقّقه في ذاته، وتميّزه عن غيره، فمفهوم الهوية يشكل وعاء الضمير الجمعي لأي تكتّل بشري، ومحتوى هذا الضمير في ذات الوقت بما يشمله من قيم وعادات، ومقوماتِ تكيّف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانه[2].

ويعتبرها ـ أي الهوية ـ الكاتب العالمي جيمس فرعون على أنها مكوّن متطور لمساعدة الأفعال السياسية، وتعني باختصار فهم الناس من أين هم، وما يربطهم بغيرهم[3].

إذا كان لكل شعب من الشعوب حضارته وهويته الوطنية، فإن للشعب الكردي خصوصية تشكل سمة مضافة إلى هويته الوطنية، وتتمثل هذه السمة في أنّ تبلورها قد ارتبط بمواجهة تقسيم دولتهم إلى أربعة أقسام من طرف القوى الاستعمارية، وأنظمة حاكمة استهدفت وجودهم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي، وهنا يمكننا القول: إنّ الشعب

١ https://ar.m.wikipedia.org/D9%A7%D8%AA%D9%88%D9%87%D9%8A/wiki/D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9

٢ https://www.politics-dz.com/%d9%85%d9%81%d9%87%d9%88%d9%85-%d9%87%d9%88%d9%8a%d8%a9-%d9%88%d8%a3%d9%87%d9%85%d9%8a%d8%aa%d9%87%d8%a7/

٣ https://democraticac.de/?p=٥٥١٥٢

الكردي يخوض صراعاً مريراً للحفاظ على هويته القومية، وإثبات وجوده التاريخي على أرضه. لهذا كان النضال الكردي ولا يزال يسير في مسارين: مسار تحقيق الحقوق الوطنية، ومسار الحفاظ على الهوية، لهذا نستطيع القول إن مفهوم الهوية لدى القومية الكردية يختلف كثيراً عن مفهوم الهوية لدى الشعوب الأخرى.

ثانياً: قراءة لواقع الهوية الكردية في سوريا

في الحقيقة إنّ إشكالية الهوية الكردية موجودة فعلاً منذ القِدم في المربّع الكردستاني، وعلى الرغم من المقاومة والنضال إلا إنها تواجه تحديات عميقة في البقاء والحفاظ على نفسها، وهو التحدي الأكبر، لذلك نجد من الصعب عند الحديث عن خصوصية هوية شعب ما دون الرجوع إلى الخلفية التاريخية لهذا الشعب، وخصوصاً عندما يتم ابتلاع ثقافة مكونات شعوب المجتمع داخل ثقافة مركز الدولة، فيختفي ذلك الخاص لصالح العام بسبب القوة والهيمنة، مما يؤدي إلى طمس هويتهم وطمس معالمهم الحضارية.

عندما نعود إلى التسلسل التاريخي للاتفاقيات والمعاهدات لتاريخ كردستان وسوريا الطبيعية، نجد أن إشكالية الهوية تعود إلى اتفاقية سايكس بيكو في آذار (مارس) عام ١٩١٦م، حيث تم تقسيم المناطق الواقعة تحت احتلال الإمبراطورية العثمانية بين الحلفاء، ثم لحقتها هدنة مودريس في ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩١٨م، وانهيار الجيوش العثمانية، ثم سان - ريمو من ١٨حتى ٢٦ نيسان (أبريل) عام ١٩٢٠م، والذي بموجبها أُعطي الحق للانتداب الفرنسي على سوريا، و مؤتمر السلام في سيفر في ١٠ آب (أغسطس) عام ١٩٢٠م، والذي كان من بنوده تأسيس دولة كردستان بعد سنة من توقيع الاتفاقية، ثم ألغيت هذه الاتفاقية في ٢٤ تموز (يوليو) عام ١٩٢٣م، وحلت محلها اتفاقية لوزان التي ضمت قسماً من أراضي كردستان إلى الأقاليم السورية التي وقعت بدورها تحت الانتداب الفرنسي.ويقول الكاتب أمين زكي «إن تعداد الكرد في مدينة دمشق نفسها زهاء عشرين ألفا من الأنفس. وإنه على رأي وتدقيقات (M. Deniker) كل من أهالي لبنان الغربي، والنساطرة، ودروز جبلَي الشيخ وحوران، ما هم إلا ناشؤون من امتزاج واختلاط الكرد بالسكان المحليين المجاورين لهم"[٤].

ويقول الدكتور فريج "إنه يوجد في ولاية حلب عشيرة كردية وذلك قبل الحرب العظمى، وأن مدينة حلب نفسها فيها عدد غير قليل من الأكراد. هذا وتوجد عدة عشائر أخرى كردية في بلاد (حارم)، و(جبل الوسط) و(بيلان) وفي حوض نهر (العاصي) وفي (جبل الأكراد) أيضاً، ومدينة دمشق نفسها تحتوي على عدد غير قليل من الأكراد". وقدّر المسيو (زيمرمان) القنصل الروسي بحلب، تعداد الكرد بشمالي سوريا،

بـ (١٢٥،٠٠٠) نسمة، ويقال من جهة أخرى إن نحو (٢٠،٠٠٠) من الكرد، تسكن منطقة (العاصي ـ بيلان) الخاضعة للانتداب الفرنسي.

والخلاصة أن تعداد الكرد في سوريا (الشمالية والوسطى) حسب تقدير وتحقيق زيمرمان قبل الحرب العامة ـ وبعد استثناء أكراد الأقسام الكردية التي بقيت داخل حدود تركيا من ولاية حلب القديمة ـ يتراوح بين (٧٠) ألفاً و(٨٠) ألف نسمة[٥].

تأسست مع الجمهورية العربية السورية بعد حرب الاستقلال دولة مركزية ذات طابع قومي عربي في ظل تنامي موقف سلبي من الكرد السوريين، والتي كانت سبباً لانتفاضات شعبية كردية على الرغم من صعود الأقليات الدينية الأخرى (المسيحيين والعلويين، الدروز والإسماعيليين).وولدت فضلاً عن ذلك فيما بعد سياسات تقمع حقوق الكرد لإعادة إنتاج بشكل عنيف لطمس هويتهم، من خلال تجريد الآلاف من الجنسية السورية، مع حظر استخدام اللغة الكردية، كما حُرموا من الاستفادة من الإصلاح

٤ راجع (ص ٩٥) خلاصة تاريخ كرد و كردستان / أمين ذكي /

٥ راجع (ص ٩٥) خلاصة تاريخ كرد و كردستان / أمين ذكي /

الزراعي وتوزيع الأراضي رغم أحقّيتهم بذلك في مناطقهم، لكن الفقر والأمية وانعدام التوثيق، أدى إلى عدم امتلاك الكثيرين لشهادات ثبوتية، وتم إجبارهم على تعريب أسماء مدنهم وقراهم وحتى تعريب أسماء أبنائهم،عموماً القومية الكردية في سوريا، كانت ترى أن الشعب الكردي جزء من الأمة الكردية، وليس الأمة العربية، وهم ضحية للتوافقات الدولية ومصالحها، وأن القضية الكردية هي قضية إنسانية عادلة، ولكن هذا لا يعني المطالبة بالانفصال عن سوريا، لأن المصلحة الكردية تقتضي الحياة المشتركة مع جميع مكونات الشعب السوري، والاندماج في العملية الوطنية ككل لكن تبقى مفردات التراث والحضارة واللغة، والغناء والشعر، موجودة كإرث بين الحضارة السورية التي تضم مختلف الطوائف، بالإضافة إلى تبنّي النضال القومي الكردي في إطار سوريا بالدرجة الأولى على أنه نضال سوري ـ سوري، و لم يتخذ لنفسه طابع المشروع السياسي، وعلى مدى القرون شهدت هذه الفترة ثورات وانتفاضات قام بها الكرد على الدول التي تعارض مطالبتهم بالحصول على الحكم الذاتي، وتحاول طمس الهوية الكردية.

ثالثاً: إشكالية الاعتراف بتعددية الهوية:

يتعلق جوهر موضوع الهوية بإشكالية تحديد الانتماء، سواء للفرد أو الجماعة الصغيرة أو للشعب عامة، وهنا تظهر علاقتها بالدولة وأهميتها الغائبة في استقرار الدولة التي تحتوي على تركيبة هوية الجماعات المختلطة العرقية والدينية والطائفية، التي تؤدي إلى حدوث نزاعات فيما بينهم مما يؤدي إلى الانعكاس السلبي في الاستقرار السياسي والاجتماعي للدولة، وهذا ما يحدث في نزاع الهويات في إطار الدولة الواحدة، وقد تنفجر أزمة الهوية في ظل الخلافات الأثنيّة والدينية المكبوتة لفترات طويلة لتعبّر عن نفسها بالعنف، وغالباً ما يحدث ذلك في ظل الأنظمة الديكتاتورية، وهذا الأمر قد يوصلهم إلى حدّ مطالبة بعض المجموعات الأثنيّة بالانفصال عن الدولة،وعلى ما يبدو فإن إشكالية الاعتراف بتعددية الهوية لن تتقدم بشكل جدّي وحقيقي في دستور الدولة، إلّا إذا انتشر الوعي المجتمعي إلى واقع التعدد في اللغات والثقافات والأعراق التي تعزز وجودها.

رابعاً: نحو مشروع سياسي جديد

تحتل قضية الاعتراف بالهوية مكانة الصدارة في الجدال المحتدم على الساحة السياسية السورية، و هي قضية لا بد وأن نعترف أنها من أهم القضايا التي يتعين على الجميع التصدي لها والعمل عليها، لأنها في حقيقة الأمر قضية كل فرد في المجتمع، فلا يمكن أن نتصور إمكانية حل أي مشكلة من مشاكل المجتمع السوري المتعددة والمتراكمة، دون الاعتراف بجميع مكونات الشعب السوري في إطار الدولة المستقلة العلمانية المتقدمة التي تساوي بين مواطنيها، والعودة إلى طبيعة تكوين سوريا الطبيعية التي تضم جميع الطوائف في إطار الوطن الواحد المتقدم بالقيم الإنسانية، وحقوق الإنسان الكونية القائمة على أساس المواطنة المتساوية من خلال التوافق والتشارك بين السمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعاً تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى، لإنتاج مجتمع المواطنة والانتماء الوطني على أساس عقد اجتماعي جديد.

العلاقات الكردية العربيّة (5)
أشهر الدويلات الكرديّة في عصر الإسلام
(الجزء الثاني)

عبد الله شكاكي
سوريا

حكومة لورستان الصغرى (١١٩٥-١٥٩٦):

تأسست هذه الحكومة في شرق كردستان (جنوب إيران)، على يد الأسرة الخورشيدية وقبائل اللور الصغرى، التي تتألف من القبائل الأصلية التالية: جنگروي، محمد كوماري، گروهي، داوودي، عباسي، وعشائر أخرى مثل: كارندي، جنكردي، فضلي سنوندي، آلاني، كاهكاهي، راجواركي، دري، براوند، مابكي، داري أبادكي، علوم مائي، كجائي، سلسكي، خودكي، بندوئي، وأربعة عشائر أخرى تابعة لهم وتتكلم اللهجة اللورية لكنها ليست لورية الأصل، وهي: ساهي، أركي، أسباهي، بيهي.

كانت لورستان الصغرى في منتصف القرن الثاني عشر تحت سلطة السلاجقة، وكانت الأسرة الخورشيدية من قبيلة جنگروي متعاونة مع الوالي السلجوقي حسام الدين سوهلي، حيث تولى شجاع الدين خورشيد منصب محافظ لورستان الصغرى، وقد سطع نجمه بعد وفاة الوالي سوهلي، ليغدو الحاكم العام على لورستان الصغرى.

تولى الأمير خورشيد بن أبي بكر بن محمد بن خورشيد ولقبه شجاع الدين السلطة في لورستان الصغرى سنة ١١٧٤م واتخذ مدينة خرماباد عاصمة له، وكان سرخاب بن عيار رئيس قبيلة جنگروي الذي ينتمي إليها أسرة خورشيد قد نافسه في الحكم، ولهذا وجه الأمير خورشيد جيشه بقيادة ولديه بدر وحيدر، حيث حاصرا سرخاب في سياه دز (القلعة السوداء) حيث قتل حيدر على يديه، فتدخل الخليفة العباسي المستضيء، على «أن يترك لسرخاب قلعة "مانكاره"، وعوضه الخليفة بقلعة طرازك في اقليم خوزستان»[1].

عاش خورشيد حياة هادئة مع شعبه ناشراً العدل بينهم ويتفقد شؤونهم، وفي شيخوخته تمكنت عشيرة "البيات" التركمانية الاستيلاء على جزء من لورستان، وبعد قتال عنيف تم طردها من البلاد، ثم عين الأمير خورشيد ابنه بدراً ولياً للعهد، وابن أخيه سيف الدين ولياً للعهد من بعده، لكن سيف الدين تمكن من تدبير مكيدة لبدر وتخلص منه، ولما علم الأمير بالمؤامرة الدنيئة هاله الأمر وكان عمره قد تجاوز المائة، حيث وافته المنية سنة ١٢٢٤، فبكاه شعبه لمحبتهم له وتحول قبره إلى مزار.

تولّى الحكم بعده سيف الدين رستم ابن أخيه وكان إدارياً ماهراً وشجاعاً نشر العدل بين شعبه ومنح لقب "أتابك» من الخليفة، ووقف بحزم في وجه أعمال الغزو التي كانت تقوم بها بعض العشائر وكافحهم بقسوة، ولهذا كان بعض الزعماء يكنون له العداء، وبعد عدة محاولات تمكنوا منه وقتلوه في جبل «گوه كلاه"، وقد مدحه الأمير شرفخان البدليسي في كتابه "شرفنامه»، ومما أورده أنه بلغ مسامع الأمير: «أن امرأة كانت توقد تنورها بالشعير بدل الحطب، فطلبها لاستجوابها عن عملها هذه، فأجابت المرأة فوراً: ليقال أن الرغد في بلاد الأمير وصل إلى حد أن النساء توقد النار بالشعير بدل الحطب، فأعجب الأمير بجوابها، وأنه بلغ مسامع الخليفة أن عصابة من ستين رجلاً عاثت في البلاد فساداً، وعجز الحكام عن وضع حد لهم، فما أن سمع سيف الدين بهذا الخبر، حتى تحرك فوراً وتمكن من أسرهم وإعدامهم، مع أنهم عرضوا عليهم فدية كبيرة وهي ستون بغلاً بلون واحد ومن نوع نادر، فرفض الأمير قائلاً: لا أريد أن يسجل التاريخ بأن سيف الدين كان بياع اللصوص وقاطع الطريق!»[2].

استمرت هذه الحكومة أكثر من أربعة قرون وكانت مليئة بالصراعات مع المغول تارة ومع عشيرة البيات التركمانية تارة أخرى، لكن الصراعات الداخلية بين الأمراء كانت أكثر تأثيراً ومعظم الحكام قضوا نحبهم قتلاً، يذكر أن الحاكم الثالث عشر كانت السيدة دولت خاتون التي تولت الحكم بعد وفاة زوجها عز الدين محمد وحكمت أكثر من ثلاث سنوات (١٣١٦-١٣١٦)، وبسبب ازدياد تدخلات الإمبراطورية المغولية في شؤونها اضطرت إلى ترك الحكم لأخيها عز الدين حسين، وفي عهد الحاكم السادس عزالدين شجاع (١٤٠٥-١٣٦٩) ساد الهدوء في أنحاء لورستان إثر التوقيع على معاهدة سلم وصداقة مع حكام العراق، إلا أنه في سنة ١٣٨٦ تعرضت لورستان لغزو تيمور لنك فعم الخراب أنحاء البلاد، وقضى الكثيرون نحبهم تحت ضربات السيف من بينهم أغلب أمراء لورستان، وتم اعتقال الأمير الحاكم عز الدين ونفيه إلى سمرقند، وأعاد تيمور لنك الهجوم ثانية سنة ١٣٩٢ حيث أغرق لورستان في بحر من الدماء ودمر البلاد تدميراً كاملاً، كما قتل الأمير عز الدين سنة ١٤٠١، أما ابنه سيدي حسين فقد لجأ إلى الجبال واختفى فيها.

حكم شاه حسين بن عز الدين بعد وفاة أخيه سيدي أحمد واستغل النزاعات التي اندلعت

١ محمد أمين زكي مرجع سابق ص ١٥١.

٢ شرفنامه ص 37-38.

بين أحفاد تيمور لنگ، فاستولى على همذان وأصفهان وجربادقان، ثم غزا شهرزور وعشيرة بهاران، لكن رئيس العشيرة "كور پير علي" تمكن منه وقتله سنة ١٤٦٦، وحكم بعده ابنه شاه رستم وبعد أن فرغ الشاه إسماعيل الصفوي من فتح بغداد، عاد إلى «حويزة» ووجه عشرة آلاف جندي بقيادة بيرم بك قره ماني و حسن بك لالا على شاه حسين، حيث لم يتمكن الأخير من الصمود واضطر اللجوء إلى الجبال، ثم سلم نفسه إلى الشاه إسماعيل الذي عفا عنه وأعاده حاكماً تابعاً له على لورستان الصغرى، واستمر الحاكم أوغوز خان الذي جاء بعده في تابعيته للشاه الصفوي، لكن الحاكم جهانگير بن شاه رستم رفض الطاعة لإيران، فزحف إليه جيش الشاه طهماسب أسفرت عن اندحار جيش لورستان ومقتل جهانگير سنة ١٥٤٢، ثم حكم بعده شاه رستم بن جهانگير، لكن بعد عدة سنوات نازعه أخوه الصغير محمدي في الحكم ورغم تدخل وجهاء البلد ومنحوه مقاطعتين من أصل ستة، إلا أنه استمر في إحداث الفتن والإرباكات لأخيه ممّا اضطر شاه رستم إلى إلقاء القبض عليه وسجنه في قلعة ألموت، لكن دخل البلاد في فتنة جديدة، ويبدو أن طهماسب شاه إيران كان وراءها حيث السجن تحت أمرته، ومن ثم طالب الأمراء ومعهم الشعب من طهماسب بإطلاق سراح محمدي وإعادته إلى الحكم لدرء الفتنة، فوافق طهماسب لقاء ثلاثين ألفاً من الخيول والأغنام، وغادر شاه رستم لورستان لاجئاً إلى قزوين وبقي فيها حتى وفاته.

استولى محمدي بن جهانگير على الحكم في لورستان، وأجرى مصالحة مع البلاط الإيراني، وتُوِّج بزواج ميرزا حمزة ابن الشاه سلطان محمد بن طهماسب من كريمة محمدي، وأدى هذا الزواج إلى تقاربه مع القزلباشية، ثم عمل تفاهماً مماثلاً مع العثمانيين، حيث ضمن حماية الدولة العثمانية أيام السلطان مراد الثالث سنة ١٥٨٤، وألحق بإيالته نواحي: مندلي، وجسان، وبدره، وتُرْساق، من أملاك السلطان في بغداد، والتي قدرت إيراداتها باثني عشر كيساً من الذهب العثماني، ثم ساءت العلاقات مع

"تولى الأمير خورشيد بن أبي بكر بن محمد بن خورشيد ولقبه شجاع الدين السلطة في لورستان الصغرى سنة ١١٧٤م واتخذ مدينة خرماباد عاصمة له، وكان سرخاب بن عيار رئيس قبيلة جنگروي الذي ينتمي إليها أسرة خورشيد قد نافسه في الحكم، ولهذا وجه الأمير خورشيد جيشه بقيادة ولديه بدر وحيدر، حيث حاصرا سرخاب في سياه دز (القلعة السوداء) حيث قتل حيدر على يديه."

العثمانيين، فحدث تفاهم جديد مع شاه إيران، ودام على هذه الحال إلى أن وافته المنية.

تولى «شاه ويردي» بن محمدي الحكم بوفاة والده، حيث أُقِرَ بمرسوم شاهاني من الشاه سلطان محمد، ولما آلت الشاهانية إلى الشاه عباس، حصلت مصاهرات شاهانية بزواج الشاه عباس من أخت شاه ويردي زوجة أخيه ميرزا حمزة، وزواج شاه ويردي من حفيدة ميرزا بهرام ابن عم الشاه، وهذا ما أدى إلى توطيد علاقات الصداقة بينهما، لكن إسناد الشاه عباس منصب إيالة همذان إلى "أوغورلو بگ» البياتي حاكم أصفهان، حركت العداوة القديمة بين اللور والبيّات (التركمان)، ونشب القتال بينهما حول قصبة "بروجرد»، حيث قتل فيها أوغورلو بگ رئيس البيات، ونهب اللور أموالهم، ولما سمع الشاه عباس بالخبر وكان بخراسان توجه فوراً إلى لورستان، حيث لم تصمد قوات اللور أمام الجيش الصفوي، فاضطر شاه ويردي إلى الانسحاب مع بعض من جيشه وأسرته واللجوء إلى جبل كولاه، وقام الشاه عباس بتمزيق لورستان الصغرى،

حيث أعطى العاصمة خرم أباد إلى مهدي قلي خان، وأسند الباقي إلى الأمير اللورستاني سلطان حسين بن شاه رستم وذلك سنة ١٥٩٣، ولجأ شاه ويردي إلى والي بغداد العثماني، وقدم له فروض الطاعة، وبعد عام أصدر الشاه عباس عفواً عن شاه ويردي تحقيقاً لمصلحته، وأرجعه إلى منصبه في حكومة لورستان الصغرى وإيالة خرم أباد، مع الكثير من الخلع والهدايا، واستمر يدير شؤون حكومته "حتى الآن (سنة ١٠٠٥ هـ - ١٥٩٦ م)"٣، وفي السنة التالية ١٥٩٧ جرد الشاه عباس حملة عسكرية على شاه ويردي وبعد قتال عنيف، ألقي القبض عليه وأمر الشاه بقتله، وتوزيع لورستان بين عدد من القبائل، وبمقتله ينتهي عهد حكومة لورستان الصغرى التي استمرت أربعمئة وسنتان.

لكن أحفاد شاه ويردي تمكنوا من الاحتفاظ بإمارة صغيرة في "پشتگوه» التي ظلت بأيديهم، بدءاً من حسين خان كوالٍ مستقل عليها، وحتى حيدر علي خان آخر والٍ سنة ١٨٤٠، حيث "عمد رضا شاه بهلوي (والد آخر شاه إيراني) إلى إلغاء ولاية لورستان المستقلة، وربطها مع الولايات الإيرانية"٤.

جدول بأسماء حكام لورستان الصغرى وسني حكمهم ٥:

1	شجاع الدين خورشيد	١١٧٤-١٢٢٤ تقريباً
2	سيف الدين رستم الأول	١٢٢٤-١٢٢٤ =
3	شرف الدين أبو بكر	١٢٢٤-١٢٢٧ =
4	عز الدين كرشاسپ	١٢٢٧-١٢٢٩ =
5	حسام الدين خليل بن بدر	١٢٢٩-١٢٤٢ =
6	بدر الدين مسعود بن بدر	١٢٤٢-١٢٦٠ =
7	تاج الدين شاه	١٢٦٠-١٢٧٨ =
8	فلك الدين حسين + عز الدين حسين الأول (مشتركان)	١٢٧٨-١٢٩٣ =
9	جمال الدين خضر	١٢٩٣-١٢٩٤ =
10	حسام الدين عمر	١٢٩٤-1295 =
11	صمصام الدين محمود الأول	١٢٩٦-١٢٩٥ =
12	عز الدين محمد	١٢٩٦-١٣١٦
13	دولت خاتون	١٣١٦-١٣١٦
14	عز الدين حسين (أخو دولت)	١٣١٦-١٣٣٠
15	عز الدين محمد بن عز الدين	١٣٣٠-١٣٦٩
16	عز الدين حسين بن محمود الثاني	١٣٦٩-١٤٠٥
17	سيدي أحمد	١٤٠٥-١٤٠٨
18	شاه حسين الرابع بن أحمد	١٤٠٨-١٤٦٦
19	شاه رستم الثاني بن حسين	؟
20	أوغوز خان بن رستم	١٥٠٢- ؟

٣ تاريخ تدوين شرفنامه من قبل الأمير شرفخان البدليسي، وتاريخ تنازل الأمير شرف خان عن حكم إيالة بدليس لابنه الأمير شمس الدين ص 496.

٤ زكي محمد أمين تاريخ الدول ولإمارات الكردية في العهد الإسلامي ص 149.

٥ وضع الدول بالتنسيق بين جدولي لين پول و زمباور.

21	جهانگـير بن رستم	١٥٠٢ - ١٥٤٢
22	شاه رستم بن جهانگـير	١٥٧٦ - ١٥٤٢
23	محمدي بن جهانگـير	١٥٧٦- ؟
24	شاه ويردي بن محمدي	١٥٩٦- ؟

حكومة أردلان

أسسها «بابا أردلان» (حسب ما ورد في «شرفنامه») وهو أحد أحفاد الأمير أحمد بن مروان مؤسس الأسرة المروانية الدوستكية٦ (١٠٨٦-٩٨٠) م. الذي قدِمَ من آمد بعد أن دالت دولته واستقر بين عشيرة "گوران» الكردية. وشملت أجزاء من جنوب وشرق كردستان وأصبح حاكماً على شهرزور (كردستان العراق) عند قدوم جنكيز خان إلى بلاد إيران. وتمكن بابا أردلان من توسيع سلطته ليشمل اقليم "هورامان» (شرق كردستان). واعترف جنكيز خان بحكومته بعد سيطرته على إيران سنة ١٢٢٠م واعتبر حاكمها والياً له. وكانت «حكومة أردلان عظيمة الشأن والسلطان"٧. ويرجع تاريخها إلى أوائل العهد العباسي. لكن "شرفنامه» يفتقر إلى المعلومات الكافية لأسرة أردلان وسني حكمهم. باستثناء قوله: أن: گلول بگ بن بابا أردلان أخضع اربيل (هولير) لحكمه.

تعرضت الحكومة الأردلانية لغزو الحكومة الجلائرية - التركية (١٤١١-١٣٣٦). التي استولت على القسمين الشمالي والغربي في القرن الرابع عشر الميلادي. وذلك في عهد الأمير حسن بك ابن خضر بك. الذي دافع عن بلاده. وحال دون

"أسس حكومة أردلان "بابا أردلان" وهو أحد أحفاد الأمير أحمد بن مروان مؤسس الأسرة المروانية الدوستكية، الذي قدِم من آمد بعد أن دالت دولته واستقر بين عشيرة "گوران" الكردية، وشملت أجزاء من جنوب وشرق كردستان، وأصبح حاكماً على شهرزور (كردستان العراق) عند قدوم جنكيز خان إلى بلاد إيران، وتمكن بابا أردلان من توسيع سلطته ليشمل إقليم "هورامان" (شرق كردستان)."

وقوع البلاد عامة في حوزتهم. وفي القرن الخامس عشر تمكن مأمون بگ من استرداد المناطق المحتلة من غاصبيها. وبذلك صار نهر الزاب الكبير الحدود الشمالية لأردلان. حيث وضع حامية عسكرية قوية في قلعة رواندوز. وبذلك أصبحت أردلان أقوى حكومة كردية في غرب إيران.

خضعت المناطق والبلدات التالية لسلطة حكومة أردلان: عقره. ودير. ودهوك. وأحياناً أربيل وكذلك زاخو من أملاك إمارة آميدية (العمادية). حوالي مائتي عام (من القرن ١٤-١٢م). ثم تأسست فيما بعد إمارة البادينان من العشائر الهكارية. أما اقليم شهرزور فكان مأهولاً بالكرد. لكن العشائر التي اشتهرت فيما بعد. مثل: الجاف. والهماوند. والژنگنه. لم تكن قد جاءت إلى المنطقة بعد. حيث كانت في غربي إيران. أما عشائر الطالباني والشيخاني والگاباري. فقد كانت أسرات صغيرة لم تبلغ مستوى العشائر.

توفي مأمون بگ حاكم أردلان في القرن الخامس عشر الميلادي. وخلّفه في الحكم ابنه الأكبر "بيگه بيگ». وتزامنت ذلك مع الحرب

٦ ورد لدى باسيلي نيكيتين أن مؤسسها ينحدر من أسرة صلاح الدين الأيوبي من حسنكيف ص 271 حيث حكم الأيوبيون حسنكيف بين أعوام (1232-1524)، والمروانيون بين أعوام (980-1086)، وأميل إلى ما ذكره العلامة محمد أمين زكي أن مؤسسها ينتمي إلى الأسرة المروانية.

٧ زكي محمد أمين ، تاريخ الدول والإمارات الكردية ص 237.

العثمانية- الصفوية (معركة چالديران ١٥١٤)، ويعتقد أن حكومة أردلان خضعت أيضاً للسلطنة العثمانية، ثم خلف بيگه بيگ ابنه مأمون بگ الذي عاصر السلطان سليمان القانوني (١٥٦٦-١٥٢٠)، لكنه انحاز إلى الدولة الصفوية، وتمكن من توسيع نفوذه حتى نهر الزاب الصغير، وضمّت كل من: هاورامان، وشهرزور، وقره داغ، وسهل گرميان، إلى حكومة أردلان، وهذا ما أزعج العثمانيين، الذين وجّهوا قوة كبيرة من الجيش الانكشاري إلى كركوك، لوضع حد لتمدّد حكومة أردلان، كما وجّهوا حملة عسكرية على الأمير مأمون، بحجة تأمين طريق بغداد من تجاوزات عشائر شهرزور، وقد كانت قوام الحملة من المقاتلين الكرد، التابعين للأمراء الكرد المتعاونين مع العثمانيين، ومن ضمنهم سلطان حسين أمير العمادية وبتدبير من ادريس البدليسي، حيث كان الهدف الرئيسي من الحملة هو الاستيلاء على مدن: "مريوان»، و»سنه»، وأقلها انتزاع اقليم شهرزور، وقد استماتت حكومة أردلان وجيشها في مقاومة الجيش العثماني والدفاع عن بلادهم، ولما اشتد القتال والحصار اضطر مأمون بگ إلى التحصن بقلعة "زلم"، والاستمرار في المقاومة، وأخيراً وقع مأمون أسيراً واقتيد إلى استانبول حيث زجّ به في سجونها، وتعرضت أردلان للسلب والنهب والتخريب من قبل العثمانيين.

ثم تولى الحكم سرخاب بگ، الذي أقام علاقات طيبة مع طهماسب شاه إيران، وبسط سيطرته على معظم بلاد أردلان، وإزاء هذه التطورات الجديدة عمد السلطان العثماني سليمان القانوني، إلى إطلاق سراح مأمون بگ مع منحه لواء الحلّة، ومثله لأخيه إسماعيل، لإيقاعهما مع عمهما سرخاب، لكن تلك الجهود ذهبت سدى، لأن سرخاب بگ كان قد استحكم بكافة أمور البلاد.

قادت فشل المحاولات العثمانية للاستيلاء على أردلان إلى عزل والي بغداد علي باشا سنة ١٥٤٩، وتعيين "پالطه جي محمد باشا" بدلاً عنه، حيث تمكن الأخير من استرداد اقليم شهرزور، بالاعتماد على فصائل من الجنود الكرد التابعين لأمراء كرد محليين متعاونين معهم، مما أجبر سرخاب إلى الاعتصام بقلعة "زلم" واستمرار المقاومة، وآلت أمور البلاد للسيطرة العثمانية وذلك سنة ١٥٥٣، ثم التجأ سرخاب إلى إيران، وبعد فترة قصيرة تمكن من العودة بمساعدة إيرانية، وبسط سلطته مجدداً على شهرزور وأردلان، وننوه إلى أن أردلان من وجهة النظر الإيرانية كانت "ولاية"، وأن رئيسها يحمل لقب "والي أردلان» من شاهات إيران، لكن هذا التوصيف لم يؤثر على استقلالية الحكومة، باستثناء تقديم قوة عسكرية محددة حين الحاجة، ثم استقل سرخاب بگ فيما بعد، وتخلى عن الحماية الإيرانية، وأصلح أمور البلاد وعاش مع أبناء شعبه في ظل استقلال تام.

بعد مرور فترة قصيرة دون حروب، ظهر فجأة محمد بگ ابن مأمون بگ برفقته قوة مسلحة، واستولى على مناطق: قره داغ، ودلگوران، وآلان، وشهر بازار، بدعوى أنه الوريث الشرعي لأبيه وعمه، وطلب من السلطان سليمان القانوني حمايته وتعضيده في استرداد حقوقه من سرخاب، ووافق السلطان على طلبه، ونشب القتال وحاصر قلعة زلم المنيعة زهاء سنتين، ولم يتمكن المغيرين من تحقيق أي نصر، حيث كان سرخاب بگ يتلقى الدعم والمساندة من الشاه طهماسب، لكن الجيش العثماني توجه نحو شهرزور واحتلها، ومن ثم توفي سرخاب بگ، فخلفه ابنه "سلطان علي" الذي مات بعد سنة من تولّيه الحكم، ثم خلفه ابنه تيمور خان، ولقّبه السلطان مراد الثالث بلقب "مير ميران"، ومنحه رتبة الباشوية، وإدارة مقاطعة شهرزور، سنة ١٥٨٠، وقد تميز عهده بالاضطرابات، لأنه كان طاغياً ميالاً للنهب والسلب وسفك الدماء للممالك الكردية المجاورة، حيث ثار عليه الأمير عمر بگ الكلهوري، وشاه ويردي أمير لورستان، لوضع حد لاستفزازاته، وأخيراً مات مقتولاً سنة ١٥٨٩، وأصبحت أردلان تابعة للسلطنة العثمانية.

تولّى إدارة أردلان بعد مقتل تيمور، "هلو خان" بن سلطان علي الذي أعلن خضوعه للسلطان مراد الرابع، مع مسايرة الشاه الإيراني،

وهكذا انفرد بالحكم حتى سنة ١٥٩٦٨. ويضيف العلامة محمد أمين زكي: أن السلطة انتقلت بعد هلو خان إلى أحمد خان سنة ١٦٠٥ م. الذي وطد علاقاته مع إيران، ثم أصبح تابعاً لها. وكانت من نتائجها معاداة العشائر الكردية. ولذلك اجتاحت العشائر المكرية الكردية واستولت على قلعتي رواندز والعمادية. كما أخضع حرير، وكوي (كويسنجق). وقد تعطف عليه الشاه وزوّجه من أخته.

مع غارات أحمد خان المتكررة على المناطق الكردية، كان يتحاشى الاحتكاك بالمناطق التابعة للسلطنة العثمانية. لكنه شارك الشاه عباس في حملة احتلاله لبغداد سنة ١٦٢٠. كما زحف بجيشه على كركوك وشهرزور واحتلهما. إضافة إلى إمارتي العمادية والسوران. وأضحت سلطته من غربي العمادية حتى كرمانشاه وهمذان، ومن لورستان حتى بحيرة أورميه. وكأنه أراد تحقيق وحدة إدارية للمناطق الكردية.

تحرك الجيش العثماني من كركوك بعد انضمام عدد من قواد جيش أردلان، وعشرون أميراً من أمراء كردستان السنّة. كما تحرك الجيش الإيراني على الفور بقيادة زينل خان، يصحبه أحمد خان، واشتبك الجيشان الذي أسفر عن انتصار العثمانيين واحتلال مدينة حسن آباد مقر أحمد خان وتدميرها، ثم تابع زحفه إلى همذان، ومريوان، ودركزين، وعاد بعده إلى بغداد وحاصرها. لكن انتصاراتهم كانت سطحية، حيث تمكن أحمد خان من استعادة شهرزور، لكنه استاء من مظالم الشاه "صفي الدين" خليفة الشاه عباس.

ثم تولّى سليمان خان إدارة أردلان بعد وفاة أحمد خان، وكان حكمه ضعيفاً، وفي عهد «علي قلي خان» تعرضت أردلان للغزو العثماني دون أن تلقى مقاومة، واستولى "خان باشا" البابانى على أردلان، وفي عهد نادر شاه (١٧٤٧-١٧٣٦) تم إخراج الجيش العثماني من إيران، وقضى على الحكم البابانى، ومنح أردلان إلى "سبحان ويردي خان"، وفي سنة ١٧٩٤ هاجم سليمان باشا البابانى على أردلان، بتشجيع من "كريم خان زندي"٩، لأن بنو أردلان كانوا يتعاونون مع آقا محمد خان القاچاري الإيراني وهو ألد أعداء الكرد. ولذلك كان كريم خان زندي يناصر البابانيين بغية توليّهم لأردلان، وفي سنة ١٧٩٩ انتقل حكم أردلان بعد سبحان ويردي خان إلى "خسرو خان"، حيث تعرضت أردلان في عهده لغزو محمد باشا البابانى، الذي استولى على مدينة "بانه"، ولكن خسرو خان وبدعم من كريم خان زندي أوقف الغزو البابانى وطارد جيشهم حتى كركوك.

وفي نهاية سنة ١٧٩٩ تولّى "أمان الله خان" السلطة في أردلان، خلفاً لوالده "خسرو خان"، ودام حكمه حتى سنة ١٨٢٤، حيث كان محباً للعلم والعلماء والأدب والعمران، وقد قام بنهضة أدبية وعمرانية وسياحية في مدينة "سنه"، وغدت المدينة عاصمة العلم والثقافة والأدب في كردستان ١٠عامة، ثم خلفه في الحكم ابنه "خسرو خان"، الذي كان مثل أبيه راعياً للثقافة والأدب، وكانت زوجته "ماه شرف خانم» شاعرة عظيمة وأديبة فاضلة، ودام حكمه عشر سنوات، ثم خلفه بعد وفاته ابنه «رضا قلي خان»، وحدثت فتن داخلية في عهده أدت إلى سجنه في طهران وعمره ستة عشر عاماً، ثم حكم بعده أخوه "أمان الله خان"، في سنوات (١٨٦٧-١٨٤٨)، وهو آخر حاكم لإمارة أردلان.

كانت حكومة أردلان من أهم الحكومات الكردية في كردستان عامة، حيث عمّرت من سنة ١٢٢٠ حتى سنة ١٨٦٧، أي أنها حكمت ٦٤٧ عاماً من خلال خمسة وعشرون حاكماً، وقد تمتعت في بعض الفترات بالاستقلال التام (بين القرن الثالث عشر والخامس عشر)، ثم تأرجحت في فترات أخرى بين التابعية السياسية الإيرانية أو العثمانية لأنها كانت منطقة صراع بين الدولتين، وضربت باسم حكامها السكة، كما ذكر اسم حكامها في الخطبة على المنابر، ومن ثم قضت الدولة الإيرانية أيام الشاه ناصر الدين

٨ تاريخ انتهاء تدوين كتاب شرفنامه.

٩ سنأتي على ذكره لاحقاً في بحث الدولة الزندية.

١٠ حظي السير جون مالكولم، والمسيو ريتز (ريج)، بمقابلة أمان الله خان أثناء سياحتهما في بلاد إيران. (زكي محمد أمين ، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي ص 248).

”قامت حكومة ملوك الكرد في بلاد خراسان، في: هراة (مقاطعة في غرب أفغانستان)، والغور (منطقة تقع بين مدينتي هراة وغزنة)، وسيستان (سجستان) وتقع في شرق إيران، وقسم منها يقع ضمن أفغانستان منْ جهة الغرب، وذلك سنة ١٢٤٥م في عهد الإلخانيين، وعمرت ١٣٦ سنة بجهود عشيرة ٠كرد كلي“، التي هاجرت بلادها كردستان إلى سيستان في زمن وسبب غير معلومين.“

القاجاري على الإمارة الأردلانية. حيث عينت ”فرهاد ميرزا“ (عم آخر حاكم أردلاني) حاكماً عن إيران على أردلان. ومن ثم أصبحت إمارة أردلان في ذمة التاريخ.

ومن الجدير بالذكر أن أمراء أردلان اهتموا بالعلوم والآداب والفنون. وقدّروا العاملين في تلك المجالات حق تقدير. وبشكل أخص الشعراء منهم. حيث ظهر فيض من الشعر والشعراء. وتفوقت على الأقاليم الكردستانية الأخرى وبرزت عدداً من الشاعرات. نذكر منهن: سيمَن خانم دَوداني. مستورة كردستاني. جيهان آرا خانم. والشاعرة خورشيد خانم داماشي.

جدول أسماء حكام أردلان وسني حكمهم:

١	بابا أردلان	١٢٢٠- ١٢٣٠
٢	كلول بك بن بابا أردلان	١٢٣٠- ؟
٣	خضر بك بن كلول بك	؟
٤	إلياس بك بن خضر بك	؟
٥	خضر بك بن إلياس بك	؟
٦	حسن بك بن خضر بك	؟
٧	منذر بك بن حسن بك	؟ - ١٤٥٧
٨	مأمون بك بن حسن بك	١٤٥٧- ١٤٩٤
٩	بيكه بك بن مأمون بك*١	١٤٩٤- ١٥٣٦
١٠	مأمون بك بن بيكه بك*	١٥٣٦- ١٥٥٢
١١	سرخاب بك بن مأمون	١٥٥٢- ١٥٥٦
١٢	سلطان علي بن سرخاب بك	١٥٥٦- ؟
١٣	بساط بك سرخاب بك	؟ - ١٥٨٠
١٤	تيمور خان بن سلطان علي*	١٥٨٠- ١٥٩٠
١٥	هلو خان بن تيمور خان*	١٥٩٠- ١٥٩٧
١٦	أحمد خان	١٥٩٧- ١٦٣٦
١٧	سليمان خان	١٦٣٦- ؟
١٨	علي قلى خان	؟ - ١٧٢٦
١٩	خان باشا	١٧٢٦- ١٧٣٠
٢٠	سبحان ويردي خان	١٧٣٠- ؟

٢١	خسرو خان	١٧٩٩ -١٧٩٩
٢٢	أمان الله خان	١٧٩٩ -١٨٢٤
٢٣	خسرو خان بن أمان الله خان	١٨٢٤ -١٨٣٤
٢٤	رضا قلى خان بن خسرو خان	١٨٣٤ -١٨٤٨
٢٥	أمان الله خان بن خسرو خان	١٨٤٨ -١٨٦٧

حكومة ملوك الكرد

قامت هذه الحكومة في بلاد خراسان، وتحديداً في: هراة (مقاطعة في غرب أفغانستان)، والغور (منطقة تقع بين مدينتي هراة وغزنة)، وسيستان(سجستان) وهي مقاطعة تقع في شرق إيران وقسماً منها تقع ضمن أفغانستان من جهة الغرب وذلك سنة ١٢٤٥م في عهد الإلخانيين١١، وعمرت ١٣٦ سنة بجهود عشيرة "كرد كلي"، التي هاجرت بلادها كردستان إلى سيستان في زمن وسبب غير معلومين، وقد ذكر العلامة محمد أمين زكي معلومات مقتضبة عن هذه الحكومة، استناداً إلى "قاموس الأعلام" التركي وكتاب "راولنسون»، تفيد أن هذه الحكومة قامت في القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلادي) في بلاد خراسان، ووردت تسمية الحكومة من اسم عشيرة "كرد كلي» التي تعني (طائفة الكرد أو الشعب الكردي)، كما ذكر اسم الحكومة أيضاً في المصادر التاريخية باسم «ملوك الكرت» حيث يقلب حرف الدال إلى تاء، وذكرت في بعض المصادر «كُرْتْ» بمعنى «قطع»١٢ في اللغة الكردية، لقطعهم صفوف الخوارزميين الذين غزوا بلادهم وردّوهم على أعقابهم، وفي اللغة الخوارزمية أيضاً تعني القطع، وقد حاول بعض المؤرخين بقصد أو دون قصد، تنسيب هذه الأسرة إلى الفرس أو الترك أو التاجيك.

انتشر الآريون في هذه المنطقة منذ الألف الثاني قبل الميلاد، وكانت تحت سلطة المملكة الميدية في القرن السابع قبل الميلاد، وفي سنة ٥٤٩ ق.م أصبحت تحت سلطة الفرس بعد انقلابهم على الميديين، ثم سلطة الاسكندر المكدوني وبعدها حكمها الاسكيث فالبارثيون ثم الساسانيون، وكانوا يدينون بالزرادشتية في بداية عهدها، وفي سنة ٦٤٠م أصبحت تحت الحكم العربي الإسلامي.

أسس هذه الحكومة شمس الدين محمد زعيم الأسرة الحاكمة، سنة ١٢٤٥ في هراة وتوفي سنة ١٢٧٧ في مدينة تبريز، التي أصبحت وقتئذٍ عاصمة للمغول، في عهد الإيلخان آباقان، وكان إمبراطور المغول منكوقآن قد صدر مرسوماً سلطانياً، اعترف بموجبه بمملكة الكرد في هراة وحكومة شمس الدين، ثم تولى ركن الدين حكم المملكة خلفاً لوالده شمس الدين، حيث منحه الإيلخان آباقان لقب "شمس الدين"، وعرف باسم "شمس الدين الصغير" تمييزاً له عن والده، وقد اعتزل الولاية سنة ١٢٩٥، ثم نُصِّبَ مكانه ولده فخر الدين في عهد غازان خان، وقضى عهده بالقلاقل والحروب مع غازان خان، وتوفي سنة ١٣٠٧، ثم تولّى مكانه أخوه غياث الدين بمرسوم إيلخاني، كحاكم على بلاد الغور وخراسان، وقد زار غياث الدين بعد عودته من الحج سنة ١٣٢٢ تبريز، وتشرف بمقابلة السلطان أبي سعيد بهادر خان والأمير شڤان، وبعد توتر العلاقات بين السلطان والأمير شڤان التجأ الأخير إليه، لكنه لم يقدر علاقات

١١ الإلخانيون جمع إلخان، ويعني خان القبيلة، أو زعيم القبيلة، أو حاكم منطقة من قبل المغول الذين استولوا على إيران، وقضوا على خلافة بغداد وقتلوا المستعصم بالله، وشكلوا عدداً من الأسرات الحاكمة، وعلى رأسها هولاكو (1256-1344) وهو أول من استعمل هذا اللقب، قامت هذه الدولة على جغرافية إيران الحالية ومحيطها (كردستان، العراق، أذربيجان، أرمينيا، أفغانستان وبعض باكستان وتركمانستان، في عهد هولاكو، وفي عهد هذه الدولة انحسر التأثير العربي وامتد التأثير الفارسي الممزوج بالمغولية ثم ضعفت بسبب الانقسامات الداخلية وخاصة بين القره قويون الشيعة والآق قويون السنة، وهذا ما مهدت لظهور الصفوية الشيعية في إيران والعثمانية السنية، ولم تجلب أو تأخذ هذه الدولة شيئاً من الحضارة، سوى استنزاف وتدمير الخيرات المادية والقيم الحضارية.

١٢ لين پول ، الدول الإسلامية ، ج 2 هامش ص 252.

الصداقة بينهما، فقتله غياث الدين هو وابنه هلو خان، وأرسلهما إلى السلطان أبي سعيد، وتوفي غياث الدين سنة ١٣٢٨، ثم خلفه ابنه شمس الدين الثاني الذي توفي سنة ١٣٢٩، ومن ثم تولّى أخاه حافظ الذي أعدم سنة ١٣٣١ لعدم رضى الشعب عنه.

ثم تولى الحكم أخوه الثالث معز الدين حسين، الذي كان أعظم ملوك الكرد وأقواهم عزيمة وشجاعة، فقد تمكن من إعلانه الاستقلال المطلق عن الإيلخانيين، بعد وفاة السلطان أبو سعيد بهادر خان سنة ١٣٣٥، وتم ذكر اسمه على المنابر في الخطبة، وقد أهداه سعد الدين التفتازاني كتابه "المطول" الشهير في البلاغة، وذكره فيه باسم معز الدين أبي الحسين محمد كرت، كما سكّت العملة باسمه في خراسان والغور، وفي سنة ١٣٤٢ حارب السربداريين١٣، وانتصر عليهم فازدادت هيبة حكومته وعلت شأنها، وهكذا تمكن من إدارة بلاده بحزم وجدارة يغمرها العدل والرفاهية، وتوفي سنة ١٣٦٩، وخلفه في الحكم ولده غياث الدين پير علي، وهو آخر ملوك الكرد بخراسان والغور، حيث حكم اثنتا عشر عاماً، ثم تعرض حكومته لزحف تيمور لنگ بجيوشه الجرارة، التي حاصرته في قلعة هراة، واشتدت القتال والحصار، وبعد استماتة لا مثيل لها هو وجيشه في الدفاع عن بلاده، انتهى أمره، حيث قتله تيمور لنگ مع أفراد أسرته وأقربائه جميعاً١٤، وباستشهاده سنة ١٣٨١ انتهت حكومة الكرد في خراسان التي استمرت مائة وستة وثلاثون سنة.

يجدر ذكره أن جغرافية حكومة الكرد وعاصمتها مدينة هراة، التي تقع حالياً ضمن أراضي دولة أفغانستان، وإن أفغانستان لم تسمَّ باسمها "أفغانستان" إلا بعد قيام دولة الكرد، حيث كانت قبلها كل قسم من أراضيها يسمى باسم خاص، لانعدام الوحدة السياسية، ولم يكن في أفغانستان أسرة حاكمة، أو إمارة خاصة بها باستثناء حكومة ملوك الكرد في هراة١٥، وقد حدثت الوحدة السياسية المنشودة بعد سقوط الدولة الغورية (١٢١٥-١١٤٨) م التي كانت قوامها البشتون والكرد، وقيام حكومة ملوك الكرد.

وندرج فيما يلي جدولاً بأسماء حكام ملوك الكرد وسني حكمهم:

1	شمس الدين محمد	١٢٤٥-١٢٧٧
2	ركن الدين (شمس الدين الصغير)	١٢٧٧-١٢٩٥
3	فخر الدين	١٢٩٥-١٣٠٦
4	غياث الدين	١٣٠٦-١٣٢٨
5	شمس الدين الثاني	١٣٢٨-١٣٢٩
6	الملك حافظ	١٣٢٩-١٣٣١
7	معز الدين حسين	١٣٣١-١٣٦٩
8	غياث الدين پير علي	١٣٦٩-١٣٨١

(ثم استولى عليها تيمورلنگ)

الدولة الايوبية (١١٦٩ـ ١٥٢٤)

تعتبر الدولة الأيوبية أعظم دولة كردية بعد الإمبراطورية الميدية التي تأسست في الألف الأول قبل الميلاد، والتي ارتقت إلى مستوى سلطنة، كما كانت أعظم دولة إسلامية بعد الدولتين الأموية والعباسية، حيث شملت إضافة إلى جزء كبير من كردستان بلاد مصر وليبيا واليمن وبلاد الشام عامة، ويعود تأسيس هذه الدولة إلى الأسرة الأيوبية، وفي شخص القائد

١٣ دولة خراسانية أسسها خواجة عبد الرزاق واستمرت 44 سنة (1337-1381) من خلال 12 حاكم وأخذت تسمية "سربدار» يعني الشنق، من قول الحاكم الأول عبد الرزاق "الشنق بعزة أولى بألف مرة من الموت الذليل" للاستزادة راجع (لين پول ، الدول الإسلامية 550/2).

١٤ زكي محمد أمين تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي ص 250.

١٥ سليمان أحمد السعيد تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة 'ص 655.

العظيم "يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان" الذي لُقّب بـ"صلاح الدين"، وعمه شيركوه الذي وضع اللبنات الأولى للسلطنة وهو الذي أشرف على تنشئة وتربية صلاح الدين ومهد له سبيل المجد. وتنسب هذه الأسرة الأيوبية إلى العشيرة الروادية الكردية المعروفة، والتي كانت تقطن في بلدة "دڤين- دوين» ويرد في المصادر العربية باسم «دبيل» الواقعة جنوبي مدينة روان١٦ (يريڤان عاصمة أرمينيا الحالية). ومعلوم أن "هذه العشيرة بطن من بطون قبيلة هذباني الكردية العريقة التي كانت تنتشر من الموصل وحتى القوقاز ومركزها شرق بحيرة وان"١٧، والروادية هي من أسست حكومة كردية بين سنوات ((١٢٢٦-٩١٢ كما مرّ آنفاً، ومشهود لأبناء تلك المنطقة بطولاتها وعشقها للحرية.

بعد الضعف الذي ألمّت بالدولة الروادية في القوقاز إثر مقتل حاكمها آق سنقر وتولّي آق سنقر الثاني سنة ١١٣٢ م، ووقوعها تحت رحمة قبائل الغز السلجوقية اضطرت الأسرة الأيوبية بقيادة شادي جد صلاح الدين إلى الهجرة نحو بغداد، واستقبله حاكمها بهروز لصداقة قديمة بينهما ومنحه قلعة تكريت وفيها توفي شادي، كما ولد صلاح الدين، ثم رحلت الأسرة (أيوب و شيركوه) ولدي شادي ثانية بسبب خلاف مع بهروز نحو الموصل لاجئاً إلى حاكمها عماد الدين زنكي الذي أكرم وفادتهما وعهد إلى أيوب والد صلاح الدين إدارة ولاية بعلبك، ومن ثم أصبح أيوب حاكماً على دمشق و شيركوه قائداً لقوات الشام لدى الزنكيين.

وبسبب ضعف الدولة الفاطمية في عهد العاضد والصراع بين وزيره شاور وأمراء الجند، أصبحت مصر مطمح الفرنجة خاصة بعد إعلان الحرب المقدسة من قبل بابا الكاثوليك كريكوري السابع، وقد شعر شيركوه بالخطة الصليبية عمد إلى تجهيز حملة للحيلولة دون وقوع مصر بيد الصليبيين، وقاد الحملة يرافقه صلاح الدين إلى مصر لمواجهة الحملة الصليبية الثانية في القاهرة والاسكندرية التي انتهت بالهدنة بعد

> **"تم الاتفاق على صلح سنة ١١٨٦ يقضي بالاعتراف بالسلطان حاكماً على شمال الجزيرة وشمال كردستان ثم عاد إلى دمشق، ومن ثم أعلن صلاح الدين الجهاد المقدس وتحركت جيوش مصر والشام والهجوم على الفرنجة في عكا والاستيلاء على طبريا وخاض معركة حطين سنة ١١٨٧ وانتصر فيها، ثم تابع زحفه وبدأت المدن تسقط واحدة تلو الأخرى حتى وصلت إلى القدس وحاصرها بشدة"**

قتال دامت ثلاثة أشهر، وفي المرحلة الثانية تمكن شيركوه من طرد الفرنجة والقضاء على الوزير الفاطمي شاور سنة ١١٦٨ وتوحيد مصر مع بلاد الشام تحت سلطة الخلافتين الفاطمية الشيعية والعباسية السنية وجمع بين المذهبين، وأصبح شيركوه وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد، لكنه توفي بعد سبعة أشهر وحلّ مكانه صلاح الدين سنة ١١٦٩، وفي إجراء آخر بعد أن كسب صلاح الدين ود الشعب عزل القضاة الشيعة ومجالس الدعوة وعين بدلاً عنهم القضاة الشافعية السنة، ثم ألغى الخلافة الفاطمية بعد موت الخليفة واستعاض بالخلافة العباسية أيام المستضيئ بالله، وهكذا انتهت الدولة الفاطمية سنة ١١٧١[١٨] وأصبح صلاح الدين الحاكم المطلق على مصر، ثم توسعت سلطته نحو شمال إفريقية: ليبيا وتونس والجزائر ونحو بلاد النوبة، وفي سنة ١١٧٣ توجه تورانشاه أخو صلاح الدين نحو اليمن مروراً بمكة، واستولى على عاصمتها «زبيد» ثم استولى على عدن

١٦ لين پول ستانلي ، الدول الإسلامية ، ص 141.

١٧ زكي محمد أمين ص 151.

١٨ موسوعة الحروب الصليبية ، ص 109.

وملك حصون الجبال في تعز[19]. وفي ١١٧٤ توفي السلطان نور الدين زنكي، ومن ثم استولى صلاح الدين على دمشق ووزع محتوى خزائن الزنكيين على أهل دمشق[20] وضمّها إلى مصر في دولة واحدة.

نشير في سياق حديثنا عن الحروب الصليبية، ومطامع الفرنجة في بلاد العرب وكردستان، أنه في سنة ١١٤٩ استولى الكونت جوسلين على الرها، والبيرة (بيره جوك)، وديلوك (عينتاب)، وسمسور (آدمان)، وگرگوم (مراش)، واعزاز، لكن الأمير الأرتقي صاحب حسنكيف وخارپيت (ألعزيز)، تصدّى له بعد استيلائه على قلاع ديار بكر، فاضطر الكونت جوسلين إلى التنازل له عن قسم من كونتيته، وفي هذه الأثناء تدخل مسعود أمير قونية السلجوقي، وتمكّن من استرداد مراش وعينتاب من جوسلين، ثم تابع زحفه إلى منطقة جبل الكرد (عفرين)، وتجاوز نهر الجوز[21]، حيث كان جبال الكرد تشكل الحدود الطبيعية الفاصلة بين سلاجقة الروم ومملكة نور الدين زنكي، وعموماً كانت تلك المنطقة ساحة صراع من أجل التحكم بطرق القوافل التجارية بين حلب وانطاكية، وجندريس وخورس (نبي هوري) في عفرين، وعينتاب وزوگما (بلقيس) على الفرات، وعندما كان الكونت جوسلين متوجهاً من تل بشير[22] إلى انطاكية في سنة ١١٥٠ م، وبصحبته قوة صغيرة، تعرض لكمين نصبه مجموعة من التركمان في جبل پارس[23] (قرب قرية قسطل جندو- عفرين)، وتم اعتقاله عندما كان يقضي حاجة طبيعية، وسلّموه إلى أمير حلب، لقاء مكافأة من ألفي دينار، حيث زجّ به في السجن، ولما جاء نور الدين زنكي إلى حلب فقأ عينيه، ومات في سجنه بعد أن بقي فيه تسع سنوات[24].

كانت طموحات صلاح الدين ضمّ بلاد أجداده كردستان إلى دولته، ولهذا يمّمَ وجهه صوب كردستان، واجتاز نهر الفرات سنة ١١٨٢، حيث فتح سروج، وحران، والرها، والرقة، ونصيبين، ثم تابع سيره نحو الموصل، واستولى على شنگال- سنجار، ثم عاد إلى نصيبين، ومنها إلى آمد، فحاصرها ثمانية أيام وفتحها سنة ١١٨٣، وفي طريق العودة استولى على عينتاب، ثم وصل إلى حلب وحاصرها، حيث جرى في أحيائها قتال شديد، خاصة في حيّي بانقوسا وباب الجنان، حيث جرح أخاه تاج الملوك مجد الدين بوري، وتوفي على إثرها[25] ودفن فيها[26]، وفي حزيران ١١٨٣ دخل صلاح الدين إلى حلب ظافراً واستقبله أهلها بالترحاب ومدحه القاضي محي الدين زكي بقصيدة مطلعها:

وفتحكم حلبا بالسيف في صفرٍ مبشرٌ بفتوح القدس في رجبِ[27]

كثرت غارات الصليبيين في تلك الفترة على بلاد الشام وأطراف المدينة المنورة، وعزم صلاح الدين الانتقام من الفرنجة وكانت قد بقيت الموصل وفلسطين خارج السيطرة، فتوجه صوب الموصل وحاصرها ثم مدينة ميافارقين ودخلها بعد قتال شديد، وأخيراً تم الاتفاق على صلح سنة ١١٨٦ يقضي بالاعتراف بالسلطان حاكماً على شمال الجزيرة وشمال كردستان ثم عاد إلى دمشق، ومن ثم أعلن صلاح الدين الجهاد المقدس وتحركت جيوش مصر والشام والهجوم على الفرنجة في عكا والاستيلاء على طبريا وخاض معركة حطين سنة ١١٨٧ وانتصر فيها، ثم تابع زحفه وبدأت المدن تسقط واحدة تلو الأخرى حتى وصلت إلى القدس وحاصرها بشدة، وانتهت بالاتفاق على خروج الصليبيين خلال أربعين يوماً

١٩ ابن خلدون ، م ٥ ، ص ٦٣٣.

٢٠ للاستزادة يرجى مراجعة كتابنا وطن الشمس ج ٢ فصل الدولة الأيوبية.

٢١ نهر صغير يتشكل من ينابيع "كانيا علێ» (عين علو) في ناحية شرا شمال قرية «أومرا»، ويصب في نهر عفرين، وعلى مقربة منها تل أثري باسم تليلاق لم ينقب فيها بعد، يحتوي على بقايا آثار قلعة.

٢٢ بلدة كانت في شمال حلب على مسافة يومين، شعبها مسيحيون قريبة من مدينة نيزيب في طرفها الشمالي الغربي على طريق عينتاب.

٢٣ جبل عال ارتفاعه 850 متر في ناحية شرا (عفرين).

٢٤ أليسييف نيكيتا ، السلطان نور الدين زنكي ص 188.

٢٥ ابن شداد بهاء الدين ، النوادر السلطانية ص 73 .

٢٦ دفن في المكان المعروف بشارع باب انطاكية خلف جامع عبد الناصر ، ولا زال ضريحه موجوداً فيها.

٢٧ زكي محمد أمين ص 177.

وسمح للمسيحيين المحليين بالبقاء فيها، ودخل صلاح إلى القدس، وكلف القاضي الحلبي الذي بشره بفتح القدس بافتتاح الخطبة في المسجد الأقصى، وفتحها على غير عادتها بالبيت التالي: الحمد لله ذلّت دولة الصلبي وعزّ بالكرد دين المصطفى العرب وهكذا تحررت جميع المدن باستثناء صور، حيث دخل الشتاء وملّت جنده وتعبت قادته من طول الحرب، وطلبت الاستراحة، لكن صلاح الدين استمر في فتوحاته مع من يريد المتابعة معه طوعاً، وفتح قلاع: كوكب، وصفد، والكرك، ثم تابع سيره، واستولى على طرطوس، وجبلة، واللاذقية، وقلعة صهيون (صلاح الدين)، وقلعة المرقب، وطرابلس، وأنطاكية، واستراح قليلاً على تخوم عفرين وأمعن النظر في جغرافيتها، حيث رأى فيها نقطة ضعف عند ممر بيلان، فيما إذا حدثت حملة صليبية جديدة عن طريق البحر نحو انطاكية وجبل الكرد عن طريق ممر بيلان، وإن العشائر الكردية القائمة فيها غير كافية لصد هجوم محتمل، ولذلك بعث برسائل إلى عشائر كردستان راجياً فيها إرسال متطوعين شباب متزوجين للإقامة في جبل الكرد والدفاع عنها، وتم تلبية طلبه، ولذلك فإن جزءاً من أهالي عفرين ينتسبون إلى عشائر شمال وشرق كردستان، وتوفي صلاح الدين في الرابع من آذار ١١٩٣.

السلطنة الأيوبية

كانت السلطنة الأيوبية بمثابة دولة فيدرالية تتبعها عدداً من الممالك والإمارات، وقد وزعها بين أبنائه وإخوته وأولادهم ولم يعين ولياً للعهد، فقد عهد حكومة فلسطين لولده الكبير الأفضل علي، ومصر لولده "العزيز عثمان"، وحلب لولده "الظاهر غازي"، وبلاد الجزيرة لأخيه "العادل"، وحكومة مصر وجوارها لأبناء أخيه "شيركوه»، واليمن لأبناء أخيه «سيف الإسلام»، وكان وزيره ضياء الدين الجزري أخو المؤرخ ابن الأثير، وأقر الجميع بأحقية الملك الأفضل حاكم فلسطين الإشراف على جميع الحكومات والاعتراف بسمو منزلته، واستمرت السلطنة الأيوبية ثلاثمائة وستة وخمسون سنة، وندرج فيما يلي تسلسل حكام الممالك الأيوبية كل على حدة:

١ـ حكومة مصر

1	صلاح الدين يوسف بن أيوب (زمن الولاية)	١١٦٩-١١٧٤
2	(زمن السلطنة)	١١٧٤-١١٩٣
3	العزيز عماد الدين عثمان	١١٩٣-١١٩٨
4	المنصور محمد	١١٩٨-١١٩٩
5	العادل الأول سيف الدين أبو بكر	١١٩٩-١٢١٨
6	الكامل ناصر الدين محمد	١٢١٨-١٢٣٨
7	العادل الثاني سيف الدين أبو بكر	١٢٣٨-١٢٤٠
8	الصالح نجم الدين أيوب	١٢٤٠-١٢٤٩
9	المعظم توران شاه	١٢٤٩-١٢٥٠
10	شجرة الدر (زوجة الصالح نجم الدين أيوب)	٨٠ يوماً
11	الأشرف مظفر الدين موسى	١٢٥٠-١٢٥٢

"كانت السلطنة الأيوبية بمثابة دولة فيدرالية تتبعها عدداً من الممالك والإمارات، وقد وزعها بين أبنائه وإخوته وأولادهم ولم يعين ولياً للعهد، فقد عهد حكومة فلسطين لولده الكبير الأفضل علي، ومصر لولده "العزيز عثمان"، وحلب لولده "الظاهر غازي"، وبلاد الجزيرة لأخيه "العادل"، وحكومة مصر وجوارها لأبناء أخيه "شيروه"، واليمن لأبناء أخيه "سيف الإسلام"، وكان وزيره ضياء الدين الجزري أخو المؤرخ ابن الأثير."

٢ـ حكومة الشام

1	الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين	١١٩٣-١١٩٧
2	العادل سيف الدين أبو بكر	١١٩٧-١١٩٩
	الوحدة مع مصر	١١٩٩-١٢١٨
3	المعظم شرف الدين عيسى	١٢١٨-١٢٢٧
4	الناصر صلاح الدين داود	١٢٢٧-١٢٢٨
5	الأشرف مظفر الدين موسى (من فارقين)	١٢٢٨-١٢٣٧
6	الصالح عماد الدين إسماعيل	١٢٣٧
7	الكامل محمد (من مصر)	١٢٣٧-١٢٣٨
8	العادل الثاني سيف الدين أبو بكر(مصر)	١٢٣٨-١٢٤٠
9	الصالح نجم الدين أيوب (مصر)	١٢٤٠
10	الصالح عماد الدين إسماعيل (ثانية)	١٢٤٠-١٢٤٥
11	الصالح نجم الدين أيوب (ثانية)	١٢٤٥-١٢٤٩
12	المعظم توران شاه (من مصر)	١٢٤٩-١٢٥٠
13	الناصر صلاح الدين يوسف (من حلب)	١٢٦٠-١٢٥٠

٣ـ حكومة حلب

1	الظاهر غياث الدين غازي بن صلاح الدين	١١٩٣-١٢١٦
2	العزيز غياث الدين محمد	١٢١٦-١٢٣٦
3	الناصر صلاح الدين يوسف٢ (من دمشق)	١٢٣٦-١٢٦٠

٤ـ حكومة حماه

1	المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب	١١٧٨-١١٩١

2	المنصور محمد	١١٩١-١٢٢٠
3	الناصر قليچ آرسلان	١٢٢٠-١٢٢٩
4	المظفر الثاني تقي الدين محمود	١٢٢٩-١٢٤٠
5	المنصور الثاني محمد	١٢٤٠-١٢٨٤
6	المظفر الثالث	١٢٨٤-١٢٩٨
	سيطرة ممـــاليك مصـــر	
7	المؤيد عماد الدين إسماعيل أبو الفداء (المؤرخ)	١٣١٠-١٣٣١
8	الأفضل ناصر الدين محمد	١٣٣١-١٣٤١

٥ـ إمارة حمص

1	محمد بن شيركو بن أيوب بن شادي	١١٧-١١٨٣
2	المجاهد شيركو بن محمد	١١٨-١٢٣٩
3	المنصور إبراهيم بن محمد	١٢٤٥١٢٣٩
4	الأشرف موسى بن إبراهيم	١٢٦٢١٢٤٥

٦ـ إمارة اليمن

1	المعظم شمس الدين توران شاه بن أيوب	١١٧٣-١١٨١
2	سيف الإسلام طغتكين أحمد بن أيوب	١١٨١-١١٩٦
3	معز الدين إسماعيل بن طغتكين	١١٩٦-١٢٠١
4	الناصر أيوب بن طغتكين	١٢٠١-١٢١٤
5	المظفر سليمان بن شاهنشاه بن عمر	١٢١٤-١٢١٥
6	المسعود صلاح الدين يوسف	١٢١٥-١٢٢٩

ثم ترك الملك المسعود الحكم لأبناء الرسولي الكرد أتباع الأيوبيين ثم استقلوا ببلاد اليمن سنة ١٢٣١ وبقوا فيها حتى اليوم.

(Footnotes)

1 التواريخ الموسومة بنجمة معتمدة على "زمباور" حكم 42 سنة، ص 396.

2 قتل الناصر يوسف مع أخيه غازي الذي لم يل الحكم في سنة 1260 من قبل هولاكو ، وبقي ولده الصغير المسمى العزيز في يد المغول (ستانلي لين پول ص 150).

عندما يتقدم العلم والتقنية على الأخلاق والآداب، فإن البنية الذهنية تتعرض لأخطر التطورات، وعندما يقوم العلم الذي لا يحمل قلقاً أخلاقياً بعقد تحالف لا مبدئي مع السياسة والاقتصاد، سيؤدي ذلك إلى نتائج يمكن أن تؤدي بالإنسانية إلى الكوارث وفي مقدمتها الحروب العالمية الأولى والثانية وكثير من الحروب الإقليمية التي لا معنى لها، وإلى استخدام القنبلة النووية وتلويث البيئة إلى درجة لا يمكن العيش فيها والتوازن النوعي الرهيب، والتكاثر السكاني الخطير، لا شك أن الوضع السيئ الذي أدت إليه الأخلاق ذات الأساس الديني والمثيولوجي قد بات معروفاً، ومن المعروف أيضاً أن الأخلاق لوحدها لا تشكل أية قوة، بل تلعب دورها كسلوك اجتماعي عام، ولكن إذا ترك مكان الأخلاق فارغاً فيعتبر ذلك أكبر نقص لعصر العلم، ومن المؤكد أن هناك حاجة للأدب والأخلاق، وافتقار العلم إلى الأخلاق هو أساس أمراض العصر، وضعف الدين جعل هذه المرحلة أكثر خطورة، إذ يجب على العلم إنشاء وتفعيل منظمة لأخلاق العلم تعبر عن قوتها وموقعها كسلطة عليا فوق الدول، وواقع المجتمع المدني هو اعتراف بهذا النقص، لكن هذا وحده لا يكفي، لذلك بات من الضروري تطوير المجتمع المدني، كما يجب تقييم تكوين أخلاق العلم وجعلها تصل إلى سلطة تمتلك قوة تنفيذية كمؤسسة أهم من الأمم المتحدة في عصرنا، إن الإنسانية والأممية الحقيقية ستجد معناها الحقيقي بقوة مثل هذه المؤسسات، وإلا فلا بد من أن تؤدي المصالح السياسية والاقتصادية الحالية اللامحدودة للدول والمؤسسات التابعة لها الى دفع الإنسانية إلى حافة الهاوية.

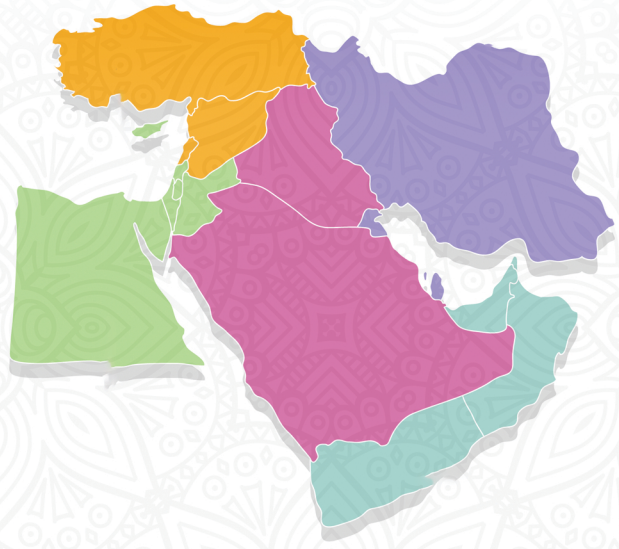

فصلية فكرية تحليلية حرة تعنى بشؤون الشرق الأوسط
رقم الاعتماد
لدى نقابة الصحفين العراقيين 148
رقم الإيداع
دار الكتب و الوثائق في بغداد 868 لسنة 2005

لدى وزارة الثقافة المصرية
دار الكتب و الوثائق في القاهرة
رقم 24217